المجموعة الكاملة لمؤلفات
الشيخ محمد السبيل
(٣)



فتاوى

الجزء الأول

(العقيدة والدعوة – التفسير وعلوم القرآن – الحديث)

تأليف

محمد بن عبد الله السبيل

(١٣٤٥هـ – ١٤٣٤هـ)

رحمه الله

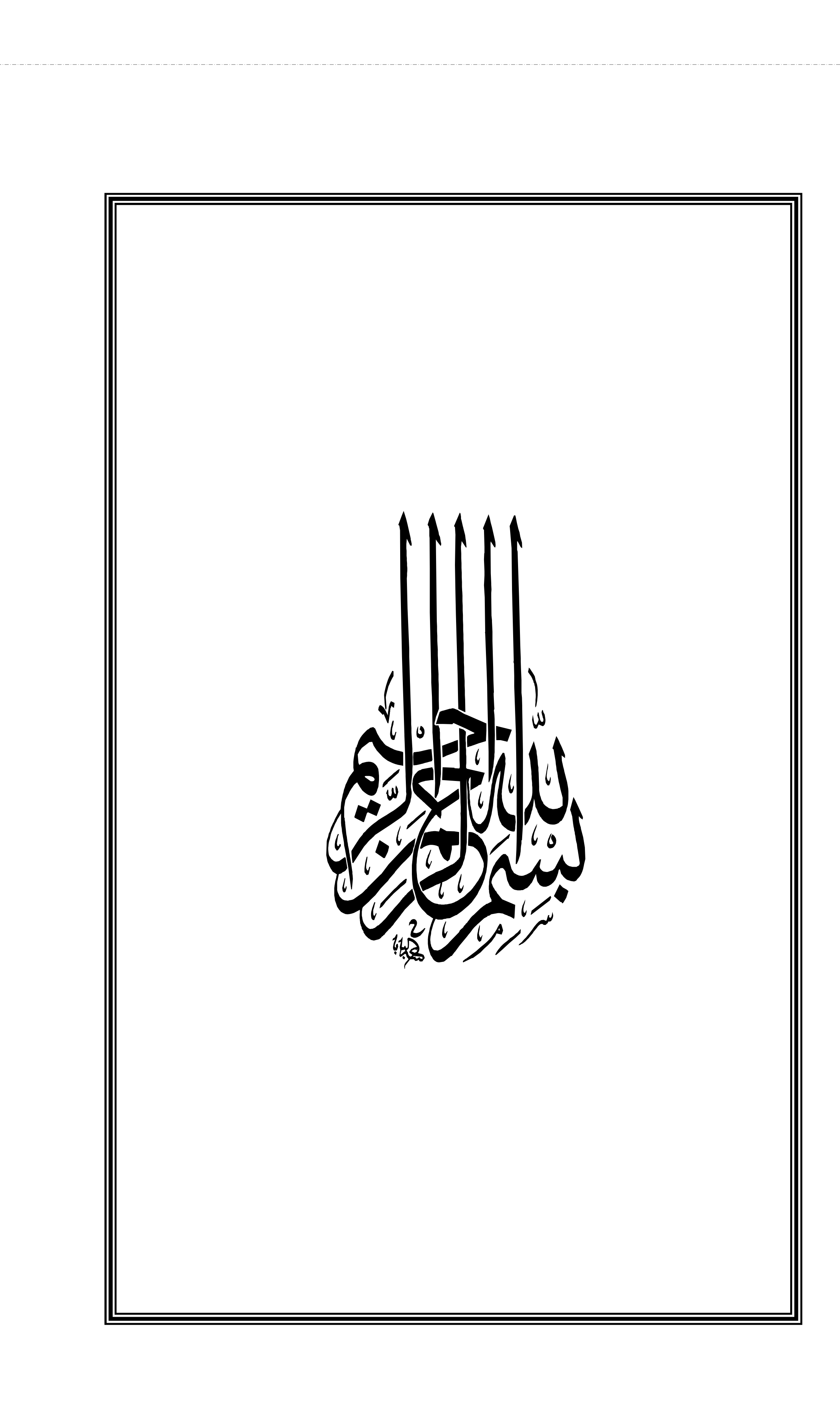
إمام وخطيب المسجد الحرام

عضو هيئة كبار العلماء

عضو المجمع الفقهي الإسلامي

مكتبة .... ، ١٤٣٦هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
السبيل ، محمد بن عبد الله
فتاوى / محمد بن عبد الله السبيل .
مكة المكرمة ، ١٤٣٦هـ
... ص ؛ ١٧×٢٤ سم
١- الحج ٢- العمرة أ. العنوان
ديوي ..../ ١٤٣٦
رقم الإيداع ....
ردمك ....

الطبعة الأولى
١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م


بسم الله الرحمن الرحيم

المُقَـدِّمَة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فهذا مجموع يشتمل على فتاوى متنوعة مما أذيع لنا في برنامج نور على الدرب ، ومما حررناه قديمًا وحديثًا لبعض السائلين ، كما يشتمل على عدد من الرسائل الفقهية وغيرها .

ونظرًا لكثرة السائلين عن هذه الفتاوى والرسائل من أهل العلم وغيرهم، فقد أذنت بجمعها ونشرها، رجاء الأجر والثواب من الكريم الوهاب .

والله أسأل أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم ، وأن ينفع بها .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

محمد بن عبد الله السبيل

مكة المكرمة في ١٥/ ٧/ ١٤٢٨هـ

ترجمة المؤلف

- هو سماحة الشيخ العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد العزيز السبيل، من آل غيهب من قبيلة بني زيد من قحطان.
- ولد في مدينة البكيرية بمنطقة القصيم، عام ١٣٤٥هـ.
- أتم حفظ القرآن الكريم كاملاً وعمره أربعة عشر عامًا ، بدأ بعدها بإمامة الناس وطلب العلم على كبار علماء عصره في القصيم ، وفي مكة المكرمة .
- حصل رحمه الله على عدد من الإجازات العلمية من عدد من شيوخه الذين قرأ عليهم في مكة المكرمة ، منها : إجازة في الحديث من الشيخ أبي محمد عبد الحق الهاشمي ، وإجازة في الحديث أيضًا من الشيخ أبي سعيد محمد بن عبد الله نور إلهي ، وإجازة في القرآن الكريم من الشيخ سعدي ياسين عضو رابطة العالم الإسلامي .
- حفظ خلال طلبه للعلم العديد من المتون والمنظومات العلمية ، منها : زاد المستقنع في الفقه ، وعمدة الأحكام ، وبلوغ المرام في أحاديث الأحكام ، والرحبية في الفرائض ، والبيقونية في مصطلح الحديث ، ومنظومة ابن عبد القوي ، ونظم المفردات في الفقه الحنبلي ، وملحة الإعراب ، وألفية ابن مالك في النحو ، وغيرها من المتون والقصائد .

أعماله :

- عمل رحمه الله مدرسًا في أول مدرسة أنشئت في البكيرية، عام ١٣٦٧هـ حتى ١٣٧٣هـ .

- مدرسًا في المعهد العلمي ببريدة منذ افتتاحه عام ١٣٧٣هـ حتى ١٣٨٥هـ .
- إماماً وخطيبًا ومدرسًا في المسجد الحرام من عام ١٣٨٥هـ حتى ١٤٢٩هـ .
- رئيسًا للمدرسين والمراقبين في رئاسة الإشراف الديني على المسجد الحرام عام ١٣٨٥هـ ، ثم عين نائبًا لرئيس الإشراف الديني على المسجد الحرام للشئون الدينية عام ١٣٩٠هـ ، ثم نائبًا عامًا لرئيس الإشراف الديني على المسجد الحرام عام ١٣٩٣هـ واستمر في هذا المنصب بعد التشكيل الجديد للرئاسة عام ١٣٩٧هـ حيث أصبح نائبًا للرئيس العام لشئون الحرمين الشريفين . واستمر في منصبه هذا حتى عين رئيسًا عامًا لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي عام ١٤١١هـ حتى ١٤٢١هـ.
- عضوًا في هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية من عام ١٤١٣حتى ١٤٢٦هـ
- عضوًا في المجمع الفقهي برابطة العالم الإسلامي منذ تأسيسه عام ١٣٩٨هـ حتى ١٤٣٣هـ.
- رئيسًا للجنة أعلام الحرم المكي الشريف منذ تأسيسها عام ١٤١٢هـ .
- رئيسًا للجمعية الخيرية للمساعدة على الزواج والرعاية الأسرية بمكة المكرمة من عام ١٤٢٢هـ حتى ١٤٣١هـ .
- رئيسًا للجنة الشرعية للمشاعر المقدسة .
- عضوًا في جمعية تحفيظ القرآن الكريم بمكة المكرمة منذ عام ١٣٨٧هـ .
- عضوًا في هيئة التوعية الإسلامية في الحج منذ تأسيسها عام ١٣٩٣هـ.
- كان له عدد من البرامج الإذاعية ، منها : برنامج : (من هدي

المصطفى ﷺ) ، وبرنامج : (من مشكاة النبوة) ، وبرنامج : (من منهج التربية الإسلامية) .

- سجلت الإذاعة السعودية معه رحمه الله المصحف كاملاً ، وصار يبث عبر عدد من الإذاعات والقنوات التلفزيونية .
- شارك في برنامج الإفتاء الشهير (نور على الدرب) بطلب من سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله من عام ١٤٢٠هـ حتى ١٤٢٧هـ .
- قام بالعديد من الرحلات الدعوية داخل المملكة ، كما كانت له جولات دعوية خارج المملكة بدأها عام ١٣٩٥هـ لجمهورية غينيا، وآخر رحلاته الدعوية كانت لليابان عام ١٤٢٤هـ ، وقد قام بأكثر من مئة رحلة دعوية زار خلالها أكثر من خمسين دولة من دول العالم.

مؤلفاته:

صنف –رحمه الله – الكثير من الكتب والرسائل العلمية، وقد طبعت بحمد الله وفضله ، وهي :

١ – من منبر المسجد الحرام (أربعة أجزاء).

٢ – الإيضاحات الجلية في الكشف عن حال القاديانية.

٣– حد السرقة في الشريعة الإسلامية.

٤ – الأدلة الشرعية في بيان حق الراعي والرعية.

٥ – حكم التجنس بجنسية دولة غير إسلامية.

٦ – حكم الاستعانة بغير المسلمين في الجهاد.

٧–الخط المشير إلى الحجر الأسود في صحن المطاف، ومدى مشروعيته.

٨- رعاية الحرمين الشريفين منذ صدر الإسلام وحتى العهد السعودي.

٩- رفيق الطريق في الحج والعمرة .

١٠ - الإجازة بأسانيد الرواية .

١١ - نبذة وجيزة عن عمارة الحرمين الشريفين .

١٢ - من هدي المصطفى ﷺ .

١٣ - فتاوى ورسائل مختارة .

١٤ - دعوة المصطفى ﷺ ودلائل نبوته ووجوب محبته ونصرته .

١٥ - المختار من الأدعية والأذكار .

١٦ - شرح بعض مسائل الجاهلية .

١٧ - فضائل الصحابة .

١٨ - فضل الدعوة إلى الله تعالى وصفتها .

١٩ - خطبة الجمعة وأهميتها في الإسلام .

٢٠ - فضل مكة ووجوب الأدب فيها .

٢١ - حكم السعي راكبًا .

٢٢ - من منهج التربية الإسلامية .

٢٣ - مجالس رمضان .

٢٤ - مجالس الحج .

٢٥ - حكم الصلح على أكثر من الدية في قتل العمد .

٢٦ - حكم مشاركة المسلم في الانتخابات مع غير المسلمين .

٢٧ - ديوان شعر.

وفاته :

أصيب رحمه الله بالتهاب رئوي وضعف في القلب دخل على إثره مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بجدة يوم السبت ٥/ ٧/ ١٤٣٣هـ وبقي فيها للعلاج حتى وفاته رحمه الله يوم الاثنين ٤/ ٢/ ١٤٣٤هـ وقد صُلي عليه بعد صلاة العصر في المسجد الحرام يوم الثلاثاء ٥/ ٢/ ١٤٣٤هـ وأمَّ المصلين معالي الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله ابن حميد إمام وخطيب المسجد الحرام وعضو هيئة كبار العلماء ، وشيعته جموع غفيرة يتقدمهم العلماء والكبراء من أعضاء هيئة كبار العلماء وأئمة الحرمين الشريفين والقضاة والمشايخ والمسئولين ، وكان يومًا مشهودًا ، وجنازة مهيبة ، وقد نعاه الديوان الملكي ، وعزى الأمة الإسلامية بفقده من منبر المسجد الحرام معالي الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس إمام وخطيب المسجد الحرام، والرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، في خطبة الجمعة ٨/ ٢/ ١٤٣٤هـ وصلى عليه المسلمون صلاة الغائب في عدد من دول العالم الإسلامي.

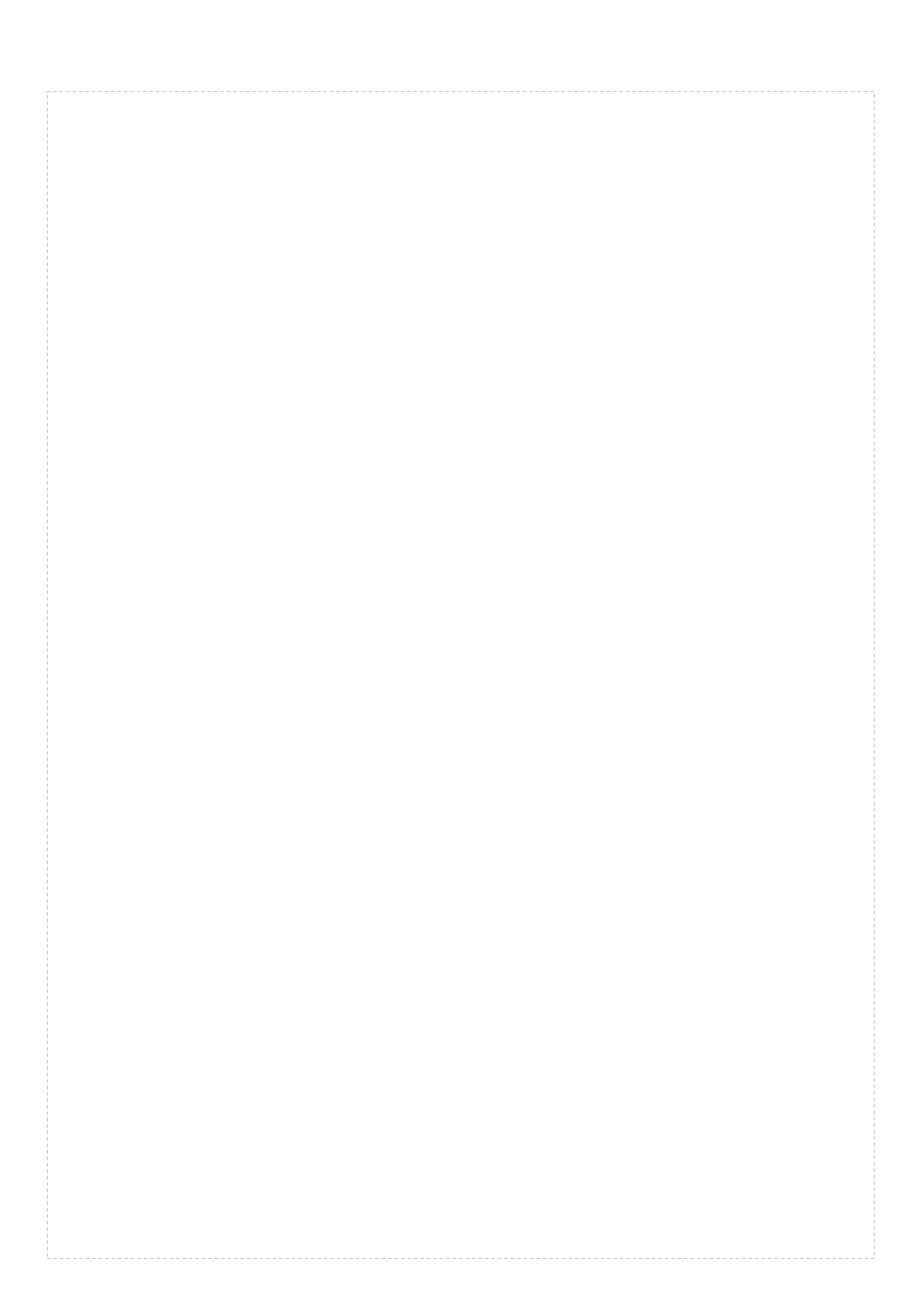
رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته ، وجعل منزلته في عليين.

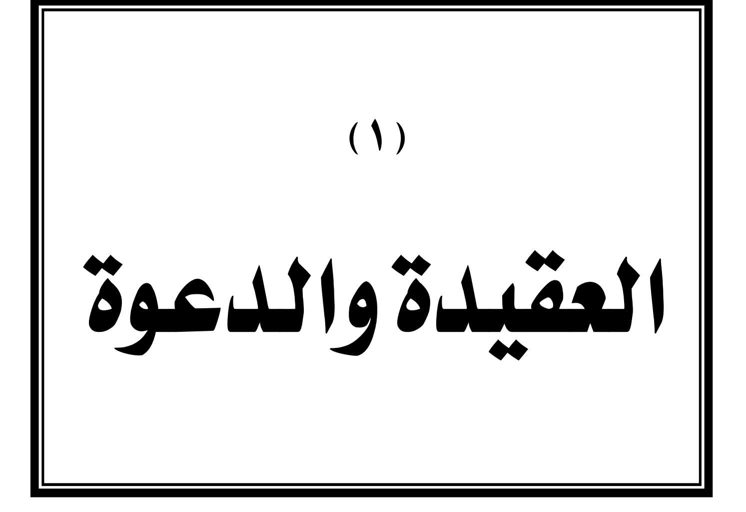
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وكتبه

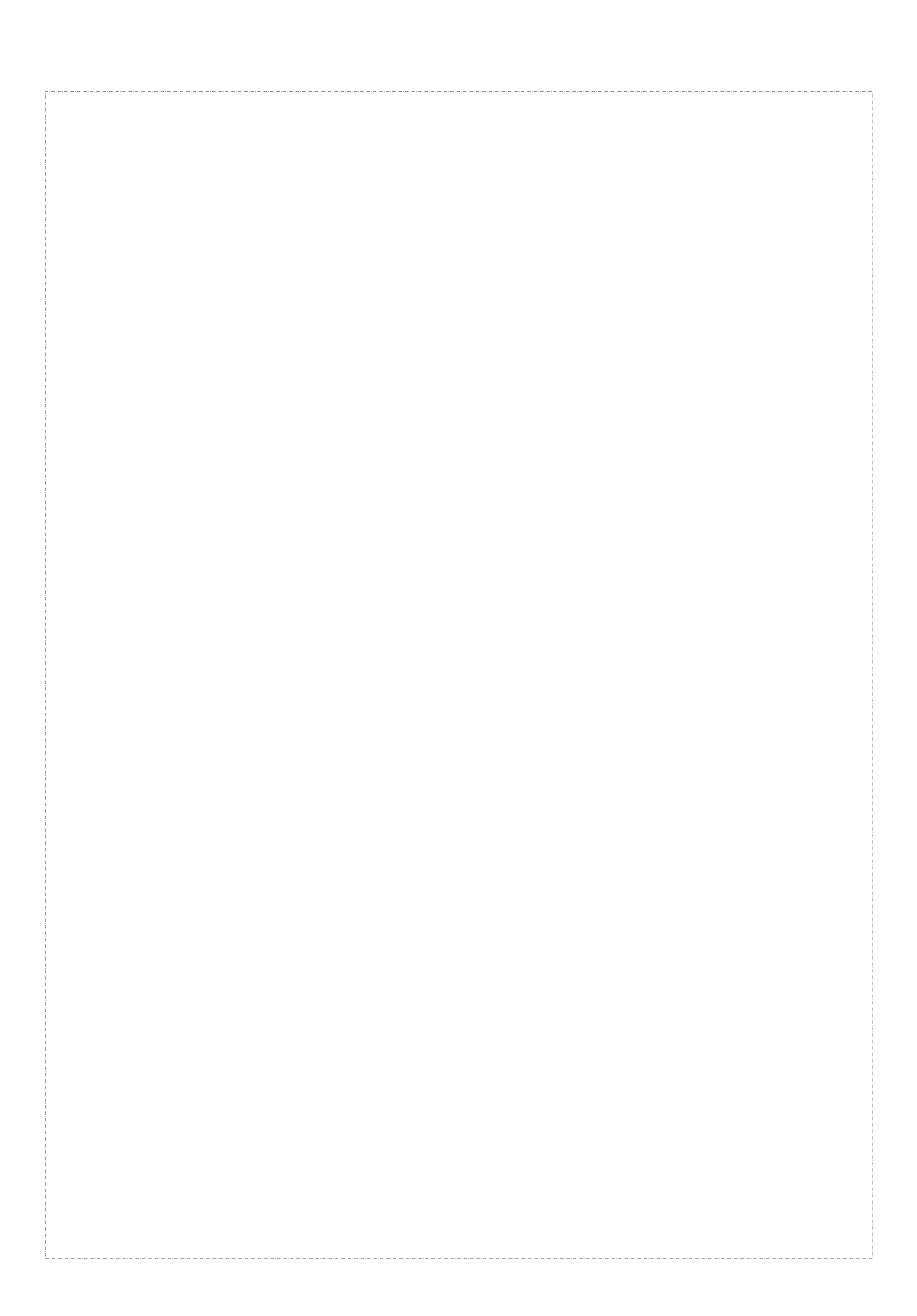
عبد المجيد بن محمد السبيل

١/ ٣/ ١٤٣٤هـ




(١)

العقيدة والدعوة



التوحيد وأنواعه

أنواع التوحيد

١ - سائل يقول :

ما هي أنواع التوحيد ؟

الجواب :

قسم العلماء رحمهم الله تعالى التوحيد إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : توحيد الربوبية : ومعناه أن توحد الله سبحانه وتعالى بأفعاله ، فهو سبحانه خالق السموات والأرضين ، وهو خالق الخلق ، وهو الرازق ، هذه أفعاله هو سبحانه وتعالى فتوحد الله بأنه هو الواحد المتصرف في هذه الأمور، لا يخلق إلا الله ، ولا يرزق إلا الله ، والأمر كله بيد الله ، وسمي بتوحيد الربوبية ؛ لأنه سبحانه وتعالى الرب ، فهو المربي ، وهو الخالق الذي خلق عباده ورباهم بأصناف النعم .

القسم الثاني : توحيد العبادة أو توحيد العبودية ويسمى أيضًا بتوحيد الألوهية: وهو الذي يتعلق بك أنت أيها العبد ، ومعناه أن توحد الله بأفعالك أنت ، فالصلاة صادرة منك ، تصليها لله ، فلا

تصلي لله وتصلي لغيره ، بل توحد الله بها ، فلا تصلي إلا له سبحانه ، ولا تعبد إلا الله ، ولا تدعو إلا الله ، ولا تسأل إلا الله ، ولا تتوكل إلا على الله ، ولا تستغيث إلا بالله ، ولا تستعين إلا به سبحانه وتعالى. قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٦٢-١٦٣] .

القسم الثالث : توحيد الأسماء والصفات : فالله سبحانه وتعالى له أسماء وله صفات ، فتوحد الله بها، فلا تجعل بعض صفات الله صفة لخلقه ، فهذا من الإلحاد ، فالله سبحانه يقول : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ [الأعراف:١٨٠] ، مثل ما كان أهل الجاهلية يفعلون ، فقد اشتقوا اسم(مناة) الوثن الذي كانوا يعبدونه من دون الله من اسم الله المنان، فالمنان هو الله سبحانه وتعالى الذي يمن على خلقه ويخلقهم ويرزقهم . واشتقوا اسم (العزى) الصنم الذي كانوا يعبدونه من اسم الله العزيز ، فهذا من الإلحاد في أسماء الله .

وصفاته سبحانه وتعالى هي أسماء له ، فتصفه بالرحمة ، والله أعلم كيفية هذه الرحمة ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب:٤٣] ، لكن ما هي الرحمة وهل تشبه رحمة الخلق ؟ حاشا وكلا ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، فله رحمة تخصه سبحانه وتعالى . فالواجب على المؤمن أن يثبت لله سبحانه وتعالى ما

أثبته لنفسه من أسمائه وصفاته ، وكذا ما أثبته له رسوله ﷺ دون تحريف ولا تمثيل ولا تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل،ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. والله أعلم .

تحقيق التوحيد

٢ - سائل يقول :

كيف يتم تحقيق التوحيد ؟

الجواب :

التوحيد يتحقق بتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، فيخلص المسلم العبادة لله وحده ، قال تعالى : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥] .

والعبادة تشمل كل ما يحبّه الله ويرضاه من أعمال القلب والجوارح ، يتوجّه بها إلى الله وحده دون شريك أو وسيط أو ند .

وأعمال القلب هي الإيمان الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشرّه .

وأعمال الجوارح هي العمل بالأركان . وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا رسول الله ، ومضمونها الإقرار الجازم أن لا

معبود بحق إلا الله ، وأن لا متبوع بحق إلا رسول الله ﷺ ، وإقام الصّلاة ، وإيتاء الزّكاة ، وصوم رمضان ، وحجّ البيت لمن استطاع إليه سبيلًا .

فمن آمن جنانه ، وأقرّ لسانه ، وعملت جوارحه مخلصة العمل لله وحده استحق الجنة ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأحقاف:١٣-١٤] .

وقد بينها رسول الله ﷺ في كلمتين : الإيمان والاستقامة ، ففي الحديث الذي رواه سفيـان بن عبد الله رضي الله عنه قال : «قلت : يا رسول الله ، قل لي في الإسلام قولًا ، لا أسأل عنه أحدًا غيرك. قال : قل : آمنت بالله ثمّ استقم » رواه مسلم[1] .

فإذا حقق الشهادتين وعمل بباقي أركان الإسلام وحقق أركان الإيمان ولم يقع في شيء من الشرك الأكبر المخرج من الملة ولا بشيء من الشرك الأصغر المنافي لكمال الإيمان والتزم سنة النبي ﷺ وابتعد عن البدع والإحداث في الدين فقد تحقق التوحيد لله تعالى . نسأل الله أن يجعلنا منهم ، والله المستعان .

---

(١) صحيح مسلم ، رقم (٣٨) .

الفطرة التي خلق الله
عليها العباد

٣ - سائل يقول :

ما هي الفطرة التي خلق الله عليها العباد ؟

الجواب :

الفطرة هي فطرة الإسلام ، وهو دين الإسلام وتوحيده سبحانه وتعالى ، كما جاء عن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته : « ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا ، كلُّ مالٍ نحلتُه عبدًا حلالٌ ، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم » رواه مسلم[١] ، وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: « ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء . ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه : ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [الروم:٣٠] » رواه البخاري[٢] .

وسائر ملل الكفر من عباد الأوثان ، وعباد القبور وغيرهم

(١) صحيح مسلم ، رقم (٢٨٦٥) .
(٢) صحيح البخاري ، رقم (١٣٥٩) .

ينشئون أولادهم على هذا والعياذ بالله ، فهم يحولون فطرتهم ، وإلا ففطرتهم الإسلام كما جاء في الآية. والله أعلم .

الخوف والرجاء

٤ – سائل يقول :

كيف يجمع العبد بين الخوف والرجاء ؟

الجواب :

جمع الله تعالى بين الخوف والرجاء في كتابه العزيز في عدد من الآيات ، كما في قوله تعالى : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾ [الحجر:٤٩-٥٠] . وقال تعالى : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠] .

ولذا ينبغي على المؤمن أن يعيش في هذه الدنيا كالطائر الذي له جناحان ورأس ، أما الجناحان : فالخوف والرجاء ، وأما الرأس فالمحبة . وينبغي له أن يغلِّب في حال الصحة : الخوف ، وفي حال مرض الموت الرجاء ، حتى يلقى ربه وهو حسن الظن به ، وقد جاء الأمر من النبي بذلك ، قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه : «سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول : لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله » رواه مسلم[1] . والله أعلم .

---

(١) صحيح مسلم ، رقم (٢٨٧٧) .

الأسماء والصفات

رسالة في تفسير الأسماء والصفات

٥ - الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد :

فهذه رسالة موجزة في تفسير آيات الصفات على منهج السلف الصالح ، القائم على إثبات الأسماء والصفات لله تعالى التي أثبتها سبحانه لنفسه، أو أثبتها له رسوله ﷺ ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ولا تكييف ولا تمثيل ، ولا تشبيه ، والإيمان الكامل بأنه سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، وأن له سبحانه وتعالى الأسماء الحسنى والصفات العلى على ما يليق بجلاله سبحانه .

وعلى هذا كان أئمة السلف من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم حتى ظهر المبتدعة ، فحرفوا ، وبدلوا ، وشبهوا ، وعطلوا ، وظهر في ذلك طوائف متعددة .

وقد بين السلف الصالح رضوان الله عليهم الاعتقاد الصحيح ، وصنفوا في ذلك المصنفات ، منها :

كتاب السنن للالكائي ، والإبانة لابن بطة ، والسنة لأبي ذر

الهروي ، والأسماء والصفات للبيهقي ، والسنة للطبراني ، ولأبي الشيخ الأصبهاني ، ولأبي عبد الله بن مندة ، والسنة للخلال ، والتوحيد لابن خزيمة ، والسنة لعبد الله بن أحمد ، والسنة لأبي بكر ابن الأثرم ، والسنة لحنبل، وللمروزي ، ولأبي داود السجستاني ، ولابن أبي شيبة ، والسنة لأبي بكر بن أبي عاصم ، وكتاب خلق أفعال العباد للبخاري ، وكتاب الرد على الجهمية لعثمان بن سعيد الدارمي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن ذكر هذه المصنفات مبينًا أن أئمة الإسلام على هذا المعتقد ، وأن كلامهم دال على هذا :

« وكلام الأئمة المشاهير مثل مالك ، والثوري، والأوزاعي ، وأبي حنيفة ، وحماد بن زيد ، وحماد بن سلمة ، وعبد الرحمن بن مهدي ، ووكيع بن الجراح ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، وأبي عبيدة ، وأئمة أصحاب مالك ، وأبي حنيفة ، والشافعي ، وأحمد ، موجود كثير لا يحصيه أحد» اهـ.

وسلف الأمة وأئمتها متفقون على الإثبات ، رادون على الواقفة والنفاة ، مثل ما رواه البيهقي وغيره عن الأوزاعي قال: «كنا – والتابعون متوافرون – نقول: إن الله فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته ».

قال الإمام أحمد رحمه الله : « لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ، لا يتجاوز القرآن والحديث » .

وقال نعيم بن حماد – شيخ البخاري – : « من شبه الله بخلقه كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه كفر ، وليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيه ولا تمثيل ؛لأنه سبحانه لا سَمِيَّ له ، ولا كفء له ، ولا ند له ».

قال أبو داود الطيالسي : « كان سفيان وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وشريك وأبو عوانة – لا يحدون ولا يشبِّهون ولا يمثلون ، يروون الحديث ولا يقولون : كيف ؟ وإذا سئلوا قالوا بالأثر » .

وقال إسحاق بن راهويه : « من وصف الله بشيء فشبه صفاته بصفات أحد من خلق الله فهو كافر بالله العظيم » .

ومن كلام أبي حنيفة – رحمه الله – في الفقه الأكبر : «لا يشبه شيئا من خلقه . ثم قال بعد ذلك : وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين ، يعلم لا كعلمنا ، ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا».

وقال الإمام مالك رحمه الله ، لما سئل عن قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ﴾ [الأعراف:٥٤] كيف استوى ؟ فقال : «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة».

قال عبد الله بن نافع: « كان مالك بن أنس يقول: الله في السماء وعلمه في كل مكان » .

وقال معدان: « سألت سفيان الثوري عن قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ

﴿مَعَكُمْ﴾ [الحديد :٤] قال : علمه » .

وروى الخلال بأسانيد – كلهم أئمة – عن سفيان بن عيينة قال : « سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن قوله تعالى : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه :٥] كيف استوى ؟ قال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، ومن الله الرسالة ، ومن الرسول البلاغ ، وعلينا التصديق » .

وروي عن أبي عيسى الترمذي قال : « هو على العرش كما وصف في كتابه ، وعلمه وقدرته وسلطانه في كل مكان ».

وأقوالهم رحمهم الله تعالى في هذا الباب كثيرة لا تكاد تحصى .

ونذكر هنا الآيات التي فيها إثبات صفات الله تعالى ونشرحها على منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم :

فنقول وبالله التوفيق :

قوله سبحانه : ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ : أبدأ أي أشرع باسم الله ذي الرحمة الشاملة لجميع الخلائق في الدنيا ، وللمؤمنين في الآخرة ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ كثير الرحمة بالمؤمنين في الآخرة . ففي قوله تعالى : ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ إثبات صفة الرحمة لله جل وعلا على ما يليق به سبحانه وتعالى ، من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل .

قال تعالى : ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة : ١٩٥] .

في أول الآية حث الله تعالى عباده المؤمنين على الصدقة

والإنفاق في وجوه الخير ، ثم ذكر بعده الإحسان ، وهو أعلى مقامات الطاعة .

وفي هذه الآية وأمثالها دليل على أن المحبة صفة لله سبحانه وتعالى كسائر صفاته ، على ما يليق بجلاله وعظمته . ومن ثمراتها الإنعام وإرادة الخير بالعباد المؤمنين به[١].

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] .

فيها إخبار عما وقع بين أتباع الرسل وبين من عاداهم من التنازع حسدًا وبغيًا ، ومعناه لو شاء الله عدم اقتتالهم لم يقتتلوا ؛ لأن كل ذلك عن قضاء الله وقدره ، لا راد لأمره ، ولا معقب لحكمه . فالمشيئة صفة من صفاته جل وعلا ، وفي هذه الآية رد على من زعم أن الله شاء الإيمان من الكافر ، والكافر شاء الكفر ، فغلبت مشيئة الكافر على مشيئة الله ، بل الله يفعل ما يريد ، وما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن[٢].

وقوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ

---

(١) وقد وردت صفة المحبة لله جل وعلا في البقرة ١٩٠، ١٩٥، ٢٢٢، آل عمران ١٤٦،١٣٤،٧٦،٣١، ١٤٨، ١٥٩، المائدة ١٣، ٤٢، ٥٤، ٩٣، التوبة ٤، ٧، ١٠٨، وغيرها .

(٢) وردت صفة المشيئة في آيات كثير منها البقرة ٢٠،٧٠، ٢٢٠، ٢٥٣، ٢٥٥، النساء ٩٠، المائدة ٤٨، الأنعام ٣٥، ٤١، ١٠٧، ١١٢، ١٣٨، الأعراف ١٨٨، التوبة ٢٨ ، وغيرها .

كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة:٢٥٥].

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ أي : لا معبود بحق إلا الله ﴿ ٱلْحَيُّ ﴾ (١) أي الدائم الباقي الذي لا سبيل للفناء عليه ، ﴿ ٱلْقَيُّومُ ﴾ (٢) أي القائم بنفسه ، المقيم لما سواه ، فإن الحياة مستلزمة لصفات الكمال ، والقيوم متضمن لكمال غناه وقدرته . ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ ﴾ وهي الوسن والنعاس﴿ وَلَا نَوْمٌ ﴾ فإن النوم أقوى من السنة ، أي أنه سبحانه وتعالى لا يعتريه نقص ، ولا غفلة ، ولا ذهول ، ولا يغيب عنه شيء ، ولا تخفى عليه خافية .

﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ أي ليس لأحد أن يشفع عنده لعظمته وكبريائه إلا بأمره .

﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ أي لا يحيط الخلق بشيء من علمه إلا بما شاء أن يعلمهم إياه ويطلعهم عليه .

﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ أي ملأ وأحاط ، والكرسي مخلوق عظيم ، وهو موضع القدمين لله سبحانه وتعالى ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما . وقيل : إنه العرش ، والصحيح الأول . وتفسير الكرسي بالعلم ليس بصحيح .

﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ﴾ أي لا يكرثه ، ولا يثقله ، ولا يعجزه

(١) وردت صفة الحي لله تعالى في : البقرة : ٢٥٥، آل عمران : ٢، طه : ١١١، الفرقان: ٥٨ ، غافر: ٦٥.

(٢) وردت صفة القيوم لله تعالى في : البقرة : ٢٥٥ ، آل عمران: ٢، طه: ١١١.

حفظهما أي حفظ السماوات والأرض وما بينهما ، بل ذلك عليه سهل لكمال قدرته .

﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ(١) ٱلۡعَظِيمُ (٢)﴾ له سبحانه وتعالى العلو المطلق من جميع الوجوه : علو القدرة وعلو القهر ، وعلو الذات ، فهو قاهر لكل شيء ، قادر عليه ، متصرف فيه ، ومنزه من كل نقص وعيب . ﴿ٱلۡعَظِيمُ ﴾ الذي لا أعظم منه ولا أجل ، لا في ذاته ، ولا في أسمائه وصفاته وأفعاله .

قوله تعالى : ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾ (٣) [آل عمران : ٥٤].

﴿ وَمَكَرُواْ ﴾ أي كفار بني إسرائيل حين أرادوا قتل عيسى عليه السلام وصلبه ، والمكر: فعل شيء يراد به ضده ﴿ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ ﴾ أي جازاهم على مكرهم بأن رفع عيسى عليه السلام إلى السماء ، وألقى شبهه على شخص آخر حتى قتل .﴿ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾ أي أقواهم ، وأقدرهم على العقاب ، من حيث لا يشعر المعاقب .

---

(١) وردت صفة العلو لله تعالى في : البقرة : ٢٢٥، النساء : ٣٤، الحج : ٦٢، لقمان : ٣٠، سبأ : ٢٣، الغافر : ١٢، الشورى : ٤، ٥١، الزخرف : ٤، الأعلى : ١، الليل: ٢٠.

(٢) وردت صفة العظيم لله تعالى في : البقرة : ٢٥٥، الشورى : ٤، الواقعة : ٧٤، ٩٦، الحاقة : ٣٣، ٥٢.

(٣) وردت كلمة المكر منسوبة إلى الله سبحانه في : آل عمران : ٥٤، الأنفال : ٣٠، الرعد : ٤٢، النمل ٥٠، الأعراف : ٩٩، يونس : ٢١، فهو بين قدرته على معاملتهم فعلهم .

والمكر ينقسم إلى قسمين: محمود ومذموم ، فإن حقيقته إظهار أمر وإخفاء خلافه؛ ليتوصل به إلى مراده ، ومكر الله سبحانه وتعالى بأهل المكر جزاء لهم من جنس عملهم ، والمكر وما أشبه ذلك مثل الكيد والخداع لم يصف الله به نفسه إلا مقرونًا بفعل العباد من مكر وكيد وخداع .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾ [1] [الطارق : ١٥-١٦]. أي أن كفار قريش يكيدون كيدًا ، ويدبرون في شأن رسول الله ﷺ الأضرار وإبطال أمره ، ﴿ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾ أي أجازيهم على كيدهم باستدراجهم ، وإملائهم ، حتى آخذهم على غرة ، فإذا فعل ذلك أعداء الله بأوليائه ، كان كيد الله لهم حسنًا لا قبح فيه ، لمجازاتهم بمثل فعلهم ، والجزاء من جنس العمل .

وقد سبق أن الله عز وجل لم يصف بالكيد والمكر والخداع نفسه إلا مقرونًا بفعل العباد من مكر وكيد وخداع ؛ مجازاة لهم بجنس عملهم .

وقوله تعالى : ﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ ﴾ [النساء : ٩٣] .

ذكر الله عز وجل في أول الآية عظم ذنب قتل المؤمن ، ثم أخبر عن غضبه على القاتل ، أي أن من فعل ذلك يغضب الله عليه، ﴿وَلَعَنَهُۥ ﴾ أي طرده من رحمته .

---

(١) وردت كلمة الكيد منسوبة إلى الله تعالى في : الأعراف : ١٨٣، يوسف :٧٦، القلم: ٤٥، الطارق: ١٦.

ففي هذه الآية إثبات صفة الغضب لله عز وجل[1]، وأنه سبحانه وتعالى يغضب ويرضى كما يليق بجلاله وعظمته .

وقوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ [النساء: ١٦٤] .

أي خص الله نبيه موسى عليه السلام بالكلام [2]معه تشريفًا له، كما في قوله تعالى ﴿ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ ﴾ [البقرة:٢٥٣].

وهذا الكلام أخص من مطلق الوحي ؛ لأن التأكيد بالمصدر بعده يرفع توهم الإلهام والإشارة غير الكلام الحقيقي ، فوجب أن نؤمن بأن الكلام صفة من صفات الله عز وجل ، ولم يزل متكلمًا إذا شاء وكيف يشاء ومتى شاء كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الشعراء : ١٠].

أي اذكر يا محمد إذ نادى ربك موسى وناجاه حقيقة من وراء حجاب ، وبلا واسطة أو وحي ، أن ائت قوم فرعون وادعهم إلى الصراط المستقيم . ففيها إثبات صفة الكلام والنداء للباري جل وعلا لمن يشاءه من عباده .

---

(١) وردت صفة الغضب لله تعالى في البقرة : ٦١، آل عمران : ١١٢، النساء : ٩٣، المائدة : ٦٠، الأعراف : ٧١، الأنفال : ١٦، النحل : ١٠٦، طه : ٨١، ٨٦، النور: ٩، الشورى : ١٦، ٣٧، الفتح : ٦، المجادلة : ١٤، الممتحنة : ١٣.

(٢) وردت صفة الكلام لله تعالى في البقرة : ١٧٤، ٢٥٣، آل عمران : ٧٧، الأعراف: ١٤٣، الشورى : ٥١، التوبة : ٦، الفتح : ١٥.

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ٦].

أي وإن طلب منك يا محمد أحد من المشركين الأمن فأمنه حتى يسمع كلام الله وهو القرآن . ففي هذه الآية الكريمة دليل على أن القرآن كلام الله، منزل غير مخلوق ، نزله على نبينا محمد ﷺ . منه بدأ وإليه يعود ، وأن الكلام صفة من صفات الله ، تكلم به سبحانه وتعالى حقيقة ، وبلغه عنه جبريل إلى نبينا محمد ﷺ.

وقوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ ﴾ [التوبة : ٤٦].

أي أبغض الله خروجهم معكم إلى الغزو ، ﴿ فَثَبَّطَهُمْ ﴾ أي كسلهم عن الخروج للغزو قضاء وقدرًا ، وإن كان قد أمرهم بالغزو شرعًا ، وأقدرهم عليه ، ولكن ما أراد إعانتهم ، بل خذلهم لحكمة يعلمها سبحانه وتعالى . ففي هذه الآية إثبات صفة الكره لله جل وعلا على ما يليق بجلاله سبحانه وتعالى .

وقوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦].

أي جزاء الذين أحسنوا في أعمالهم الجنة ، والنظر إلى وجه الله تعالى . ومعنى الزيادة : هو النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى ، كما

فسره الرسول ﷺ بما فيما رواه مسلم[١] وغيره ، وكما في قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣] . ﴿ نَّاضِرَةٌ ﴾ من النضارة ، وهي الحسن والإضاءة ، أي وجوه المؤمنين يوم القيامة حسنة ومضيئة. ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ من النظر، أي تنظر إلى خالقها بالعين حقيقة ، ففي هاتين الآيتين : أن الله جل وعلا يُرى عيانًا بالأبصار يوم القيامة لعباده الصالحين ، كما ثبت في الصحيحين عن المعصوم ﷺ بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة ، لا يضارون في رؤيته[٢] .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [سورة النحل : ١٢٨] .

أي أن الله مع الذين تركوا المحرمات ، وأتوا بالمأمورات ، وأحسنوا في الطاعات،ينصرهم، ويؤيدهم، ويحفظهم من الأعداء.

فقد تضمنت هذه الآية إثبات صفة المعية[٣] لله عز وجل ، والمعية نوعان :

١ – خاصة : وهي معيته لرسله وأوليائه بالنصر والتأييد والتوفيق .

---

(١) صحيح مسلم ، رقم (١٨١) .

(٢) صحيح البخاري ، رقم (٥٥٤) ، وصحيح مسلم ، رقم (١٨٢) .

(٣) وردت صفة المعية لله تعالى في : البقرة : ١٩٤، ٢٤٩، المائدة : ١٥، الأنفال : ٦٦، التوبة : ٣٦، ٤٠، ١٢٣، النحل : ١٢٨، العنكبوت : ٦٩، طه : ٤٦.

٢ – عامة شاملة لجميع المخلوقات ، فهو سبحانه وتعالى مع كل شيء بعلمه وقدرته وقهره وإحاطته ، لا يغيب عنه شيء ولا يعجزه وهي المذكورة في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [سورة الحديد : ٤] أي معكم بعلمه كما قال ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك وسفيان وأحمد رحمهم الله ، رقيب عليكم ، شهيد على أعمالكم حيثما كنتم ، من بر أو بحر ، في الليل أو النهار .

وقوله تعالى : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم : ٦] .

أي هل تعلم له مساميًا ومشابهًا من المخلوقين ، هذا الاستفهام بمعنى النفي المعلوم بالعقل ، أي لا تعلم له مشابهًا ؛ لأنه الرب وغيره المربوب ، وهو الغني بذاته من جميع الوجوه وغيره الفقير ، وهو الكامل وغيره ناقص ، فهذا برهان قاطع على أنه هو المستحق للعبادة وحده ، وهذا النفي متضمن لإثبات جميع صفات الكمال على وجه الإجمال .

قال تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] (١) .

أي استوى على العرش ، استواء يليق بجلاله وعظمته ، لا نكيفه ، ولا نمثله ، ولا يعلم كيف هو إلا هو سبحانه ، كما قال

---

(١) وقد ورد ذكر الاستواء على عرشه جل وعلا في مواضع : سورة الأعراف : ٥٤، يونس : ٣، الرعد : ٢، طه : ٥، الفرقان : ٥٩، ألم السجدة : ٤، الحديد : ٤.

الإمام مالك رحمه الله : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة .

فقول الإمام مالك : الاستواء معلوم أي في لغة العرب . وقوله : والكيف مجهول : أي كيفية استوائه لا يعلمه إلا هو ، فكما أن له ذاتًا لا يعلم كيفيتها إلا هو ، فكذلك جميع صفاته سبحانه لا يعلم حقيقتها إلا هو ، من السمع ، والبصر، والاستواء ، والرضى، والغضب ، وغير ذلك .

فيجب علينا إثباتها كما أثبتها لنفسه سبحانه وكما أثبتها له أعلم الخلق به وهو نبينا ﷺ ، أما كيفيتها ، فلا يعلمها إلا الله وهو سبحانه ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

وقال تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ [فاطر : ١٠].

﴿ إِلَيْهِ ﴾ أي إلى الله سبحانه وتعالى ﴿ يَصْعَدُ ﴾ أي يرتفع : والصعود هو الارتفاع ، وقوله : ﴿ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ يعني الذكر والتلاوة والدعاء والعمل الصالح يرفعه ، أي العمل الخالص الخالي من الرياء الموافق للسنة ، يرفعه الله تعالى إليه فيقبله .

ففي هذه الآية الكريمة إثبات صفة العلو لله سبحانه وتعالى ، حيث إن الصعود والرفع لا يكون إلا من الأسفل إلى أعلى .

قال تعالى: ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ [طه: ٣٩].

في هذه الآية الكريمة إثبات محبة الله سبحانه وتعالى لنبيه موسى وتحبيبه إياه لخلقه ، وفيها عناية الله بعبده موسى وتربيته على مرأى منه .

ففيها إثبات العين لله عز وجل التي يرى بها جميع المرئيات حقيقة كما يليق بجلاله وعظمته جل وعلا فيجب علينا إثبات ما أثبته الباري لنفسه من صفات مع القطع واليقين بأنها لا تشبه حقائق المخلوقين.

وقال تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص : ٧٥].

قال سبحانه وتعالى مخاطبًا لإبليس لما امتنع من السجود لآدم: أي شيء منعك أن تسجد سجود تعظيم لآدم الذي خلقته بيدي؟!

ففي هذه الآية إثبات اليدين[1] لله سبحانه وتعالى حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته . وكما ورد في قوله تعالى : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة ٦٤]. أي يداه جل وعلا مبسوطتان بالفضل والعطاء ينفق ربنا كيف يشاء ليلًا ونهارًا ، فيجب علينا أن نؤمن بكل ما أثبته الله عز وجل لنفسه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

---

(١) وردت صفة اليد لله تعالى في : آل عمران : ٢٦، ٧٣، المائدة : ٦٤، المؤمنون : ٨٨، يسن : ٨٣، الفتح : ١٠، الحديد : ٢٩، الملك :٧٦.

قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ [محمد : ٢٨].

ذكر في أول الآية ضرب الملائكة للكفار في وجوههم وأدبارهم ثم قال : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ...﴾ الآية ، أي ذلك الضرب والقبض لأرواحهم بهذه الشدة بسبب اتباعهم ما يسخط الله من الكفر وعداوة الرسول ، وبسبب كراهيتهم ما يرضيه من الإيمان والعمل الصالح .

ففي هذه الآية الكريمة إثبات صفة السخط [١] والرضا لله سبحانه وتعالى ، فهو سبحانه يسخط ويرضى حقيقة.

وقوله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [المائدة :١١٩] .

فيها إخبار من الله جل وعلا عن رضاه عن المؤمنين ، ورضاهم عنه ، ففي هذه بيان صفة الرضا [٢] لله سبحانه على ما يليق بجلاله وعظمته ، فرضاه عنهم هو أعظم وأجل من كل ما أعطوا من النعم ، كما قال تعالى :﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة:٧٢] ورضاهم عنه هو رضا كل منهم بمنزلته وسروره بها حتى يظن أنه

---

(١) وردت صفة السخط لله تعالى في آل عمران : ١٦٢، المائدة : ١٠، محمد : ٢٨.

(٢) وردت صفة الرضا لله تعالى في البقرة : ٢٠٧، ٢٦٥، آل عمران : ١٥، ١٧٤، ١٦٢، النساء : ١٠٨، ١١٤، المائدة :١١٩، ٣٠٢، التوبة ٢١، ٧٢، ٩٦، ١٠٠، ١٠٩، النمل : ١٩، طه : ٨٤، ١٠٩، الأنبياء : ٢٨، النور : ٥٥، الزمر : ٧، محمد : ٢٨، الأحقاف : ١٥، الفتح : ١٨، الحديد : ٢٠، ٢٧، المجادلة : ٢٤، الممتحنة : ١.

لم يؤت أحد أفضل مما أوتي .

وقوله تعالى : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن :٢٧] .

ذكر الله عز وجل قبل ذلك فناء جميع المخلوقات ، ثم بين أنه يبقى وجهه الكريم ذو العظمة والكبرياء ، ذو الإكرام : أي المكرم لأنبيائه وعباده الصالحين ، وفناء الخليقة كلها وبقاء الخالق دليل على كمال قدرته .

ففي هذه الآية إثبات صفة الوجه لله عز وجل كما يليق بجلاله من غير تكييف ولا تمثيل .

وقال تعالى:﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد : ٣].

فهو الأول الذي ليس قبله شيء ، والآخر الذي ليس بعده شيء ، والظاهر الذي ليس فوقه شيء ، والباطن الذي ليس دونه شيء ، كما ورد تفسير هذه الأسماء الحسنى بما ذكر عن النبي ﷺ فيما رواه مسلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه[1] .

وقوله تعالى : ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١].

أوحى الله إلى نبيه محمد ﷺ أنه سمع قول المرأة التي جاءت تجادل في شأن زوجها حين ظاهر منها ، وتشتكي سوء حالها ، وما

---

(١) صحيح مسلم ، رقم (٦١) .

بها من المكروه ، وضياع العيال ، والفاقة والجهد ، ﴿ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ﴾ أي مراجعتكما الكلام .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ أي أحاط سمعه بجميع المسموعات والأصوات ، وبصره بجميع المبصرات .

قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٨].

أي يبصرك وينظر إليك ، لا تخفى عليه خافية ، فتوكل عليه ، فإنه سيحفظك وينصرك . وقوله ﴿ حِينَ تَقُومُ ﴾ أي : يراك حين تقوم للصلاة وغيرها ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ من قيام وقعود وركوع وسجود مع المصلين .

ففي هذه الآيات الكريمات إثبات صفة السمع لله عز وجل ، وأنه أحاط سمعه جميع المسموعات والأصوات سرها وعلانيتها ، كما أن فيها إثبات صفة البصر التي يدرك بها المبصرات بجميع أنواعها ، فيجب الإيمان بها من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، كما يليق بجلاله وعظمته سبحانه وتعالى [1].

وقوله تعالى : ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف : ٣]. أي عظم غضب الله وبغضه على أن تقولوا شيئًا

(١) ورد إثبات صفة السمع والبصر لله عز وجل في آيات كثيرة منها :في النساء: ٥٨،١٣٤،الإسراء: ١، طه : ٤٦، الحج : ٦١، ٧٥، لقمان : ٢٨، غافر : ٢٠، ٥٦، المجادلة :١، الإنسان :٢.

بأفواهكم ، ولا تعملوا به . والمقت أشد البغض ، ففيها إثبات صفة المقت [١] لله عز وجل ، كما يليق بجلاله وعظمته .

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴾ [البروج : ١٤].

أي هو سبحانه وتعالى كثير الغفران ، يغفر ذنب من تاب إليه وخضع له ، مهما عظم ذنبه . ﴿ ٱلْوَدُودُ ﴾ كثير المودة والحب ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الحبيب ، فهو سبحانه وادٌّ لأوليائه ، وموودود لهم ، ففي هذه الآية بيان صفة الود [٢] لله تعالى ، كما يليق بجلاله سبحانه وتعالى .

وقوله تعالى : ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢].

أي جاء الله لفصل القضاء بين عباده ﴿ وَٱلْمَلَكُ ﴾ أي جنس الملائكة يأتون ﴿صَفًّا صَفًّا﴾ يصفون صفا بعد صف.

وكما قال تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾ [البقرة:٢١٠]. أي هل ينتظر الكفار إلا أن يأتيهم -أي لفصل القضاء بين الأولين والآخرين- فيجزي كل عامل بعمله ، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر﴿ فِى ظُلَلٍ﴾ أي السحاب الأبيض الرقيق ، سمي غمامًا ؛ لأنه يغم أي يستر . ﴿ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾ أي تأتي الملائكة في ظلل من الغمام. ففي هاتين

---

(١) ورد إثبات صفة المقت في كتاب الله في : الصف : ٣، غافر : ١٠، ٣٥.

(٢) وردت صفة الود لله تعالى في : هود : ٩٠، والبروج : ١٤.

الآيتين إثبات مجيء الله سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله وعظمته ، وقد ورد هذا في صحيح السنة أيضًا كثيرًا ، وتأويله بمجيء الأمر خلاف مذهب السلف ، فيجب علينا أن نؤمن بمجيئه سبحانه ، من غير تكييف ، ولا تمثيل ، ولا تحريف ، ولا تعطيل .

وقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [النحل : ١٢٨].

﴿ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ أي الأشباه أي فلا تُشبِّهوه بخلقه ، وتجعلوا له شريكًا ، فإن الله سبحانه وتعالى لا مثل له ولا ند له ، لا في أسمائه ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، وضرب المثل هو تشبيه حال بحال، فلا يمثل سبحانه وتعالى بخلقه ، ولا يشبه بهم في أي حال ؛ لأنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

وقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١].

أي أن الله سبحانه وتعالى لا مثيل له في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله ، ففي قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴾ رد على المجسمة والمشبهة والذين يصفونه سبحانه بصفات خلقه .

وقوله : ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ رد على الذين ينفون صفات الله ويتأولونها . فمذهب أهل السنة والجماعة وطريقة سلف هذه الأمة إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته رسوله ، من غير تحريف ، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل، فهو سبحانه يسمع بسمع

على ما يليق بجلاله ، ويبصر ببصر على ما يليق بجلاله مع القطع بأن صفاته لا تشبه صفات المخلوقين ، فكما أن له ذاتًا لا تشبه ذوات المخلوقين ، فكذلك له صفات لا تشبه صفات المخلوقين .

قال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص] .

والمعنى : قل قولًا جازمًا معتقدًا له عارفا بمعناه ﴿ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾الأحد المنفرد بالكمال الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العليا ، والأفعال المقدسة ، الذي لا نظير له ، ولا مثيل . ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ المقصود الذي يصمد إليه ، ويقصده جميع الخلق في طلب الحوائج . ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ لكمال غنائه . ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ أي مثيلًا لا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله . وقد تضمنت هذه السورة توحيد الأسماء والصفات .

هذا آخر ما قصدنا بيانه في هذه المسألة ، وما بينه علماء الإسلام من السلف الصالح ومن سار على نهجهم في هذا الأمر ، والله أعلم .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

معنى توحيد الأسماء والصفات

٦ - سائل يقول :

ما معنى توحيد الأسماء والصفات ؟

الجواب :

توحيد الأسماء والصفات هو أحد أنواع التوحيد الثلاثة ، وهي : توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات . ومعنى توحيد الأسماء والصفات هو أن تؤمن بكل اسم من أسماء الله تعالى ، أو صفة من صفاته ، أثبته الله جل وعلا لنفسه في كتابه ، أو أثبتها له رسوله ﷺ ، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١].

فيؤمن العبد بأن الله جل وعلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، ويؤمن بأنه يعجب سبحانه ، ويغضب جل وعلا ، ويرضى تبارك وتعالى ، وغير ذلك من صفاته سبحانه .

كما أن الواجب على المسلم أن يثبت الوجه واليد لله جل وعلا على ما يليق بجلاله وعظيم سلطانه ، صفات لا تشابه صفات المخلوقين ، فلا تشبيه ولا تأويل ولا تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف ، وصفات الرب جل وعلا كلها صفات كمال ، ولا

ينبغي للعبد أن يتكلف البحث عن شيء زائد لم يرد في الكتاب ولا في السنة ، بل إن ذلك بدعة ، وهذا هو منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم ، فقد سئل الإمام مالك رحمه الله عن معنى الاستواء ، فقال : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة . وكثير من الفرق التي ضلت في هذا الباب كان بسبب تركهم لهذا الأصل العظيم ، وهو التسليم التام والإيمان الكامل بكل ما أثبته الله جل وعلا لنفسه ، أو أثبته له رسوله ﷺ ، كما جاء في النصوص ، وترك البحث فيما وراء ذلك . وبالله التوفيق .

مذهب أهل السنة في الأسماء والصفات

٧ – سائل يقول :

ما هو مذهب أهل السنة في الأسماء والصفات ؟

الجواب :

مذهب أهل السنة والجماعة أن صفات الله سبحانه وتعالى تمر كما جاءت من غير تحريف ولا تأويل ، ولا تشبيه ولا تعطيل ، ولا تكييف ولا تمثيل ، كما قال سبحانه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١] ، فمثلًا هؤلاء الذين يقولون في تفسير قوله تعالى : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥] يقولون : إنه

استولى، قصدهم نفي الاستواء على العرش ، والذين يقولون : ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر : ٦٧] ، يقولون : اليد المراد بها القوة ، وهذا تحريف لكلام الله . فأهل السنة والجماعة يمرون صفات الله التي وردت في الآيات والأحاديث مثل اليد والقدم والساق والعين والوجه،فكل هذه الصفات يؤمنون بها كما جاءت، ولا يفسرونها ، ولا يؤولونها ، وإنما يثبتونها على ما يليق بجلال الله سبحانه ، وهي صفات كمال لا تشابه صفات المخلوقين ، ويقولون فيها كما قال الإمام مالك رحمه الله عن الاستواء: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة » . وبالله التوفيق .

أسماء الله الحسنى

٨ – المكرم الأخ / ...

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

فقد تلقيت خطابكم المتضمن سؤالكم عن وجود اسم (يا حنان) على كسوة الكعبة المشرفة ، مع أن هذا الاسم كما تقولون ليس من أسماء الله عز وجل ، وأنه قد ورد عند البخاري « إن لله تسعة وتسعين اسمًا »[1] ، وهذا الاسم لا يوجد في تلك الأسماء

(١) صحيح البخاري ، رقم (٢٥٨٥) ، ولم يرد ذكر الأسماء فيه كما زعم صاحب السؤال .

المذكورة في الحديث ؟

وإجابة على سؤالكم ، نقول وبالله التوفيق :

أولًا : أنه ورد في هذا الاسم عدة أحاديث :

أ - منها حديث رواه ابن حبان في صحيحه ٣/ ١٧٥ برقم ٨٩٣ وأحمد في مسنده ٣/ ١٥٨ عن أنس رضي الله عنه قال : كنت مع رسول الله ﷺ جالسًا في الحلقة ورجل قائم يصلي فلما ركع سجد وتشهد دعا ، فقال في دعائه : « اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام .. » الخ . وقد أخرجه غيرهما دون لفظ الحنان : فأخرجه النسائي ٣/ ٥٢ ، وأحمد ٣/ ٢٤٥ ، وأبو داود ١٤٩٥ ، والبخاري في الأدب المفرد ٧٠٥ ، والبغوي في شرح السنة ١٢٥٨، والحاكم في المستدرك١/ ٥٠٣-٥٠٤ ، وابن أبي شيبة ١٠/ ٢٧٢ ، وابن ماجه ٣٨٥٨ ، والترمذي ٣٥٤٤ .

ب - حديث آخر لأنس رضي الله عنه عند أحمد في المسند ٣/ ٢٣٠ ولفظه: « إن عبدًا في جهنم لينادي ألف سنة يا حنان يا منان .. » الخ ، ورواه الطبراني في معجمه الأوسط برقم (٤١٥٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه ولفظه : «ينادي مناد في النار يا حنان يا منان ...» الخ، وحسن إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٥٩، ورواه الحاكم في معرفة علوم الحديث ص ١٠٥ عن أبي ذر رضي الله عنه ولفظه : « فلان في النار ينادي يا حنان يا منان .. » الخ .

ج – قد يستدل أيضًا بحديث الشفاعة الطويل الذي يرويه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « يوضع الصراط بين ظهري جهنم عليه حسك ... ثم يتحنن الله تعالى برحمته على من فيها ..» الخ . رواه أحمد في مسنده برقم (١١٠٨١)، والطبري في التفسير ١٦/ ١١٣ ، وابن خزيمة في التوحيد ص ٣٢٥-٣٢٦ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ١٣/ ١٧٦-١٧٧ ، وابن ماجه مختصرًا (٤٢٨٠) والحاكم في المستدرك ٤/ ٥٨٥-٥٨٦ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .

وقال الإمام ابن القيم في النونية في فصل في النوع الثاني من النوع الأول ، وهو الثبوت :

هذا ومن توحيدهم إثبات أوصـ

ـــاف الكمال لربنـــا الرحمـــن

إلى أن قال :

حي مريـــد قـــادر متـكلـم

ذو رحمـــــة وإرادة وحنـــان

ثم قال الشيخ الهراس في شرحه لها ٢/ ٦٢ : (تضمنت هذه الأبيات جملة من الأسماء الحسنى الدالة على ما اشتملت عليه من صفات الكمال .. إلى أن قال : وهو ذو حنان ، بمعنى شفقة عظيمة على خلقه ، ورأفة بالغة بهم تقتضي كمال بره وجوده ..) .

ثانيًا : نص عدد من الأئمة المعتبرين والمحدثين المشهورين

على أنه من الأسماء الحسنى :

أ – قال الإمام البغوي في شرح السنة ٥/ ٣٥ بعد أن ذكر حديث الترمذي (إن لله تسعة وتسعين اسمًا .. الخ) قال : ولله عز وجل أسماء سوى هذه الأسامي أتى بها الكتاب والسنة منها : الرب والمولى .. والحنَّان والمنَّان .. الخ) .

ب – قال الإمام ابن حجر في فتح الباري ١١/ ٢١٦ بعد أن ذكر حديث الترمذي – المشار إليه آنفًا – وخلاف العلماء في صحة رفعه ، وأطال الكلام في ذلك ، قال : (فوقع فيها بما في رواية موسى بن عقبة المذكور آنفًا ثمانية عشر اسمًا على الولاء ، وفيها أيضًا : الحنَّان ، المنَّان ، الجليل .. الخ) .

ج – قال الإمام ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث ١/ ٤٥٣ : (ومن أسماء الله تعالى : الحنَّان ، هو بتشديد النون ، الرحيم بعباده ، فعال من الرحمة للمبالغة) .

د – وكذا قال نحوه في مجمع بحار الأنوار ١/ ٥٩٥ .

ثالثًا : أن هذا الحديث « إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة ..» لم يورد فيه البخاري الأسماء كما ذكرتَ ، بل ورد ذكر الأسماء في رواية أصحاب السنن ، وقد ضعف العلماء الزيادة التي فيها تفصيل هذه الأسماء (الله. الرحمن. الرحيم. الملك. القدوس ....الخ) وذكروا أن هذه زيادة مدرجة ضعيفة ، وممن

ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية كما سيأتي .

رابعًا : سئل شيخ الإسلام رحمه الله في مجموع الفتاوى ٢٢/ ٤٨١-٤٨٦ عمن قال : لا يجوز الدعاء إلا بالتسعة والتسعين اسمًا ، ولا يقول : يا حنان يا منان، ولا يقول: يا دليل الحائرين ، فهل له أن يقول ذلك ؟

فأجاب رحمه الله إجابة شافية في ذلك ، فقال :

(هذا القول وإن كان قد قاله طائفة من المتأخرين كأبي محمد ابن حزم وغيره؛ فإن جمهور العلماء على خلافه ، وعلى ذلك مضى سلف الأمة وأئمتها ، وهو الصواب لوجوه :

أحدها : أن التسعة والتسعين اسمًا لم يرد في تعيينها حديث صحيح عن النبي ﷺ وأشهر ما عند الناس فيها حديث الترمذي الذي رواه الوليد بن مسلم عن شعيب عن أبي حمزة ، وحفاظ أهل الحديث يقولون : هذه الزيادة مما جمعه الوليد بن مسلم عن شيوخه من أهل الحديث ، وفيها حديث ثان أضعف من هذا ، رواه ابن ماجه ، وقد روي في عددها غير هذين النوعين من جمع بعض السلف .

وهذا القائل الذي حصر أسماء الله في تسعة وتسعين لم يمكنه استخراجها من القرآن ، وإذا لم يقم على تعيينها دليل يجب القول به لم يمكن أن يقال هي التي يجوز الدعاء بها دون غيرها ؛ لأنه لا

سبيل إلى تمييز المأمور من المحظور ، فكل اسم يجهل حاله يمكن أن يكون من المأمور ، ويمكن أن يكون من المحظور ، وإن قيل : لا تدعو إلا باسم له ذكر في الكتاب والسنة، قيل : هذا أكثر من تسعة وتسعين .

الوجه الثاني : أنه إذا قيل تعيينها على ما في حديث الترمذي مثلًا ، ففي الكتاب والسنة أسماء ليست في ذلك الحديث ، مثل اسم (الرب) فإنه ليس في حديث الترمذي ، وأكثر الدعاء المشروع إنما هو بهذا الاسم ، كقول آدم : ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف:٢٨] ، وقول نوح: ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ﴾[هود:٤٧]، وقول إبراهيم: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ [نوح:٢٨] ، وقول موسى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي﴾ [القصص:١٦] ، وقول المسيح : ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [المائدة:١١٤] وأمثال ذلك ، حتى إنه يذكر عن مالك وغيره أنهم كرهوا أن يقال : يا سيدي ، بل يقال: يا رب ؛ لأنه دعاء النبيين ، وغيرهم، كما ذكر الله في القرآن .

وأيضًا فقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله وتر يحب الوتر»[1] وليس هذا الاسم في هذه التسعة والتسعين ، وثبت عنه في الصحيح أنه قال : « إن الله جميل يحب الجمال »[2] وليس هو فيها ، وفي الترمذي وغيره أنه قال: « إن الله نظيف يحب

(١) صحيح البخاري ، رقم (٦٠٤٧) .

(٢) صحيح مسلم ، رقم (٩١) .

النظافة»[١] وليس هذا فيها ، وفي الصحيح عنه أنه قال : «إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا»[٢] وليس هذا فيها ، وتتبع هذا يطول.

ولفظ التسعة والتسعين المشهورة عند الناس في الترمذي : الله. الرحمن . الرحيم . الملك . القدوس . السلام ... .

ومن أسمائه التي ليست في هذه التسعة والتسعين اسمه : السبوح ، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه كان يقول : (سبوح قدوس)[٣] ، واسمه الشافي ، كما ثبت في الصحيح أنه كان يقول : «أذهب الباس رب الناس ، واشف أنت الشافي ، لا شافي إلا أنت ، شفاء لا يغادر سقمًا»[٤] ، وكذلك أسماؤه المضافة مثل : أرحم الراحمين ، وخير الغافرين ، ورب العالمين ، ومالك يوم الدين ، وأحسن الخالقين، وجامع الناس ليوم لا ريب فيه ، ومقلب القلوب ، وغير ذلك مما ثبت في الكتاب والسنة ، وثبت في الدعاء بها بإجماع المسلمين ، وليس من هذه التسعة والتسعين.

الوجه الثالث : ما احتج به الخطابي وغيره ، وهو حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال : « ما أصاب عبدًا قط هم ولا حزن فقال : اللهم إني عبدك وابن عبدك ، وابن أمتك ، ناصيتي بيدك ،

---

(١) سنن الترمذي ، رقم (٢٧٩٩) .
(٢) صحيح مسلم ، رقم (١٠١٥) .
(٣) صحيح مسلم ، رقم (٤٨٧) .
(٤) صحيح البخاري ، رقم (٥٧٥٠) .

ماض في حكمك ، عدل في قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ، وشفاء صدري ، وجلاء حزني ، وذهاب غمي وهمي ، إلا أذهب الله همه وغمه وأبدله مكانه فرحًا . قالوا : يا رسول الله ، أفلا نتعلمهن ؟ قال : بلى ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن » رواه الإمام أحمد في المسند ، وأبو حاتم ابن حبان في صحيحه .

قال الخطابي وغيره : فهذا يدل على أن له أسماء استأثر بها ، وذلك يدل على أن قوله : « إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة» أن في أسمائه تسعة وتسعين من أحصاها دخل الجنة ، كما يقول القائل : إن لي ألف درهم أعددتها للصدقة ، وإن كان ماله أكثر من ذلك .

والله في القرآن قال : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٠] ، فأمر أن يدعى بأسمائه الحسنى مطلقًا ، ولم يقل : ليست أسمائه الحسنى إلا تسعة وتسعين اسمًا ، والحديث قد سلم معناه ، والله أعلم) اهـ كلامه رحمه الله .

هذا وأسأل الله عز وجل أن يوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه وأن ينفعنا بما علمنا . وتقبلوا تحياتنا . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

معنى حديث
« إن لله تسعة وتسعين اسمًا »

٩ - سائل يقول :

ما معنى قول الرسول ﷺ : « إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة » ؟ وهل معنى أحصاها يعني حفظها غيبًا ؟

الجواب :

هذا الحديث ثابت في الصحيحين[١]، واختلف العلماء في معناه،فمنهم من قال: إن معنى (أحصاها) أي حفظها، وهذا المعنى ثبت في الرواية الأخرى في الصحيح: (من حفظها دخل الجنة)[٢] .

ومن العلماء من قال : إن المراد بالحفظ الحفظ الحقيقي ، والحفظ المعنوي ، فيشمل حفظ الأسماء ، واستحضارها ، ويشمل أيضًا الحفظ المعنوي ، والذي يعني العمل بما تدل عليه من معان عظيمة ، فإذا علم أن الله هو الخالق أفرده سبحانه بالعبادة ، وإذا علم أنه سبحانه الرزاق الكريم لم يسأل غيره سبحانه ، ولم يطلب الحوائج من غيره جل جلاله . وهكذا في بقية الأسماء .

وعلى الأخ السائل أن يعلم أن هذه الأسماء لم يرد في تعيينها حديث صحيح ، وإنما هو اجتهاد من بعض الرواة ، وإلا فإن أسماء

---

(١) تقدم تخريجه بالفتوى رقم (٨) .

(٢) صحيح مسلم ، رقم (٢٦٧٧) .

الله جل وعلا أكثر من ذلك ، وقد قال سبحانه : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف:١٨٠] ومن أسماء الله ما ثبت في القرآن ومنها ما ثبت في السنة ، ومنها ما استأثر الله بعلمه ، وقد كان من دعاء النبي ﷺ : «اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك » رواه أحمد وغيره[1] . وبالله التوفيق .

معنى قوله تعالى

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾

١٠ - سائل يقول :

ما معنى قول الله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه:٥]؟

الجواب:

هذه آية من آيات صفات الله تعالى ، واستواء الله تعالى على عرشه لا يعلم كيفيته إلا هو سبحانه ، فالله يقول: ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ﴾[طه : ١١٠] ، فنحن نؤمن بصفات الله سبحانه وتعالى التي أثبتها لنفسه أو أثبتها له رسوله ﷺ كما جاءت من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، ولا تشبيه ؛ لأن الله جل وعلا ليس كمثله شيء وهو السميع البصير،

---

(١) مسند أحمد ، رقم (٣٧١٢) .

ولا نفسرها ولا نكيفها، ولا نقول كيف الاستواء؟ فإن هذه من الأمور المحدثة ، ولذلك قال الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه لرجل سأله عن معنى الاستواء : « الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، ولا أراك إلا صاحب بدعة، أخرجوه عني» ، وقال الإمام الشافعي: « آمنت بالله، وبما جاء عن الله، على مراد الله، وآمنت برسول الله، وبما جاء عن رسول الله، على مراد رسول الله ﷺ » فهذا هو المنهج الصحيح الواجب اعتقاده على كل مسلم . والله أعلم .

معنى الاستواء

١١ - سائل يقول :

قرأت في أحد الكتب الإسلامية الآية ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه :٥] ، تفسير هذه الآية : استواء يليق بعظمته وجلالته من غير ملامسة ولا جلوس فما رأي فضيلتكم في هذا التفسير ؟

الجواب :

يخبر الله جل وعلا في هذه الآية أنه استوى على عرشه ، واستواء الرحمن على عرشه معلوم ، وهذا من صفة الله ، وصفات الله نؤمن بها ونمرها كما جاءت ، ولا يعلم كيفية هذا الاستواء إلا الله سبحانه وتعالى ، فنرد العلم إلى عالمه وهو الله سبحانه وتعالى ،

وهذه قاعدة في صفاته سبحانه وتعالى ، ونؤمن بها كما جاءت عن الله ، كما قال الإمام الشافعي رحمه الله : آمنت بالله ، وبما جاء عن الله ، على منهج الله ، وآمنت برسول الله ، وما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ.

وزيادة مثل هذه الكلمة (مماسة) أو غير ذلك ، فهذا ما تعبدنا الله بها ، ولا ينبغي لنا أن نقوله ، ولا نتكلم به ، وقد قال الإمام مالك رحمه الله لما سأله رجل : ما معنى استوى ؟ قال : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة، ثم قال : ما أراك إلا صاحب بدعة أخرجوه من مجلسي . وقد سبق الإمام مالك بهذا أم سلمة رضي الله عنها حيث قالت : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول .

فقوله سبحانه : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه:٥] ، وقوله سبحانه : ﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر:٦٧] ، وقوله تعالى : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٢٧] ، نمرها كما جاءت ، ونعلم أن هذا حق ، وأنه على حقيقته ، لكن كيفية اليد أو الوجه أو كيفية الاستواء هذا علمه إلى الله ، فلا ينبغي أن نخوض في هذه الأمور ولا يخوض في هذا إلا المبتدعة كمثل تأويل استوى بمعنى استولى ، فهذا تأويل باطل وتحريف لكتاب الله سبحانه وتعالى ، ولهذا يجب علينا السمع والطاعة والإيمان بما جاء عن الله والكيفية لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى . والله أعلم .

معنى الماجد

١٢ - سائل يقول :

من أسماء الله الحسنى الماجد ، فما معناه ؟

الجواب :

الماجد هو اسم من أسماء الله الحسنى ، لما جاء في الحديث عن أبي ذر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ : يقول الله تعالى : « ... ولو أن أولكم وآخركم ، وحيكم وميتكم ، ورطبكم ويابسكم ، اجتمعوا في صعيد واحد ، فسأل كل إنسان منكم ما بلغت أمنيته ، فأعطيت كل سائل منكم ما سأل ، ما نقص ذلك من ملكي إلا كما لو أن أحدكم مر بالبحر فغمس فيه إبرة ، ثم رفعها إليه ، ذلك بأني جواد ، ماجد ، أفعل ما أريد» رواه أحمد والترمذي وابن ماجه، وحسنه الترمذي[1] .

والماجد بمعنى المجيد ، كالعالم بمعنى العليم ، من المجد ، وهو سعة الكرم ، فهو سبحانه الكثير الشرف والكثير الخير والعطاء . والله أعلم .

---

(١) مسند أحمد ، رقم (٢١٣٦٧) ، والترمذي ، رقم (٢٤٩٥) ، وابن ماجه ، رقم (٤٢٥٧) .

الإيمان

الإيمان قول وعمل

١٣ - سائل يقول :

يظن البعض أن النطق بالشهادتين يكفي لدخول الجنة والنجاة من النار مهما فعلوا متمسكين بظواهر بعض الأحاديث فأرجوا أن تجيبوا على هذه الشبهة ؟

الجواب :

الشهادتان هما الركن الأول من أركان الإسلام ؛ لما ثبت في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان» متفق عليه[1] .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم ، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ،

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (٨) ، وصحيح مسلم ، رقم (١٦) .

حتى جلس إلى النبي ﷺ ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا ، قال : صدقت ، قال : فعجبنا له ، يسأله ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال : صدقت ، قال : فأخبرني عن الإحسان ، قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، قال : فأخبرني عن الساعة ، قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أمارتها ، قال: أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان ، قال : ثم انطلق ، فلبثت مليًّا ، ثم قال لي : يا عمر ، أتدري من السائل؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » رواه مسلم[1] .

ولا يكون الإنسان مسلمًا إلا بالنطق بها واعتقادها ، وهي أول ما يدعى إليها غير المسلم ؛ ليدخل بذلك في الإسلام ، كما ثبت في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن : « إنك ستأتي قوما أهل كتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، فإن

---

(١) صحيح مسلم ، رقم (١) .

هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ...الحديث » متفق عليه[١] .

ومن نطق بالشهادتين فيحكم بإسلامه عملًا بظاهر حاله ، وتجرى عليه أحكام المسلمين ظاهرًا ، فيحرم دمه وماله ؛ لما ثبت في حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه قال : « بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فصبحنا الحُرَقَات من جهينة ، فأدركت رجلا ، فقال : لا إله إلا الله ، فطعنته ، فوقع في نفسي من ذلك ، فذكرته للنبي ﷺ، فقال : أقال لا إله إلا الله وقتلته ؟ قال : قلت : يا رسول الله إنما قالها خوفًا من السلاح ، فقال : أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا ، فما زال يكررها حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ» رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم[٢] .

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فمن قال لا إله إلا الله ، فقد عصم مني نفسه ، وماله ، إلا بحقه ، وحسابه على الله» متفق عليه[٣] .

فإن كان نطقه بالشهادتين دون اعتقاد القلب لم ينفعه ذلك، فإن الإيمان قول وعمل ، وإن شئت قلت : هو قول باللسان ،

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (١٤٩٦) ، صحيح مسلم ، رقم (١٩) واللفظ للبخاري .
(٢) صحيح البخاري ، رقم (٤٢٦٩) ، وصحيح مسلم ، رقم (٩٦) .
(٣) صحيح البخاري ، رقم (٢٩٤٦) ، وصحيح مسلم ، رقم (٢١) .

واعتقاد بالجنان ، وعمل بالأركان ، أو قل : هو إقرار باللسان ، وتصديق بالقلب ، وعمل بالجوارح ، فهذا هو حقيقة الإيمان .

والمنافقون قد نطقوا بالشهادتين، لكن لم يعتقدوها في قلوبهم، فهم في الدرك الأسفل من النار، كما أخبر الله عز وجل بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:١٤٥-١٤٦] .

وفي حديث عتبان بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله ، يبتغي بذلك وجه الله » متفق عليه[1] .

فإذا نطق بالشهادتين وصدق بقلبه فهو المسلم ، فيؤمر بالطاعات ، وينهى عن المعاصي ، وهذه الأعمال داخلة في مسمى الإيمان ، كما هو معتقد أهل السنة والجماعة ؛ لما دلت عليه أدلة الكتاب والسنة ، فالصلاة والذكر أعمال تسمى إيمانًا ، وحسن الخلق والحياء ، وإماطة الأذى عن الطريق ، كلها أعمال وهي من الإيمان ، والله عز وجل يقول : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال:٢] .

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (٤٢٥) ، وصحيح مسلم ، رقم (٣٣) .

فالإيمان أصل له شعب متعددة ، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان» رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم[1] . وكل واحدة من هذه الشعب تسمى إيمانًا، ومراتب هذه الشعب متفاوتة ، فمنها ما يزول الإيمان بزوالها كشعبة الشهادتين ، ومنها ما لا يزول بزوالها، ولكن ينقص من إيمان العبد بحسب نقصانه منها.

وفي حديث وفد عبد القيس سئل النبي ﷺ عن الإيمان، فقال: « شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس» رواه البخاري ومسلم[2] . فجعل النبي ﷺ تلك الأعمال كلها من الإيمان .

والأعمال تتفاوت مراتبها بحسب أنواعها ، وكذا مراتب العباد تتفاوت بحسب إيمانهم ، كما قال عز وجل : ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗى ﴾ [مريم:٧٦] ، وقال سبحانه : ﴿ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡ ﴾ [الفتح:٤] ، وقال جل وعلا : ﴿ وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا ﴾ [المدثر:٣١] ، وقال تبارك وتعالى : ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ

(١) صحيح البخاري ، رقم (٩) ، وصحيح مسلم ، رقم (٣٥) .
(٢) صحيح البخاري ، رقم (٥٣) ، وصحيح مسلم ، رقم (١٧) .

﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة:١٢٤] ، والأدلة في هذا المعنى كثيرة ، والمعاصي تتفاوت بحسب أنواعها ، فمنها ما يكفر العبد بالوقوع فيها ، وإن كان ناطقًا بالشهادتين ، كالشرك بالله ، كما قال تعالى : ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥] ، وكمن جحد وجوب الصلاة أو الزكاة أو الحج ، وكمن ترك الصلاة ولم يفعلها ، ومنها ما لا يكفر بالوقوع فيها ، لكنه يعد واقعًا في كبيرة من كبائر الذنوب ، كالسارق والزاني وشارب الخمر ونحو ذلك من كبائر الذنوب ، فهم مسلمون وهم في الآخرة تحت مشيئة الله جل وعلا ، ومآلهم إلى الجنة كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٧] .

ولهذا فإن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وأما من يقول : إنه لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، فهذا لا شك أنه قول باطل، وهو قول المرجئة، وهو مخالف لما دلت عليه أدلة الكتاب والسنة وما عليه سلف هذه الأمة، فإنهم مجمعون على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، فالإيمان عندهم قول باللسان ، واعتقاد بالقلب ، وعمل بالجوارح . وهذا هو الحق والصواب. نسأل الله تعالى الهداية والتوفيق لما يحبه ويرضاه . والله أعلم .

الإيمان يزيد وينقص

١٤ - سائل يقول :

ما معنى قول أهل السنة : إن الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص؟

الجواب :

معناه أن الإيمان قول باللسان ، واعتقاد بالجنان ، وعمل بالجوارح ، وهو يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فمن كثرت طاعته لله تعالى زاد إيمانه ، ومن نقصت طاعته نقص إيمانه ، ومن تلفظ بالشهادتين واعتقد معناها في قلبه وعمل بمقتضاها بجوارحه فهذا هو المؤمن.

والإيمان درجات ؛ لقول النبي ﷺ : « الإيمان بضع وسبعون شعبة ، والحياء شعبة من الإيمان » رواه مسلم[1] .

فالإيمان شعب متعددة، منها ما يحصله العبد بلسانه، وبعضها بقلبه ، وبعضها بجوارحه ، ومنها ما يزول إيمان العبد بزوالها كالشهادتين ، ومنها ما ينقص إيمانه بزوالها ولا يزول ، كترك إماطة الأذى عن الطريق ونحو ذلك .

والأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه كثيرة منها :

---

(١) في صحيحه ، رقم (٣٥) .

قوله تعالى : ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال:٢]. وقوله تعالى : ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾[مريم:٧٦] . وقوله سبحانه : ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾[المدثر:٣١] . وقوله تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح:٤]. وقوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [آل عمران :١٧٣].

ومن السنة : حديث شعب الإيمان المتقدم ، وحديث : «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا » رواه أحمد وأبو داود والترمذي(١) . وحديث الشفاعة ، وأنه يخرج من النار من في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان(٢) .

وكلام الصحابة رضي الله عنهم في هذا المعنى كثير أيضًا . منه قول أبي الدرداء رضي الله عنه : « من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما نقص منه ، ومن فقه العبد أن يعلم أيزداد هو أم ينقص » .

وكان عمر رضي الله عنه يقول لأصحابه : « هلموا نزدد إيمانا» ، فيذكرون الله عز وجل .

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول في دعائه : « اللهم زدنا إيمانًا ويقينًا وفقهًا » .

---

(١) مسند أحمد ، رقم (٧٤٠٢) ، وأبو داود ، رقم (٤٦٨٢) ، والترمذي ، رقم (١١٦٢) وصححه .
(٢) رواه البخاري ، رقم (٧٠٧٢) ، ومسلم ، رقم (١٩٣) .

وروى البخاري تعليقًا : وكان معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول لرجل : « اجلس بنا نؤمن ساعة » . « وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن عدي : إن للإيمان فرائض وشرائع وحدودًا وسننًا ، فمن استكملها استكمل الإيمان ، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان ، فإن أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها ، وإن مت فما أنا على صحبتكم بحريص»[1] . وغير ذلك من الأدلة . والله تعالى أعلى وأعلم .

أسباب زيادة الإيمان

١٥ - سائل يقول:

ما أسباب زيادة الإيمان؟

الجواب:

أسباب زيادة الإيمان ونقصانه مرهونة بالعمل، فالإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والمؤمن يزيد إيمانه بسماع آيات الله وذكره ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[الأنفال:٢] ، وإذا وقعوا في المعاصي نقص إيمانهم ، جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها

(١) رواه البخاري تعليقًا في صحيحه ، باب الإيمان وقول النبي ﷺ : «بني الإسلام على خمس» .

وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن» متفق عليه[1] . والله أعلم.

العروة الوثقى

١٦ - سائل يقول :

ما هي العروة الوثقى ؟ أفيدونا مأجورين .

الجواب :

يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٥٦] . فالعروة الوثقى هي الإيمان بالله والكفر بالطاغوت ، وهذا يكون بتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله . والله أعلم .

معنى الحب في الله والبغض في الله

١٧ - سائل يقول:

ما معنى الحب في الله ، والبغض في الله ؟

(١) صحيح البخاري ، رقم (٥٥٧٨) ؛ صحيح مسلم ، رقم (٥٧) ، واللفظ للبخاري .

الجواب:

الحب في الله يكون لأوليائه وأصفيائه ، تحبهم لما هم عليه من طاعة الله وامتثال أمره ، والبغض في الله يكون للفسقة والظلمة وأرباب المعاصي ، تبغضهم لما هم عليه من مخالفة أمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ .

فإذا رأيت رجلا مستقيما في دينه، محافظا على صلاته، كافًّا لسانه عن الناس، فإنك تحبه في الله لما فيه من الخصال الطيبة .

وإذا رأيت صاحب معاصي وذنوب، فإنك تبغضه في الله . والحب في الله والبغض في الله من أجل الطاعات ، فقد جاءعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله» رواه أبو داود[1] . وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال : « أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله، والمعاداة في الله ، والحب في الله ، والبغض في الله عز وجل» رواه الطبراني في الكبير[2]. وقد جاء في الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وحتى أن يقذف في النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر ، بعد إذ أنقذه الله ، وحتى يكون الله ورسوله أحب

(١) سنن أبي داود ، رقم (٤٥٩٩) .

(٢) المعجم الكبير، رقم (١١٥٣٧) .

إليه مما سواهما » رواه البخاري[١] .

ومن ثمرات الحب في الله : أن الله عز وجل يحبك كما أحببت فيه ن فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ « أن رجلا زار أخًا له في قرية أخرى فأرصد الله له على مدرجته ملكا ، فلما أتى عليه قال أين تريد؟ قال : أريد أخا لي في هذه القرية ، قال : هل لك عليه من نعمة تَرُبُّها؟ قال : لا ، غير أني أحببته في الله عز وجل، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه» رواه مسلم[٢]. والله أعلم .

(١) صحيح البخاري ، رقم (٦٠٤١) .

(٢) صحيح مسلم ، رقم (٢٥٦٧) .

الإيمان بالنبي ﷺ وحقه

محمد ﷺ خاتم الأنبياء

١٨ - سائل يقول :

هل محمد ﷺ هو خاتم الأنبياء ؟ وما معنى كلمة خاتم ؟

الجواب :

محمد ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين ، يقول الله تعالى في محكم تنزيله : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾[الأحزاب:٤٠]. ومعنى خاتم النبيين أي آخرهم فلا يبعث نبي بعده. وبالله التوفيق.

واجبنا نحو رسول الله ﷺ

١٩ - سائل يقول :

ما هو واجبنا نحو رسولنا ﷺ ؟

الجواب :

واجبنا نحو رسولنا ﷺ أن نؤمن به نبيًا ورسولا إلى العالمين، وأن نؤمن بأن الله سبحانه اصطفاه وفضله واختاره على العالمين ،

ونؤمن بأنه أفضل الخلق أجمعين ، وأفضل الرسل والمرسلين ، وأحبهم إلى الله سبحانه وتعالى ، وأعلاهم درجة ، وعلينا الاقتداء به ﷺ ، واتباعه في كل ما أمر ، وترك كل ما نهى عنه وزجر ، وأن نصدقه في كل ما أخبر به ﷺ، وأن نعلم أن محبة الله مرتبطة بمحبة رسوله ﷺ واتباعه ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران:٣١] ، وأن نقدم محبته ﷺ على محبة جميع الناس من والد وولد ، بل وعلى النفس ، فلا يكمل إيمان العبد حتى يكون الرسول ﷺ أحب إليه من ولده ، ووالده ، والناس أجمعين ، ومن نفسه ، وحتى يتابعه، وينقاد لأوامره ، ويحكمه في كل صغير وكبير ، ويرضى بحكمه ، وينقاد ، ويسلم له ، حتى يكون الرسول ﷺ هو الحاكم المتبع ، المقبول قوله ، المردود قول من خالفه ، كما قال ربنا تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥] . وأن نحرص على الاقتداء به ﷺ ، وأن نتعلم سنته ونطبقها في حياتنا وفي عباداتنا، وأن ندعو الناس إلى اتباعها . وينبغي دائما الإكثار من الصلاة عليه ، اللهم صل وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وهذا بعض حقوقه ﷺ على أمته وإلا فهي كثيرة نسأل الله أن يحشرنا في زمرته ويوفقنا للزوم سنته ، والله أعلم .

القضاء والقدر

الإنسان مسير أم مخير

٢٠ - سائل يقول :

هل الإنسان مسير أو مخير ؟

الجواب :

دلت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة على أن للعبد اختيار ومشيئة وإرادة وعمل ينسب إليه ، وقد بعث الله عز وجل رسله مبشرين ومنذرين وداعين إلى الله ومرشدين ، وقد وهب الله جل وعلا العبد عقلًا ليميز بين الحق والباطل، والخير والشر، والنفع والضر،ولذا يكون مكلفًا إذا بلغ وعقل،فمن اختار الحق والخير كان من أهل الفلاح والنجاة ، ومن اختار الباطل والشر كان من أهل الزيغ والضلال،وكان لكل منهما من الجزاء بحسب عمله.

ومن الأدلة على ذلك :

قوله تعالى : ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَ ﴾ [آل عمران :١٥٢] ، وقال جل شأنه : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]، وقال : ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف:

٢٩] ، وقال : ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ [الشمس:٨-١٠] ، وقال تبارك وتعالى : ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد:٨-١٠] ، وقال سبحانه : ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ [النساء:١٢٣] ، وقال : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل:٩٧] ، وقال تعالى : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإسراء:١٨-١٩] .

وقد جاءت الشريعة بالأوامر الشرعية ؛ ليثاب المطيع على طاعته ، ويجازى العاصي على معصيته ، واختيار العبد وعمله لا يخرج عن مشيئة الله تعالى وقدره سبحانه قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾[الأنعام:١١٢] ، وقال سبحانه : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير:٢٩] ، فلا تخرج إرادة العبد عما قدره الله جل وعلا وقضى به سبحانه ، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وفي الحديث القدسي : « واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك ، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك ، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف» رواه أحمد والترمذي وحسنه[١] .

---

(١) مسند أحمد ، رقم (٢٧٦٣) ، والترمذي ، رقم (٢٥١٦) .

فمن استقام من عباد الله والتزم طاعته فذلك بمشيئة الله تعالى وإرادته سبحانه ، كما قال جل وعلا ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير:٢٨-٢٩]، وقال جل شأنه: ﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾ [المدثر:٥٥-٥٦]، وقال تعالى:﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾ [الإنسان: ٢٩-٣٠] .

ومن ضل من عباد الله،وعصى أوامر ربه، وأشرك به سبحانه، فذلك بمشيئة الله سبحانه وقدره ، كما قال تعالى : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾ [فاطر:٨] ، وقال جل شأنه : ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ [يونس:٩٩] ، وقال سبحانه : ﴿ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ [النحل:٩] ، وقال: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ [الأنعام:١١٢] .

فمن يرد الله هدايته فإنه سبحانه ييسر له عمل المهتدين وسبيلهم ، فيكون من أهل الجنة ، ومن يرد أن يضله ييسر له عمل الضالين ، فيكون من أهل النار ، ففي حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « ما منكم من أحد ، ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار ، وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة ، قال : فقال رجل : يا رسول الله ، أفلا نمكث على كتابنا ، وندع العمل؟ فقال : من كان من أهل السعادة فسيصير إلى

عمل أهل السعادة ، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة ، فقال: اعملوا فكل ميسر ، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة ، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة ، ثم قرأ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ [الليل: ٥-١٠] » رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم[1]. والله جل وعلا يقول : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام:١٢٥].

وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما سئل عن هذه الآية ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [الأعراف: ١٧٢] قال : سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها ، فقال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل خلق آدم ، ثم مسح ظهره بيمينه ، فاستخرج منه ذرية ، فقال: خلقت هؤلاء للجنة ، وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية ، فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون ، فقال رجل : يا رسول الله ففيم العمل؟ فقال رسول الله ﷺ : إن الله عز وجل إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة ، حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة ، فيدخله به الجنة ، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار ،

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (١٣٦٢) ؛ صحيح مسلم ، رقم (٢٦٤٧) .

حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار ، فيدخله به النار » رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه[1] .

وليعلم العبد أن اختياره لا يخرج عما قدره الله له ، فقد قَدَّر الله سبحانه ما يجري من الإنسان قبل أن يخلقه ، كما ثبت في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، قال: وعرشه على الماء »[2]. وقال ربنا جل وعلا: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴾ [القمر:٤٩] ، وقال سبحانه : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾ [الحديد:٢٢] ، وثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله ملكا ، فيؤمر بأربع كلمات ، ويقال له: اكتب عمله ، ورزقه ، وأجله ، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح ، فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع ، فيسبق عليه كتابه ، فيعمل بعمل أهل النار ، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع ،

---

(١) مسند أحمد ، رقم (٣١١) ؛ أبو داود ، رقم (٤٧٠٣) ؛ والترمذي ، رقم (٣٠٧٥) .

(٢) صحيح مسلم ، رقم (٢٦٥٣) .

فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة »[١] .

ولذا كان من أركان الإيمان أن يؤمن العبد بالقدر خيره وشره، وفي حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال لابنه : يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فجرى بما هو كائن إلى الأبد » رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه[٢] . وفي حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال : «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس» رواه مسلم[٣] . فالعبد له اختيار وإرادة ، واختياره لا يخرج عن قدر الله تعالى وتسييره له .

وعلى العبد أن يؤمن بأن الله جل وعلا بيده ملكوت كل شيء، وأنه سبحانه خالق كل شيء ، وإليه يرجع الأمر كله ، فما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وكل شيء بقدر ، لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه ، ولا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع ، وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن .

وعلى المسلم أن يعمل الأسباب الجالبة للخير ، ويجتنب الأسباب الموصلة للشر ، وإذا نزلت به نازلة أو مصيبة فليصبر ،

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (٣٢٠٨) ؛ صحيح مسلم ، رقم (٢٦٤٣) .

(٢) مسند أحمد ، رقم (٢٢٧٠٥) ؛ وأبو داود ، رقم (٤٧٠٠) ؛ والترمذي ، رقم (٣٣١٩) .

(٣) صحيح مسلم ، رقم (٥٨٩٣) .

ولا يتحسر ، ولا يقل : لو فعلت كذا لكان كذا ، ولو لم أفعل كذا لم يكن كذا ، بل ليقل : قدر الله وما شاء فعل ، فما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وقد قال ﷺ : « احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان » رواه مسلم[1] . والله جل وعلا يقول : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ [التوبة:٥١].

ومن رحمة الله بعباده أن العبد إذا زال اختياره بأن كان مجنونًا أو مكرهًا ونحو ذلك ، فإنه لا يؤاخذ ولا يلحقه إثم بسبب ذلك .

وهذا هو ما دلت عليه الأدلة الشرعية في هذه المسألة ، وهو الذي كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم ، وقد ضل في هذا الباب طوائف فقال بعضهم :

إن الإنسان مجبر في جميع أفعاله ، ولا إرادة له في ما يفعله ، وأفعاله كلها من الله تعالى ، سواء كانت خيرًا أو شرًا ، فالعبد لا قدرة له ولا قصد ولا اختيار ، وهو قول الجبرية .

وقد احتجوا بالقدر على إبطال الأمر والنهي ، فهم من جنس القائلين ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨] .

---

(١) صحيح مسلم ، رقم (٢٦٦٤) .

وفرقة أخرى هي القدرية قالوا : إن الإنسان يخلق أفعاله ، ونفوا أن يكون الله تعالى خالقًا لأفعال عباده ، فأثبتوا خالقًا مستقلا بالخلق والأمر دونه ، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا .

وأهل السنة والجماعة قالوا : إن جميع أفعال العباد من طاعة ومعصية ، واقعة بقضاء الله وقدره ، وأفعال العباد خيرها وشرها خلقها الله تعالى ، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦] و(ما) في الآية بمعنى الذي ، غير أن الإنسان ليس مجبورًا على أفعاله ، بل يفعلها باختياره ، ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف:٢٩] . فهذا ما ظهر لنا في هذه المسألة . والله أعلم .

القدر

٢١ - سائل يقول :

هل للإنسان دخل في القدر أم لا ؟

الجواب :

قضاء الله وقدره هو ما كتبه الله وقدره على هذا الإنسان ، وعلمه بما يكون منه من خير أو شر ، فهو سبحانه خلق الإنسان وما سيفعله من أفعال وما سيؤول إليه حاله من نعيم ، أو عذاب بسبب هذه الأفعال .

والإنسان عليه أن يؤمن بقضاء الله وقدره ، فإن الإيمان

بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان ، ويجب على المسلم أن يتخذ الأسباب التي أمر الشارع باتخاذها فيأتمر بأوامره ، ويجتنب نواهيه ، ويرجو رحمة الله ويخاف عذابه ، وعلى العاقل أن يمنع نفسه من الخوض في غوامض الأمور التي لا يعلم سرها إلا الله تعالى ؛ ومن ذلك القدر فهو سر الله في خلقه ، والتعمق في النظر فيه مزلة الأقدام ، ومن جراء الخوض فيه زل كثير من الناس وضلوا .

يقول الإمام الطحاوي في عقيدته : « وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه ، لم يطلع على ذلك ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان ، وسلم الحرمان ، ودرجة الطغيان ، فالحذر كل الحذر من ذلك نظرًا وفكرًا ووسوسة ، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه ، ونهاهم عن مرامه ، كما قال تعالى في كتابه : ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٣] ، فمن سأل : لم فعل ؟ فقد رد حكم الكتاب ، ومن رد حكم الكتاب ، كان من الكافرين » انتهى . نسأل الله العافية .

القضاء والقدر والإرادة

٢٢ - سائل يقول :

ما هو القضاء والقدر والإرادة ؟ وهل يرد الدعاء القدر ؟

الجواب :

القدر : هو تقدير الله سبحانه وتعالى الشيء في الأزل .

والقضاء : قضاؤه به عند وقوعه . والإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان .

أما الإرادة فهي تنقسم إلى إرادة كونية وإرادة شرعية .

فما كان بمعنى المشيئة فهو إرادة كونية ، وما كان بمعنى المحبة فهو إرادة شرعية .

والإرادة الكونية لابد فيها من وقوع المراد إذا أراد الله شيئًا كونًا ، فلابد أن يقع ، يقول تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس:٨٢] .

وأما الإرادة الشرعية فقد يقع المراد وقد لا يقع كما قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ [النساء:٢٧] ، فهو يشاء أن يتوب عليكم ، ويحب أن يتوب عليكم ، ولا يلزم من محبة الله للشيء أن يقع ؛ لأن الحكمة الإلهية البالغة قد تقتضي عدم وقوعه .

وأما عن السؤال : هل يرد الدعاء القدر ؟

فالنصوص الشرعية دلت على أن الله عز وجل قد جعل سببًا لرد بعض أنواع القضاء ، بمعنى أن الله عز وجل يكون قد قضى وقدر بأن هذا العبد يصاب بمرض مثلًا ، ولكن قضى معه أنه إن دعا الله تعالى أن يحفظه من هذا المرض ، فيمحوا الله عنه إصابة

المرض ويثبت بأنه لا يصاب بالمرض ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [الرعد:٣٩] .

وعلى هذا تحمل جميع الأدعية التي استحب للمسلم أن يدعو بها مثل : « اللهم إني أعوذ بك من البرص والجنون والجذام ومن سيء الأسقام »[١] فقد يكون الله تعالى قضى أنه إن دعا بهذا الدعاء فيعافى من هذه الأمراض ، وإن لم يدع فيصاب بها أو ببعضها ، فصار الدعاء سببًا لرد القضاء ، وهو معنى قوله ﷺ : « لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر » رواه الترمذي وحسنه[٢]، وكذلك أعمال البر أيضًا تكون سببًا لرد بعض القضاء ، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: « من أحب أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه » أخرجه البخاري[٣] . والدعاء وعمل البر أيضًا من قضاء الله وقدره فهو رد القضاء بالقضاء إذا أراد الله ذلك ، وهذا كله يكون مخفيًا عن علم العبد . والله أعلم .

الدعاء ورد القضاء

٢٣ – سائلة تقول :

هل الدعاء يرد القضاء ؟ وهل في ذلك أحاديث ؟

---

(١) رواه أحمد في مسنده ، رقم (١٣٠٠٤) ، وأبو داود ، رقم (١٥٥٤) .

(٢) الترمذي ، رقم (٢١٣٩) .

(٣) صحيح البخاري ، رقم (٥٩٨٦) .

الجواب :

جاء في حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : «لا يرد القضاء إلا الدعاء ، ولا يزيد في العمر إلا البر» رواه الترمذي ، وحسنه[١] .

والدعاء هو من قضاء الله وقدره ، والذي يلهم العبد الدعاء ويقدره له هو الله سبحانه وتعالى .

فالإنسان يتقلب بين أقدار الله سبحانه ، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأبي عبيدة رضي الله عنه : « نفرٌّ من قدر الله إلى قدر الله ، أرأيت لو كان لك إبل هبطت واديًا له عدوتان ، إحداهما خصبة والأخرى جدبة ، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله » متفق عليه[٢] ، والله أعلم .

---

(١) الترمذي ، رقم (٢١٣٩) .

(٢) صحيح البخاري ، رقم (٥٧٢٩) ، صحيح مسلم ، رقم (٢٢١٩) .

الساعة وعلاماتها

نزول عيسى عليه السلام

٢٤ - سائل يقول :

يقول بعض العلماء : إن عيسى عليه السلام سوف يرجع قبل يوم القيامة ونفاه بعض علماء المسلمين ؛ لأن محمدًا ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين كما ذكر القرآن الكريم في سورة الأحزاب ، نرجو أن تبينوا لنا الحكم ، وما الكتب التي يمكن الاستفادة منها في هذا الأمر ؟

الجواب :

نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان حق لا شبهة فيه ، وقد وردت به أحاديث صحيحة متواترة نذكر منها : ما رواه البخاري وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلًا فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة خيرًا من الدنيا وما فيها » ثم يقول أبو هريرة : اقرؤوا إن شئتم ﴿ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا

لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٥٩]»[1].

وما ذكر من نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان لا ينافي كون سيدنا محمد ﷺ هو خاتم النبيين ؛ لأن عيسى عليه السلام بعث قبل نبينا محمد ﷺ ، ونزوله في آخر الزمان ليس برسالة جديدة، بل يأتي مؤيدًا لدين الإسلام الذي بعث به محمدًا ﷺ ، مخلِّصًا للمسلمين من عدوهم الدجال ، وقد بين الحديث السابق مهمة عيسى عليه السلام آخر الزمان .

أما الكتب التي تذكر هذا فهي كثيرة : منها أشراط الساعة في كتب السنة كالكتب الستة ، وفي كتب العقائد كشرح العقيدة الطحاوية وغيرها ، وراجع كتاب النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير ، وغيره من الكتب التي تناولت أشراط الساعة . والله تعالى أعلم .

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (٣٤٤٨) .

اليوم الآخر

عذاب القبر

٢٥ - سائل يقول :

هل عذاب القبر يكون على الروح؟ أم على الروح والبدن؟ أم عليهما؟ علمًا بأنه قد يموت شخص في فلاة فلا يدفن ، أو يتمزق بدنه بسبب سباع أو نحوها ؟

الجواب :

أخبر النبي ﷺ أن ضمة القبر تحصل لكل أحد ، ولكن مقل ومستكثر، وقد حصل لبعض الصحابة رضي الله عنهم مثل سعد ابن معاذ رضي الله عنه ، وقد كان من أفاضل الصحابة ، ورئيس الأوس ، لما توفي أخبر النبي ﷺ أنه تحمله الملائكة ، وأخبر أنه اهتز عرش الرحمن لموته ، ومع ذلك لما وضع في قبره رضي الله عنه ضغطه القبر ، فقد جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال : « هذا الذي تحرك له العرش ، وفتحت له أبواب السماء ، وشهده سبعون ألفا من الملائكة ، لقد ضم ضمة ثم فرج عنه» رواه

النسائي[١] .

وسواء مات الإنسان في بر أو بحر أو أكلته السباع أو احترق أو بقي تحت الأنقاض ، فإذا كان ممن يناله عذاب القبر فلابد أن يناله .

وقد ثبتت الأحاديث الصحيحة الدالة على ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان أهلًا لذلك ، والله عز وجل قادر على كل شيء ، وقد ثبت في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما : « أن النبي ﷺ مر بقبرين فقال : إنهما ليعذبان ، وما يعذبان في كبير ، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول ، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة، فدعا بجريدة رطبة ، فشقها نصفين ، وقال : لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا »[٢] .

وعذاب القبر يقع على الروح والبدن، وقد يكون على الروح وحدها، ولكنه يكون في الغالب على الروح والبدن ، نسأل الله أن يعيذنا وإياكم من عذاب القبر ، ويمن علينا وعليكم بالعمل الصالح. والله أعلم .

---

(١) سنن النسائي ، رقم (٢٠٥٥) .
(٢) صحيح البخاري ، رقم (١٣٦١) ، صحيح مسلم ، رقم (٢٩٢) .

عذاب القبر على المؤمنين

٢٦ - سائل يقول :

هل يعذب المؤمن الصالح في قبره ؟

الجواب :

نعم لقول رسول الله ﷺ : « إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه ، ثم أقبل علينا بوجهه ، فقال : تعوذوا بالله من عذاب النار ، قالوا : نعوذ بالله من عذاب النار ، فقال : تعوذوا بالله من عذاب القبر ، قالوا : نعوذ بالله من عذاب القبر ، فقال : تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها و ما بطن ، فقالوا : نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، ثم قال تعوذوا بالله من فتنة الدجال : فقالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال» رواه مسلم[1] .

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى جنازة ، فجلس رسول الله ﷺ على القبر ، وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير ، وهو يلحد له ، فقال : « أعوذ بالله من عذاب القبر -ثلاث مرار- ثم قال : إن المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا تنزلت إليه الملائكة ، كأن على وجوههم الشمس ، مع كل واحد كفن وحنوط ، فجلسوا منه مد البصر ،

---

(١) صحيح مسلم ، رقم (٢٨٦٧) .

حتى إذا خرجت روحه ، صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء ، وفتحت له أبواب السماء ، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله أن يعرج بروحه من قبلهم ، فإذا عرج بروحه قالوا : رب عبدك فلان ، فيقول : أرجعوه فإني عهدت إليهم أنى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال : فإنه يسمع خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه ، فيأتيه آت فيقول : من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ فيقول : ربي الله ، وديني الإسلام ، ونبيي محمد ﷺ ، فينتهره ، فيقول : من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ وهى آخر فتنة تعرض على المؤمن ، فذلك حين يقول الله عز و جل : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ فيقول ربي الله ، وديني الإسلام ، ونبيي محمد ﷺ » الحديث ، رواه أحمد وغيره[١] .

وكذلك ثبت أن للقبر ضغطة لا ينجو منها أحد ، فقد جاء عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : «إن للقبر ضغطة ولو كان أحد ناجيًا منها نجا منها سعد بن معاذ» رواه أحمد[٢] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال : « هذا الذي تحرك له العرش ، وفتحت له أبواب السماء ، وشهده سبعون ألفا من الملائكة لقد ضم ضمة ثم فرج عنه» رواه النسائي

---

(١) رواه أحمد في مسنده ، رقم (١٨٦١٤) .
(٢) مسند أحمد ، رقم (٢٤٢٨٣) .

والبيهقي[١] .

غير أن الفرق بين المسلم والكافر فيها دوام الضغط للكافر وحصول هذه الحالة للمؤمن في أول نزوله إلى قبره ، ثم يعود إلى الانفساح له . والمراد بضغط القبر التقاء جانبيه على جسد الميت ، وسبب هذا الضغط أنه ما من أحد إلا وقد ألم بذنب ما ، فتدركه هذه الضغطة ، جزاء لها ، ثم تدركه الرحمة . والله أعلم .

سماع الموتى وحياة النبي ﷺ

٢٧ - سائل يقول :

ما هو الراجح في مسألة سماع الموتى وحياة النبي ﷺ؟ وهل كان الاختلاف في هاتين المسألتين في زمن الصحابة أم نشأ متأخرًا؟

وما مدى صحة قول من يقول : إن الذي لا يعتقد بحياة النبي ﷺ بسماع الموتى فهو كافر ، لا تجوز الصلاة خلفه .

وإذا حكم أحد على حديث ما بالضعف ، أو بين حال راويه بأنه كذاب أو وضاع ، فهل يكون مكذبًا للصحابي الذي روى هذا الحديث ؟

---

(١) النسائي ، رقم (٢٠٥٥) ، والبيهقي في دلائل النبوة ، ٤/ ٢٨ .

الجواب :

الكلام على هذا السؤال في أمرين :

الأول : سماع الموتى :

اعلم وفقني الله وإياك لما يرضيه أن لكل ميت حياة خاصة ، تسمى حياة برزخية ، ينعم أو يعذب فيها على حسب أعماله ، كما دلت عليه الأدلة الصحيحة من الكتاب والسنة ، وإن الشهداء من أفضل الناس حياة ، وإن نبينا ﷺ له حياة خاصة ، أفضل من جميع الشهداء وسائر الخلق ، ولا ريب .

ولكن هل هذه الحياة كحياتهم في الدنيا ، وهل هم يشعرون بما يجري أو يسمعون إذا خوطبوا ؟ لا يقال بشيء منها إلا ما ثبت بدليل شرعي صحيح.

وإن كون الموتى يسمعون أو لا يسمعون أمر غيبي ، لا يعلمه إلا الله عز وجل، فلا يجوز القول فيه بالأقيسة والآراء ، وإنما يوقف مع النص الصحيح الثابت عن الله ورسوله ﷺ نفيًا وإثباتًا .

فالذي نرى أن الموتى لا يسمعون في عامة الأحوال ، بل في حالات خاصة .

ومن الأدلة على عدم سماعهم قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [فاطر:٢٢] .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ

مُّدۡبِرِينَ ﴾ [النحل: ٨٠] .

فهاتان الآيتان تدلان بوضوح على أن الموتى لا يسمعون ، حتى ولو ذهبنا في تفسير الآية إلى القول بأن المقصود بالموتى وبمن في القبور الكفار الأحياء ، شبهوا بالموتى لعدم إيمانهم ، والمعنى : «الذين هم في حال الموت أو في حال من سكن القبر » كما ذهب إليه بعض المفسرين ؛ لأن الموتى لما كانوا لا يسمعون حقيقة ، وكان ذلك معروفًا عند المخاطبين شبه الله تعالى بهم الكفار الأحياء في عدم السماع ، فدل هذا التشبيه على أن المشبه بهم -وهم الموتى في قبورهم- لا يسمعون .

بل يفهم من تشبيه موتى الأحياء وهم الكفار بموتى القبور أن موتى القبور أقوى في عدم السماع منهم كما هو الشأن في التشبيه.

قال ابن جرير رحمه الله في تفسيره ٢١/ ٣٦ : « هذا مثل معناه فإنك لا تقدر أن تفهم هؤلاء المشركين الذين قد ختم الله على أسماعهم ، وسلبهم فهم ما يتلى عليهم من مواعظ تنزيله ، كما لا تقدر أن تفهم الموتى الذين سلبهم الله أسماعهم بأن تجعل لهم أسماعًا» ، ثم روى بإسناد صحيح عن قتادة قال: «هذا مثل ضَرَبَهُ الله للكافر ، فكما لا يسمع الميت الدعاء كذلك لا يسمع الكافر »، وفسره القرطبي (١٣/ ٢٣٢) أيضًا بنحوه .

ومن أدلة عدم سماع الموتى:

قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر:١٣-١٤] .

فقوله عز وجل : ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ ﴾ صريح في نفي السماع عن الذين كان المشركون يدعونهم من دون الله تعالى، وهم موتى الأولياء والصالحين الذين كان المشركون يمثلونهم في تماثيل وأصنام يعبدونهم فيها ، كما يدل على ذلك قوله تعالى حكاية عن قوم نوح : ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح:٢٣].

فقد ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أن هؤلاء الخمسة أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا ، وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، فلم تعبد ، حتى إذا هلك أولئك ، ونسخ العلم ، عبدت. رواه البخاري[(١)] .

فتفسير هذه الآية أنهم لا يسمعون دعاء من دعاهم ولو فرض أنهم يسمعون فلا يستجيبون لداعيهم ، وأنهم يوم القيامة يكفرون بشركهم أي ينكرون ويتبرؤن ممن أشركهم مع الله ، فهذا الذي أخبر به الخبير الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (٤٩٢٠) .

السماء ، وأخبر سبحانه أن ذلك الدعاء شرك به ، وأنه لا يغفره لمن لقيه به ، فأهل الشرك ما صدقوا الخبير ، ولا أطاعوه فيما حكم به وشرع ، بل قالوا إن الميت يسمع ، ومع سماعه ينفع ، فتركوا الإسلام والإيمان رأسًا .

فتبين مما تقدم وجه الاستدلال بقوله تعالى : ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ ﴾ على أن الصالحين لا يسمعون بعد موتهم ، فغيرهم مثلهم بداهة .

ومن أدلة عدم سماع الموتى :

حديث (قليب بدر) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : «وقف النبي ﷺ على قليب بدر ، فقال : هل وجدتم ما وعد ربكم حقًا ، ثم قال : إنهم الآن يسمعون ما أقول ، فذكر لعائشة فقالت : إنما قال النبي ﷺ إنهم الآن يعلمون أن الذي كنت أقول لهم هو الحق ، ثم قرأت : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ ﴾ حتى قرأت الآية » . رواه البخاري[1] .

وحديث أبي طلحة : « أن نبي الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلًا من صناديد قريش ، فقذفوا في طوى (يعني بئر) من أطواء بدر خبيث ، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته ، فشد عليها رحلها ،

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (٣٩٨٠) .

ثم مشى ، وابتعد أصحابه وقالوا ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته ، حتى قام على شفة الركى، فجعل يناديهم بأسمائهم ، وأسماء آبائهم، يا فلان ابن فلان ، ويا فلان ابن فلان ، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله ، فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا ، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا ، قال : فقال عمر : يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها ؟ فقال رسول الله ﷺ : والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم . قال قتادة : أحياهم الله حتى أسمعهم قوله ، توبيخًا وتصغيرًا ونقمة وحسرة وندمًا». أخرجه البخاري ومسلم[1] .

ففي الرواية الأولى تقييد من النبي ﷺ سماع أهل القليب بقوله الآن ، فمفهومه أنهم لا يسمعون في غير هذا الوقت .

قال العلامة الآلوسي الحنفي في روح المعاني ٦/ ٤٥٥ : « ففيه تنبيه قوي على أن الأصل في الموتى أنهم لا يسمعون ، ولكن أهل القليب في ذلك الوقت قد سمعوا نداء النبي ﷺ بإسماع الله تعالى إياهم ، خرقًا للعادة ومعجزة للنبي ﷺ ».

وفي تفسير القرطبي ١٣/ ٢٣٢ : « قال ابن عطية : فيشبه أن قصة بدر خرق عادة لمحمد ﷺ ، في أن رد الله إليهم إدراكًا سمعوا به مقاله ، ولولا إخبار رسول الله ﷺ بسماعهم لحملنا نداءه إياهم على معنى التوبيخ لمن بقي من الكفرة ، وعلى معنى شفاء صدور

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (٣٩٧٦) ؛ صحيح مسلم ، رقم (٢٨٧٣) .

المؤمنين» .

وفيما ذكر من الأحاديث أمر آخر ، وهو أن النبي ﷺ أقر عمر وغيره من الصحابة على ما كان مستقرًا في نفوسهم واعتقادهم أن الموتى لا يسمعون ، فقد مضى من قول عمر : « ما تكلم من أجساد لا أرواح لها » وفي رواية النسائي وأحمد ٣/ ١٠٤ : «قالوا» بدل «قال عمر» ، فلو لم يكن عندهم في ذلك علم سابق من النبي ﷺ في أن الموتى لا يسمعون ، لما بادروا في إبداء استغرابهم ، كما تقرر لديهم من معنى الآية ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ ، أنهم لا يسمعون .

وقد روى أحمد (٣/ ٢٨٧) من حديث أنس رضي الله عنه قال: « فسمع عمر صوته ، فقال : يا رسول الله ، أتناديهم بعد ثلاث ، وهل يسمعون ؟ يقول الله عز وجل ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ ، فقال: والذي نفسي بيده ، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوا » .

فلم يخطئهم النبي ﷺ في فهم الآية ، بل أقرهم ، ولكن بين لهم من شأن أهل القليب ما كان خافيًا عليهم ، وأنهم سمعوا كلامًا حقًا ، وأن هذا أمر خاص معجزة له ﷺ .

وأما أدلة من يثبت السماع للموتى ، فهم يستدلون بحديث قليب بدر المذكور آنفًا ، وقد ظهر أنه خاص بالنبي ﷺ معجزة له ، ولا دليل فيه على إطلاق سماعهم.

ومن جملة ما يستدلون به الحديث المتفق عليه : « إن الميت إذا وضع في قبره ، إنه ليسمع خفق نعالهم إذا انصرفوا»[١] .

وفي رواية : «إن العبد إذا وضع في قبره ، وتولى عنه أصحابه ، وإنه ليسمع قرع نعالهم ، أتاه ملكان فيقعدانه ... » الحديث[٢] .

وهذا الحديث أيضًا فيما نرى أنه خاص بوقت وضعه في قبره ومجيء الملكين إليه لسؤاله ، فلا عموم فيه .

ومن جملة ما يستدلون به على السماع مشروعية السلام على الأموات ، ويقولون : إن السلام على من لا يشعر ، ولا يعلم بالمسلم محال .

والذي نرى أن السلام على الأموات أمر تعبدي ، ولا يلزم منه أن يعلم المسلم عليه بالسلام ، كما أننا نسلم سرًا في آخر صلواتنا مقتدين ، وننوي بسلامنا الحفظة والإمام ، مع أن هؤلاء لا يسمعونه لعدم الجهر به .

على أن السلام هو الترحم للموتى ، وننزلهم منزلة المخاطبين السامعين ، وذلك شائع في العربية ، بل وخطاب من لا يسمع ورد في قول المصطفى ﷺ حيث كان يقول حين يرى الهلال : ربي وربك

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (١٣٣٨) ، صحيح مسلم ، رقم (٢٨٧٠) .
(٢) صحيح البخاري ، رقم (١٣٣٨) .

الله[١] .

فالإنسان يفعل هذا كثيرًا، ويخاطب من يتصوره، ويستحضره في القلب، وإن لم يكن في الخارج من يسمع الخطاب .

وأما الحديث : «ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن ، كان يعرفه في الدنيا ، فسلم عليه، إلا عرفه ، ورد عليه» ، فهو حديث ضعيف، بل قال بعض العلماء : إنه موضوع .

والأمر الثاني : حياة النبي ﷺ :

مسألة حياة النبي ﷺ : الواجب فيها على كل مسلم أن يعتقد أنه ﷺ توفي ، والتحق بالرفيق الأعلى ، فلو اعتقد أنه ﷺ حي كحياته في الدنيا أو أنه لم يمت ، فقد أنكر قول الله تعالى: ﴿ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ﴾[آل عمران :١٤٤] ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [الأنبياء :٣٤-٣٥] .

كما أنه منكر لما أجمع عليه خير هذه الأمة أصحاب رسول الله ﷺ ، فلم ينقل عنهم إلا إثبات موته ﷺ ، وإن أحدهم كان النبي ﷺ أحب إليه من نفسه، وهل يعقل أنهم دفنوه تحت الثرى وهو حي .

كما يجب على المسلم أن يعتقد أن النبي ﷺ في حياته البرزخية أفضل حياة من جميع الأموات والشهداء .

---

(١) رواه أحمد في مسنده ، (١٣٩٧) ؛ والترمذي ، رقم (٣٤٥١) .

ولا يدل دليل صحيح على أنه ﷺ يسمع إذا نودي أو إذا صُلي وسُلم عليه عند قبره الشريف ، بل قال ﷺ : «إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام» . أخرجه أحمد والنسائي[1] .

وهذا الحديث في أنه ﷺ لا يسمع سلام المسلمين عليه ، إذ لو كان يسمعه بنفسه لما كان بحاجة إلى من يبلغه إليه كما هو ظاهر .

وكذلك قوله ﷺ : «ما من أحد يسلم علي إلا رد الله روحي حتى أرد عليه السلام» . رواه أبو داود[2] .

ففيه دليل على أنه ﷺ لا يسمع دائمًا ، بل يسمعه الله تعالى في حالة خاصة ، وهي عند رد الروح ؛ لرد السلام على من سلم عليه.

وأما حديث : « من صلى علي عند قبري سمعته ، ومن صلى علي نائيًا أبلغته». فهو حديث موضوع . كما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع فتاواه ٢٧/ ٢٤١.

هذا ما يظهر لنا في هاتين المسألتين الهامتين .

وإن فرض أن الموتى يسمعون في قبورهم لا يترتب عليه شيء بالنسبة لعقيدة المسلم وعمله ، فلا يجوز له أن يعتقد في المقبورين النفع والضر ، لأن اعتقاد ذلك هو عين الشرك الأكبر ، وهو

---

(١) مسند أحمد ، رقم (٣٦٦٦) ، والنسائي ، رقم (١٢٨٢) .
(٢) سنن أبي داود ، رقم (٢٠٤١) .

واضح لا يحتاج إلى توضيح .

وأما قول القائل : إن الذي لا يعتقد بحياة النبي ﷺ ولسماع الموتى فهو كافر ، فهذا القول خطأ من جهتين :

الأولى : جهة اعتقاده بحياة النبي ﷺ .

والثانية : جهة الحكم على المسلم بالكفر . فقد قال النبي ﷺ : « أيما رجل قال لأخيه : يا كافر ، فقد باء بها أحدهما» رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما[1] .

والاختلاف في المسألتين المذكورتين لم يكن في زمن الصحابة إلا في سماع أهل القليب خاصة : هل يسمعون أو لا يسمعون ؟ كما مضى في حديث ابن عمر إنكار عائشة لسماعهم استدلالًا بقوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ واستبعادًا منها على ثبوت هذا من النبي ﷺ ؛ لأنه مخالف للآية ، ولم تذهب عائشة إلى الاستثناء والتخصيص .

وأما إذا حكم أحد على حديث بالضعف أو بيَّن حال راويه بأنه كذاب أو وضّاع فهو عين الصواب ، بل هو الواجب على من أقدره الله على هذا العمل الجليل ، فإنه ذبٌّ عن سنة النبي ﷺ ، وحمايةٌ لجنابه .

ولا يجوز أن ينسب إليه ﷺ حديث موضوع مكذوب عليه إلا

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (٥٧٥٣) ؛ صحيح مسلم ، رقم (٦٠) .

ببيان وضعه ، حتى لا يدخل في الوعيد الشديد : «من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار» متفق عليه[1] .

ولا يحصل به تكذيب الصحابي ، بل هذا تكذيب كذاب ، يكون قد ألصق هذا الكلام بأحد من الصحابة ، وقوَّله ما لم يقله ، فإن قال أحد : إنه تكذيب للصحابي في هذه الحالة فهو تلبيس وخداع . والله أعلم بالصواب .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الحياة البرزخية

٢٨ - سائل يقول :

ما هي الحياة البرزخية . وما مذهب أهل السنة في ذلك ؟

الجواب :

حياة البرزخ هي الحياة التي تكون بعد الموت ، وقبل قيام الساعة ، فإذا مات الإنسان فقد بدأت حياته البرزخية ، قال تعالى : ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٠] .

ومذهب أهل السنة والجماعة في ذلك أنهم يثبتون ما جاءت به النصوص الشرعية ، وقد صح عن النبي ﷺ جملة من الأحاديث في

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (١٢٩١) ؛ صحيح مسلم ، رقم (٤) .

شأن حياة البرزخ ، فمن ذلك ما ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : « خرج النبي ﷺ من بعض حيطان المدينة ، فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما ، فقال : يعذبان وما يعذبان في كبير ، وإنه لكبير ، كان أحدهما لا يستتر من البول ، وكان الآخر يمشي بالنميمة ، ثم دعا بجريدة فكسرها بكسرتين أو ثنتين ، فجعل كسرة في قبر هذا ، وكسرة في قبر هذا ، فقال : لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا » أخرجه البخاري ومسلم[١] . وقد وردت في ذلك أحاديث أخرى ، والله أعلم .

عدد النفخات في الصور

٢٩ - سائل يقول :

كم عدد النفخات في الصور ؟

الجواب :

النفخات في الصور اختلف فيها العلماء :

منهم من قال : إنهما نفختان ، عملاً بقوله سبحانه وتعالى : ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر:٦٨] .

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (٦٠٥٥) ، صحيح مسلم ، رقم (٢٩٢) .

ومنهم من قال : إنها ثلاث نفخات : نفخة الفزع ، ونفخة الصور التي يموت الناس فيها ، والنفخة الثالثة التي يحيون فيها . فقالوا : إن هذه نفخة الفزع التي هي في النمل ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴾ [النمل: ٨٧] ، والآية الأخرى التي في الزمر: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر:٦٨]. وبالله التوفيق .

صفة الميزان

٣٠ – سائل يقول :

هل الميزان واحد أم متعدد لقوله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الأنبياء:٤٧] ؟

الجواب :

اختلف العلماء في هذا :

فمنهم من قال : إنه واحد توزن فيه الأعمال ، وأن له كفتين ، كفة توضع فيها السيئات ، وكفة توضع فيها الحسنات ، فأيهما رجح غلب عليه ، ويشهد لهذا الحديث الصحيح في قصة صاحب البطاقة ، الذي رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، عن رسول الله ﷺ قال: « إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق

يوم القيامة ، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا ، كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئا؟! أظلمك كتبتي الحافظون؟! فيقول : لا يا رب ، فيقول : أفلك عذر ؟! فيقول : لا يا رب ، فيقول : بلى إن لك عندنا حسنة ، فإنه لا ظلم عليك اليوم ، تخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، فيقول : احضر وزنك ، فيقول : يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال : إنك لا تظلم ، قال : فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة ، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ، فلا يثقل مع اسم الله شيء » رواه أحمد والترمذي وحسنه وابن ماجه[1] . فهذا يدل على أنه ميزان واحد .

والقول الآخر : إنها موازين وليست ميزانًا واحدًا ؛ لقول الله عز وجل: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الأنبياء :٤٧] ، وقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴾ [القارعة :٦-٩] ، فهي موازين نظرًا لكثرة ما يوزن ، ولكثرة الأعمال ، فكأنها عدة موازين، كما دل ظاهر الآيات .

وبعضهم قال : لا نجزم بواحد من القولين ؛ لعدم النص الصريح في هذا ، وهذا القول أرجحها ، والله أعلم .

---

(١) مسند أحمد ، رقم (٦٩٩٤) ، سنن الترمذي ، رقم (٢٦٣٩) ، وابن ماجه ، رقم (٤٣٠٠) .

شفاعات النبي ﷺ

٣١ – سائلة تقول :

كيف يشفع رسول الله ﷺ يوم القيامة لأمته ؟

الجواب :

الشفاعة ثابتة للنبي ﷺ كما هي ثابتة أيضًا للأنبياء والصالحين وللأفراد الذين يشفعون لأهليهم . لكن شفاعاته التي تختص به ﷺ كثيرة :

فمنها : الشفاعة العظمى التي قال فيها سبحانه وتعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩] فهذه أعظم الشفاعات ، وهي التي يشفع فيها ﷺ للناس في المحشر ، لعل الله يريحهم من المحشر، ويحاسبهم ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه : « أن رسول الله ﷺ أتي بلحم ، فرفع إليه الذراع، وكانت تعجبه ، فنهش منها نهشة ، ثم قال : أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون مم ذلك ؟ يجمع الله الناس ، الأولين والآخرين في صعيد واحد ، يسمعهم الداعي ، وينفذهم البصر ، وتدنو الشمس ، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون ، فيقول الناس : ألا ترون ما قد بلغكم ، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ، فيقول بعض الناس لبعض : عليكم بآدم ، فيأتون آدم عليه السلام ، فيقولون له : أنت أبو البشر ، خلقك الله

بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ، ألا ترى إلى ما قد بلغنا ، فيقول آدم : إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنه قد نهاني عن الشجرة ، فعصيته ، نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى نوح ، فيأتون نوحًا ، فيقولون : يا نوح إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وقد سماك الله عبدًا شكورًا، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه، فيقول : إن ربي عز وجل قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي ، نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى إبراهيم ، فيأتون إبراهيم ، فيقولون : يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ، فيقول لهم : إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات - فذكرهن أبو حيان في الحديث - نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى ، فيقولون : يا موسى أنت رسول الله ، فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ، فيقول : إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإني قد قتلت نفسا لم أومر بقتلها ، نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى عيسى ابن مريم ، فيأتون عيسى ، فيقولون : يا عيسى أنت رسول

الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وكلمت الناس في المهد صبيا ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ، فيقول عيسى : إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله قط ، ولن يغضب بعده مثله ، ولم يذكر ذنبا ، نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى محمد ، فيأتون محمدًا ، فيقولون : يا محمد أنت رسول الله ، وخاتم الأنبياء ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ، فأنطلق ، فآتي تحت العرش ، فأقع ساجدًا لربي عز وجل ، ثم يفتح الله عليَّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحد قبلي ، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك ، سل تعطه ، واشفع تشفع ، فأرفع رأسي ، فأقول : أمتي يا رب ، أمتي يا رب ، أمتي يا رب ، فيقال : يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، ثم قال : والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير ، أو كما بين مكة وبصرى » رواه البخاري[1] .

فهذه هي الشفاعة العظمى .

كما أن له ﷺ شفاعة أخرى وهي أنه ﷺ يشفع في أقوام قد استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فحسناتهم تمنعهم من دخول النار ، وسيئاتهم تمنعهم من دخول الجنة ، فيشفع لهم ﷺ فيدخلون الجنة .

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (٤٧١٢) .

وكذلك أيضًا يشفع ﷺ لقوم أمر بهم إلى النار بسبب ذنوبهم ، وهم من أهل التوحيد ، عليهم ذنوب عظيمة يستحقون أن يعذبوا بها في النار، فيشفع لهم عند الله سبحانه وتعالى ، ويدخلهم الجنة ، أما أهل الشرك فما تنفعهم شفاعة الشافعين .

ومنها أيضًا : أنه يشفع ﷺ لأناس صالحين يدخلون الجنة ، لكن يشفع لهم برفع درجاتهم .

وكذلك يشفع ﷺ لأقوام ليدخلوا الجنة بغير حساب ، فيدخلهم الله عز وجل الجنة بغير حساب .

كذلك أيضًا يشفع ﷺ لبعض أهل النار ، أن يخفف الله سبحانه وتعالى عنهم العذاب ، وهذه خاصة بعمه أبي طالب لما كان يحوطه ويحميه في هذه الدنيا ، فالنبي ﷺ يشفع له بأن الله يخفف عنه العذاب ، وإلا ما يخرج من النار ، لأن الله عز وجل يقول : ﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ﴾ [المائدة:٣٧] . وثبت في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : « يا رسول الله ، هل نفعت أبا طالب بشيء ، فإنه كان يحوطك ويغضب لك ؟ قال : نعم هو في ضحضاح من نار ، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار »[١] .

وكذلك شفاعته ﷺ لأهل الجنة الذين هم مستحقين لها ، وهم ينتظرون دخولها ، فيشفع لهم ، ويعجل الله لهم الدخول إلى

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (٣٨٨٣) ؛ صحيح مسلم ، رقم (٢٠٩) .

الجنة .

وكذلك أيضًا شفاعته ﷺ لأناس من أهل التوحيد استوجبوا أن يعذبوا في النار ، فيشفع لهم ﷺ أن يدخلهم الله عز وجل الجنة .

وهناك كما قلت شفاعات للأفراد يشفعون لأهليهم ، وشفاعات للأنبياء والصالحين ، ولكن كل هذه الشفاعات لا تحصل إلا بإذنه سبحانه وتعالى، كما قال جل وعلا : ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة:٢٥٥]. وبالله التوفيق .

ورود المؤمنات الحوض

٣٢ - سائلة تقول :

هل النساء المؤمنات يرِدْنَ حوض المصطفى ﷺ أم ذلك خاص بالرجال فقط ؟

الجواب :

ورود الحوض ليس خاصا بالرجال دون النساء ، بل يشمل المؤمنين من الرجال والنساء ، الذين ماتوا على سنة النبي ﷺ ؛ وذلك لأن النساء شقائق الرجال يشملهن ما يشمل الرجال ، ولما جاء في الحديث عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت : « كنت أسمع الناس يذكرون الحوض ، ولم أسمع ذلك من رسول الله ﷺ ، فلما كان يومًا من ذلك والجارية تمشطني ، فسمعت رسول الله ﷺ

يقول : أيها الناس . فقلت للجارية : استأخري عني ، قالت : إنما دعا الرجال ، ولم يدع النساء ، فقلت : إني من الناس ، فقال رسول الله ﷺ : إني لكم فرط على الحوض فإياي لا يأتين أحدكم فيذب عني كما يذب البعير الضال ، فأقول : فيم هذا ؟ فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول : سحقا» رواه البخاري ومسلم(١) ، فدل قولها رضي الله عنها : إني من الناس ، على أن النساء يشملهن ورود الحوض . والله أعلم .

رؤية الله عز وجل في الآخرة

٣٣ - سائل يقول :

يستدل بعض الناس على عدم رؤية الله عز وجل في الآخرة بقوله تعالى مخاطبًا موسى عليه السلام : ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ [الأعراف:١٤٣] كيف نرد عليهم من الكتاب والسنة ؟

الجواب :

خطاب الله هذا لموسى عليه السلام كان في الدنيا ، وحالة الدنيا غير حالة الآخرة ، فالله سبحانه وتعالى قال : ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ فلا يستطيع أحد أن يراه في الدنيا ، ولذلك أجمع العلماء رحمهم الله تعالى بأن الله لا يُرى في الدنيا ، أما في الآخرة فإن الله سبحانه وتعالى

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (٦٥٨٤) ؛ صحيح مسلم ، رقم (٢٢٩٥) واللفظ له .

يُرى، لقوله تعالى : ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦] ، فالحسنى : هي الجنة ، والزيادة : هي النظر إلى وجه الله الكريم في الجنة ، وقال سبحانه: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣] ، ولما رواه جرير بن عبد الله رضي الله عنه ، قال : « كنا جلوسًا عند النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر ، قال : إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته»رواه البخاري ومسلم[1] . فهذا نص واضح ، وفي رواية أخرى : « إنكم سترون ربكم عيانًا» رواه البخاري[2] . ثم إن الله سبحانه وتعالى امتن على المؤمنين بهذه الرؤية، وأخبر عن الكفار أنهم محجوبون عنها ، فقال سبحانه : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين : ١٥] . أما أهل الجنة – نسأل الله الكريم أن نكون منهم – فهم ينظرون إلى الله سبحانه وتعالى ، ولا يعطون نعيمًا أفضل من النظر إلى وجهه الكريم سبحانه وتعالى . فخبر موسى هذا في حالة الدنيا ، وحالة الدنيا تختلف عن حالة الآخرة ، وحالات الناس في الآخرة من التحمل غير حالاتهم في الدنيا ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

مكان النار

٣٤ – سائل يقول :

هل النار في السماء أم في الأرض ؟ وما الأدلة من الكتاب

(١) صحيح البخاري ، رقم (٥٥٤) ؛ وصحيح مسلم ، رقم (٦٣٣) .

(٢) صحيح البخاري ، رقم (٧٤٣٥) .

والسنة ؟

الجواب :

لا شك أن النار في أسفل سافلين ، والجنة في أعلى عليين .

فالجنة في السماوات ، ولذلك جاء في الحديث أن الفردوس هو أعلى الجنة ، وسقفها عرش الرحمن ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من آمن بالله وبرسوله ، وأقام الصلاة ، وصام رمضان ، كان حقا على الله أن يدخله الجنة ، جاهد في سبيل الله ، أو جلس في أرضه التي ولد فيها . فقالوا : يا رسول الله أفلا نبشر الناس ؟ قال : إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله،ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة أراه فوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر أنهار الجنة » رواه البخاري[1] .

أما بالنسبة للنار فهي في أسفل سافلين؛ لقوله سبحانه : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ [التين:٥] أي : إلى النار ، كما قال المفسرون.

وليس المراد بهذا أراضي الدنيا وسماوات الدنيا ، فهذا كله يبدل ، حيث يقول سبحانه وتعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [إبراهيم:٤٨]. نسأل الله أن يعيذنا وإياكم من النار . والله أعلم .

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (٢٧٩٠) .

الشرك الأكبر والأصغر

الشرك الأكبر والأصغر

٣٥ - سائل يقول :

ما هو الشرك الأكبر؟ وما هو الشرك الأصغر؟

الجواب:

الشرك الأكبر : هو الشرك المخرج عن ملة الإسلام ، وهو أن يجعل الإنسان لله شريكًا وندا ؛ إما في أسمائه أو صفاته أو أفعاله، فيسميه بأسماء الله، ويصفه بصفاته، قال الله تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وإما أن يجعل له سبحانه وتعالى شريكًا في العبادة بأن يدعو غيره من نبي ، أو ملك ، أو ولي ، أو ميت ، أو غائب فيستغيث به لتفريج كربة ، أو تحقيق مطلوب ، أو يستعين به في جلب مصلحة ، أو نحو ذلك مما هو من اختصاص الله سبحانه وتعالى ، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف: ١١٠] .

وإما أن يجعل لله شريكًا في التشريع، بأن يتخذ مشرعًا له من دون الله،أو ندا لله تعالى في التشريع، يدين به في التحليل والتحريم؛ عبادة وتقربًا، أو بديلا عن حكم الله، يقول الله تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣١] .

والشرك الأكبر يخرج صاحبه عن ملة الإسلام، فلا يصلى عليه إذا مات، ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولا يورث عنه ماله، بل يكون لبيت مال المسلمين، ولا تؤكل ذبيحته ، ويحكم بقتله ، ويتولى ذلك ولي أمر المسلمين ، إلا أنه يستتاب قبل قتله، فإن تاب قبلت توبته ، ولم يقتل ، وعومل معاملة المسلمين .

أما الشرك الأصغر: فهو كل ما نهى عنه الشرع مما هو وسيلة للوقوع في الشرك الأكبر ، وهو لا يخرج من ملة الإسلام ، ولكنه أكبر الكبائر بعد الشرك الأكبر .

ومن أمثلته : الحلف بغير الله ؛ لأن الحلف بغير الله فيه غلو وتعظيم غير الله، وقد ينتهي ذلك التعظيم بفاعله إلى الشرك الأكبر، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «من حلف بغير الله فقد أشرك »رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه ، وفي رواية

الترمذي : « فقد كفر أو أشرك »[1] .

ومن أمثلة الشرك الأصغر أيضًا : الرياء ، كمن يصلي أو يرفع صوته بالقراءة أو الذكر ليراه الناس ويسمعوه فيحمدوه، وقد حذر منه رسول الله ﷺ ، فعن محمود بن لبيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال : الرياء يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا ، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء» رواه أحمد[2] .

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أخوف ما أتخوف على أمتي الإشراك بالله ، أما إني لست أقول يعبدون شمسًا ولا قمرًا ولا وثنًا ، ولكن أعمالا لغير الله وشهوة خفية » رواه ابن ماجه[3] . اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئًا ونحن نعلم ، ونستغفرك لما لا نعلم ، والله أعلم.

---

(١) مسند أحمد ، رقم (٦٠٧٢) ، وأبو داود ، رقم (٣٢٥١) ، والترمذي ، رقم (١٥٣٥) .
(٢) مسند أحمد ، رقم (٢٣٦٣٠) .
(٣) سنن ابن ماجه ، رقم (٤٢٥) .

النفاق الأكبر والأصغر

٣٦ - سائل يقول:

ما هو النفاق الأكبر، والنفاق الصغر؟ وما الفرق بينهما ؟

الجواب:

النفاق الأكبر هو النفاق الاعتقادي ، وهو إظهار الإسلام وإبطان الكفر والعياذ بالله. وهذا النوع مخرج من الدين بالكلية، فالمنافقون أشد كفرًا من الكافر الأصلي المعلن لكفره، لأنهم يخادعون الله ويخادعون رسوله والمؤمنين وهم ما يخدعون إلا أنفسهم، كما قال الله تعالى عنهم : ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩] ، وفي هؤلاء يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:١٤٥] .

أما النفاق الأصغر وهو النفاق العملي ، فهو أن يتصف المسلم بخصلة من خصال المنافقين ، كما أخبر بذلك النبي ﷺ : «أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا اؤتمن خان ، وإذا حدث كذب ،

وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر » متفق عليه[١] . لكنه يبقى من أهل الإيمان ، وفعل هذه الخصال لا يعني الحكم عليه بكفر ، ولا هو مخلد في النار . والله أعلم .

اتخاذ الشفعاء والوسطاء

٣٧ - سائل يقول :

من الشبه التي تتعلق بالأضرحة قولهم : إنما يقصد الأولياء والصالحون ؛ ليشفعوا لنا عند الله ؛ لصلاحهم ومكانتهم . فكيف نرد عليهم ؟

الجواب :

هذه المقالة هي كمقالة المشركين عندما نهاهم الرسول ﷺ عن عبادة الأصنام ، قالوا : ما نعبدهم إلا ليتوسطوا لنا عند الله فيكونوا شفعاؤنا عند الله ، وقد أخبر القرآن الكريم عن حال هؤلاء المشركين فقال تعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [الزمر: ٣] . فهؤلاء المشركون يعترفون بأن الله وحده هو خالق كل شيء ، ورب كل شيء ، وهو وحده الرازق ، ومع ذلك لم ينفعهم هذا في

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (٣٤) ؛ صحيح مسلم ، رقم (١٠٦) .

شيء ؛ لأنهم اتّخذوا أولياء ووسطاء يشفعون لهم عند الله بزعمهم ، يقول الله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [العنكبوت:٦١] ، ويقول تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٣] .

وقد أنكر المولى عز وجل على الذين يتخذون شفعاء إليه فقال: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الزمر:٤٣-٤٤] .

فمن يحتج بأنه إنما يزور قبور الأولياء والصالحين ليس لطلب الحاجات منهم، وإنّما ليشفعوا له عند الله ، إنما يكون بمنزلة المشركين الذين قالوا : ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى . والله أعلم .

التشبه بغير المسلمين

٣٨ - سائل يقول :

أفتوني في شأن بعض المسلمين الذين صاروا في هذه الأيام يتخذون لأنفسهم ألقابًا ، أو يغيرون أسماءهم إلى أسماء غير إسلامية بحجة العصرية والحداثة وغيرها من الحجج؟

الجواب :

يقول النبي ﷺ : « ليس منا من تشبه بغيرنا ، لا تشبهوا باليهود والنصارى » أخرجه الترمذي[1] . فقد نهى النبي ﷺ عن التشبه بالكفار ؛ وذلك لأن التشبه بهم يؤدي إلى موافقتهم في باطلهم ومتابعتهم عليه ، وهو ما يسعى إليه الكفار في مختلف الأزمنة والأمكنة .

وقد كان الرسول ﷺ يغير الأسماء القبيحة ، ونهى عن التسمي بأسماء معينة ، وأرشد إلى أحب الأسماء إلى الله : عبد الله وعبد الرحمن وغير ذلك، وذلك لأن للأسماء تأثيرًا في المسميات .

فالواجب على المسلم اتباع هدي النبي ﷺ في كل أمر من أموره ، ومن ذلك اتخاذ الأسماء والألقاب . والله أعلم .

التشبه بالكفار مسألة عقدية وليست شكلية فقط

٣٩ - سائل يقول :

بعض الناس يقول : إن التشبه بالكفار لا يضر إذا كان بأشياء شكلية فقط، فيما يبقى الجوهر والعقيدة نظيفين. ما قولكم في هذا ؟

---

(١) سنن الترمذي ، رقم (٢٦٩٥) .

الجواب :

أما قول من يقول : إن التشبه بالأشياء الشكلية لا يضر وإنما هي فيما يتعلق بالجوهر والعقيدة ، فهذا ليس بصواب ، بل النهي عام في كل ما هو من خصائصهم، كلباسهم، وأعيادهم، وتحياتهم، وغير ذلك مما يعتبر من خصائصهم ، ومن تشبه بهم في مثل هذه الأشياء أفضى به الأمر غالبًا إلى التشبه بهم في العقائد . نسأل الله السلامة والعافية . وبالله التوفيق .

من زعم أن الشرك
لا يقع في هذه الأمة

٤٠ - سائل يقول :

من الشبه التي يتداولها البعض أن هذه الأمة لا يقع فيها شرك وهي تقول لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ؟

الجواب :

إن النطق بالشهادتين لا يعصم المسلم من الوقوع في الشرك؛ بل جاء التحذير الشديد للمسلمين من الشرك ، كما في قوله تعالى : ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الروم:٣١] .

وقد امتدح الله سبحانه وتعالى المؤمنين الذين لا يشركون في عبادته أحدًا فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم

بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ [المؤمنون:٥٨-٥٩] .

وقد قال ربنا جل وعلا مخاطبًا نبيه ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الزمر :٦٥-٦٦] .

وممّا يدل أيضًا على أن المسلمين معرضون للوقوع في الشرك -مما يتوجب عليهم الابتعاد عنه والحذر منه - ما جاء من تحذيرات على لسان رسول الله ﷺ للمسلمين من الشرك والبعد عنه ، ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا : يا رسول الله وما هن؟ قال : الشرك بالله... » الحديث متفق عليه[1] .

وما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أيضًا قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قال الله تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري ، تركته وشركه » رواه مسلم[2] . وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة الدالة على أن النطق بالشهادتين لا يعصم المسلم من الوقوع في الشرك . والله أعلم .

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (٢٧٦٦) ، صحيح مسلم ، رقم (٨٩) .

(٢) صحيح مسلم ، رقم (٢٩٨٥) .

طلب المغفرة من رسول الله ﷺ

٤١ - سائل يقول :

لو أن الإنسان يعتقد أن الرسول ﷺ يسمع في قبره ، وأتى قبر الرسول ﷺ ليستغفر له الرسول ﷺ مستدلا بالآية الكريمة ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ ﴾ [النساء:٦٤]، وهو لا يعتقد في رسول الله ﷺ النفع ولا الضر، فهل يحكم عليه بالشرك؟ فإن كان كذلك فكيف يخفى هذا الأمر على الإمام ابن كثير وقد ذكر هذا في تفسير الآية؟

الجواب :

دعاء الرسول ﷺ في قبره لا يجوز ؛ لأن الدعاء لا يكون إلا لله؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[الجن:١٨] فلا يجوز للمسلم أن يدعو غير الله سواءً كان المدعو نبيًا أو ملكًا أو وليًا ، أو غيرهم ، يقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٧] ، ويقول أيضًا : ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ [الإسراء:٥٦] ، وفي سورة فاطر يقول جل وعلا : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾[فاطر : ١٣] كائنا من كان ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ﴾ إن تدعوهم وهم في قبورهم أو غائبون لا يسمعوا دعاءكم ، ﴿وَلَوْ سَمِعُواْ﴾ ، ولو فرضنا أنهم سمعوا ﴿مَا

ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ﴾ ؛ لأنهم لا يملكون شيئًا ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ سماه الله شركًا ، ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون : ١١٧]، ويقول سبحانه : ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام:١٧] ، وفي الآية الأخرى ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس:١٠٧] ، والآيات في هذا الشأن كثيرة ، وهذا هو أصل الإيمان وأصل التوحيد .

فلا يجوز لأحد أن يذهب إلى قبر الرسول ﷺ ويطلب منه شيئًا أو يستغفر له والدليل على ذلك أن أصحاب رسول الله ﷺ أعلم منا ، ويحبون رسول الله ﷺ أكثر مما نحبه ، مثل أبي بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، والخلفاء ، والصحابة ، والمهاجرين والأنصار رضي الله عنهم أجمعين ، لما دفنوا النبي عليه الصلاة والسلام في قبره لم يأت واحد منهم وطلب من الرسول ﷺ شيئًا ؟ فقد حصل في زمن عمر رضي الله عنه ما يوجب ذلك ، وصار الناس في فقر شديد ، وجاعوا ، وهلكت الأنفس من شدة القحط، واستشار عمر رضي الله عنه الصحابة ، وطلب منهم أن يجتمعوا لصلاة الاستسقاء ، وخرجوا إلى المصلى ، ولم يأت عمر ولا أحد من الصحابة قبر رسول الله يدعونه . فلما خرجوا إلى المصلى، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للعباس- والعباس عم الرسول

ﷺ- أنت عم الرسول ، فلعلك أقرب إجابة منا ، لقرابتك من الرسول ﷺ فادعوا الله لنا، فقام العباس ، ودعا ، وطلب من الله أن يغيثهم ، وصار يدعو والناس يؤمنون على دعائه، فأغاثهم الله سبحانه وتعالى .

أما ما أشار إليه السائل بقوله : فكيف يخفى هذا الأمر على الإمام ابن كثير وقد ذكر هذا في تفسير آية : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:٦٤] .

يعني السائل بذلك سياق ابن كثير رحمه الله الحكاية المشهورة عن العُتْبي، قال: كنت جالسا عند قبر النبي ﷺ ، فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَّ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَّ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ وقد جئتك مستغفرًا لذنبي مستشفعًا بك إلى ربي ، ثم أنشأ يقول:

يا خيرَ من دُفنَت بالقاع أعظُمُه

فطاب منْ طيبهنّ القاعُ والأكَمُ

نَفْسي الفداءُ لقبرٍ أنت ســاكنُه

فيه العفافُ وفيه الجودُ والكرمُ

ثم انصرف الأعرابي ، فغلبتني عيني، فرأيت النبي ﷺ في

النوم ، فقال: يا عُتْبى، الحقْ الأعرابيّ فبشره أن الله قد غفر له .

فمما ينبغي أن يعلم أن الإمام ابن كثير رحمه الله ساق حكاية العتبى، ساقها مجرد سياق ، ولا استدل بها ، وإلا فالآية ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:٦٤] هذا في حياة النبي ﷺ ، أما بعد موته فلم يقف على قبره أحد من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ؛ لكي يدعوه ﷺ أو يطلب منه الحوائج . وكذلك فهي رؤيا والرؤيا لا يبنى عليها عمل .

وقد انتقد بعض العلماء ابن كثير رحمه الله لسياقه هذه الحكاية التي لا تصح عند كثير من العلماء .

فالواجب على المسلم أن يحقق توحيده بربه ، ويعتقد أن من دعا أحدا غير الله كائنا من كان من الأنبياء ، أو من الملائكة ، أو من الأولياء فإن هذا شرك بالله ، والله يقول : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨]. والله أعلم .

طلب المطر أو الشفاء من غير الله

٤٢ – سائل يقول :

ما حكم الصلاة خلف أناس يذهبون إلى القبور بالمعازف

ويطلقون طلقات نارية تعظيما لها ويسألون أصحابها المطر والشفاء؟ أفتونا مأجورين .

الجواب :

لا تجوز الصلاة خلف من يسأل أهل القبور ويدعوهم ؛ لأن هذا العمل شرك والعياذ بالله ، والصلاة لا تصح خلف مشرك ، ويجب عليكم إنذارهم وتخويفهم من الله وإخبارهم بأن هذا العمل هو الشرك الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة ، وأن عليهم أن يتوبوا إلى الله ويستغفروه ، ويتركوا هذه الأمور التي تخرجهم من دين الإسلام ، فالله عز وجل يقول: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر :١٣- ١٤] ، وتبينوا لهم أن من دعا أحدًا أو طلب حاجة من أي مخلوق حيا كان أو ميتا ، حاضرا كان أو غائبا مما لا يقدر عليه إلا الله فقد جعله شريكًا مع الله ، وهذا هو الشرك الأكبر المخرج من الملة والعياذ بالله ، والله عز وجل يقول : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يونس: ١٠٦] . ويبينوا لهم أن هذا هو شرك المشركين الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ ؛ لينذرهم ويحذرهم ويبين لهم التوحيد ، وأنه لا يملك أحد شيئا من دون الله كما قال تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى

ﭐلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ ٢٢ - ٢٣] . والله الموفق والهادي.

البراءة من الشرك وأهله

٤٣ - سائل يقول :

أعيش في بلد يطلب أهله الحوائج من أصحاب القبور ، ويذبحون عندها ، وأهلي ولله الحمد يوحدون الله ، ولكنني أجد منهم مضايقة شديدة عند دعوة أهل البلد ويقولون لي دع الخلق للخالق ولا تتدخل في شؤونهم . فهل هذا صحيح ؟ وهل يجوز لي معايشة هؤلاء ؟

الجواب :

لا شك أن ما ذكرت من أعمال شركية يجب البراءة منها ، ومن أصحابها ، كما قال تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام بقوله : ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ﴾ [الزخرف : ٢٦،٢٧] ، وقوله تعالى: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة : ٤] .

وعليك معايشتهم ، ودعوتهم باللين والحسنى والحكمة والموعظة الحسنة ، ولا تسكت عن هذا المنكر ، والواجب على كل من يرى ذهابهم إلى القبور ودعاءهم لأصحابها ، وطلبهم الحاجات منهم ، والعون والمدد تبيين الحق لهم وعدم السكوت عنهم ، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل مسلم بقدر الاستطاعة دون الالتفات إلى أقوال الجهال الذين لا يعرفون ما يؤدي إليه السكوت على المنكر ، ولا ينبغي التساهل في مثل هذه الأمور؛ لقوله ﷺ : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان» رواه مسلم[1] .

أما قول من يقول اتركوهم وشأنهم وأنتم لستم مسئولين عنهم ، فهذا يخشى عليه ؛ لأن الذي لا يهتم لمثل هذه الأمور ولا يتألم لها ، فهذا ضعيف الإيمان ، وهو ما عابه الله على اليهود بقوله جل شأنه : ﴿ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة :٧٩] . وبالله التوفيق .

(١) صحيح مسلم ، رقم (٤٩) .

الذبح بعد سكنى البيت الجديد

٤٤ - سائل يقول :

منَّ الله علينا بشراء منزل جديد وبهذه المناسبة نذرنا أن ننحر ذبيحة شكرًا لله عز وجل ، وأخبرنا البعض بأن نذبحها عند الباب وارتأينا ذبحها في المسلخ للحفاظ على نظافة المنزل ، ومن ثم تقسيمها والتصدق بها ، نرجو من فضيلتكم إرشادنا في هذا وجزاكم الله خيرًا .

الجواب :

إذا نذرتم ذبح خروف بهذه المناسبة لله عز وجل ، وتقسيمه وتوزيعه على الفقراء ، فإنه يذبح في أي مكان سواء كان في البيت أم في المسلخ أو غيره ، فهذا نذر متقبل إن شاء الله .

أما ذبحه أمام عتبة المنزل ليبعد العين والشياطين والجن عن المنزل ، أو أن هذا يحفظهم من السرقة والحرق ، فهذا والعياذ بالله شرك ، لأنه تقرب لغير الله وتعلق بغير الله ، ولا يجوز الذبح إلا لله، ولو ذبحت لهذا الغرض فلا يؤكل لحمها . وينبغي على المسلم أن يحذر من هذا أشد الحذر . والله الموفق .

التبرك بآثار الصالحين

٤٥ - سائل يقول:

ما حكم التبرك بأماكن الصالحين؟

الجواب:

التبرك بأماكن الصالحين وآثارهم أمر لا يجوز، فقد نهينا عنه، ففي الحديث عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر ، وللمشركين سدرة يعكفون عندها ، وينوطون بها أسلحتهم ، يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر، إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾» رواه الترمذي[١] .

والتبرك من أعظم الوسائل المفضية إلى الشرك والعياذ بالله ، فتجد المتبركين بادئ أمرهم إنما يدعون الله عند قبور الصالحين، ثم ينتهى بهم الأمر إلى دعائهم من دون الله، وطلب الحاجات منهم، والذبح والنذر لهم، وكأنهم يتصرفون بالكون، وهذا كفر والعياذ بالله مخرج من الملة ، وفعلهم هذا هو فعل المشركين الأولين، الذين يعترفون بربوبية الله سبحانه وتعالى، لكنهم لم يعبدوه سبحانه

---

(١) الترمذي ، رقم (٢١٨٠) وقال : حسن صحيح .

وتعالى ، ودعوا غيره من دونه، والله جل وعلا يقول في ذلك: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يونس:١٠٦] ، والمراد بالظلم هنا الشرك والعياذ بالله، ويقول سبحانه : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء:٢٣] ، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون :١١٧] ، ويقول جل شأنه : ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر:١٣-١٤] لذا وجب على المسلم الحذر من هذه الأمور غاية الحذر ، وبالله التوفيق.

التوسل بجاه النبي ﷺ

٤٦ - سائلة تقول :

ما الحكم في التوسل بجاه النبي ﷺ في الدعاء ؟ وهل هو شرك بالله سبحانه وتعالى ؟

الجواب :

التوسل بجاه النبي ﷺ في الدعاء بدعة ، لأنه أمر لم يرد في كتاب الله عز وجل ، ولا في سنة رسوله ﷺ ، ولا عن أصحابه رضوان الله عليهم ، وقد قال النبي ﷺ : «من عمل عملاً ليس عليه

أمرنا فهو رد » متفق عليه[١] .

فمن توسل إلى الله في دعائه بجاه النبي ﷺ أو حرمته أو بركته أو بجاه غيره من الصالحين أو حرمته أو بركته ، فقال مثلًا : (اللهم بجاه نبيك أو حرمته أو بركته أعطني كذا) فليس بمشرك شركًا يخرج عن الإسلام، لكنها عبادة ممنوعة ؛ لأنها مبتدعة ، وسدًا لذريعة الشرك، وإبعادًا للمسلم من فعل شيء يفضي إلى الشرك ، فهو وسيلة من وسائل الشرك التي تفضي إليه ، ولو كان الأنبياء والصالحون لهم جاه عند الله سبحانه وتعالى فلا يقتضي ذلك جواز التوسل بذواتهم وجاههم؛ لأن الذين لهم من الجاه والدرجات أمر يعود نفعه إليهم، ولا ننتفع من ذلك بشيء إلا باتباعنا لهم ومحبتنا لهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « السنة تدل على النهي عنه كما نقل ذلك عن أبي حنيفة وأبي يوسف وغيرهما » .

وأما حديث : « إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم » فقد قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية : « هذا الحديث كذب ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها أهل الحديث ، ولا ذكره أحد من أهل العلم بالحديث » اهـ.

وقال الخطابي رحمه الله : « ولم يختلف في وضعه اثنان » .

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (٢٦٩٧) ؛ صحيح مسلم ، رقم (١٧١٨) .

فالعبادات توقيفية لا تكون إلا بدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . وبالله التوفيق .

الحلف بالرسول ﷺ

٤٧ - سائل يقول :

ذكر بعض الحنابلة أن الإمام أحمد يروى عنه جواز الحلف بالرسول ﷺ ، فهل صحت نسبة ذلك إليه رحمه الله ؟

الجواب :

لم نر نقلًا عن الإمام أحمد أنه أجاز الحلف بغير الله ، لا بالرسول ﷺ ولا بغيره ، وإنما الذي يروى عن أصحابه في كتبهم جواز الحلف بالرسول ﷺ بناء على قول الإمام أحمد أن عليه الكفارة . والذي يظهر أنه لا تلازم بينهما ، فإن الإمام أحمد رحمه الله معروف باحتياطه للأمور ، فقال : عليه الكفارة من باب الاحتياط لبراءة الذمة . ولهذا اختلف العلماء من أصحابه ، هل هي على سبيل الوجوب ، أو على سبيل الاستحباب ؟ منهم من قال : على سبيل الوجوب ، ومنهم من قال على سبيل الاستحباب . كما قال ذلك الموفق رحمه الله ، قال ذلك في المغني والكافي ، وهو شيخ المذهب.

وقال : إن كلام الإمام أحمد هذا يحمل على الاستحباب دون

الإيجاب ، ولو كانت اليمين منعقدة لكانت الكفارة واجبة عند الحنث ، ويشبه هذا في الاحتياط ما روي عنه رحمه الله أنه كان يصلي خلف الجهمية مع أنه حكم بكفرهم ، ولكن فعل ذلك من باب الاحتياط ، ومثله إيجابه صوم يوم الشك إذا حال دون منظر الهلال قتر أو غيم ، وهو من باب الاحتياط كما هو معروف من مذهبه ، مع أن الأحاديث صريحة بعدم جواز صوم يوم الشك ، فإلزام الإمام أحمد بهذا القول ، وهو جواز الحلف بالرسول لمجرد قوله بالكفارة عند الحنث فيه نظر ظاهر . هذا مع أن المعروف من مذهبه ومذهب الأئمة الأربعة وغيرهم من العلماء رحمهم الله عدم جواز الحلف بأحد من المخلوقين .

وقد حكى الإجماع على ذلك ابن عبد البر رحمه الله ، عملًا بالحديث المتفق عليه أن رسول الله ﷺ قال : « من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت»[1] ؛ وللحديث الذي رواه أحمد والترمذي وحسنه : « من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك » رواه عمر بن الخطاب مرفوعًا إلى النبي ﷺ[2] .

وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه : « لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إلي من أحلف بغيره صادقًا » قال شيخ الإسلام ابن تيمية : قد روي عن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس أنهما قالا كما قال

(١) صحيح البخاري ، رقم (٢٦٧٩) ؛ صحيح مسلم ، رقم (١٦٤٦) .

(٢) مسند أحمد ، رقم (٦٠٧٢) ، والترمذي ، رقم (١٥٣٥) .

ابن مسعود . فهذا يدل على أن الحلف بغير الله أكبر من الكذب مع أن الكذب من المحرمات في جميع الملل، فدل على أن الحلف بغير الله من أكبر المحرمات . والله الموفق .

الحلف بغير الله

٤٨ - سائل يقول :

يستدل بعض الناس بجواز الحلف بغير الله بأمرين الأول : ما جاء في القرآن أن الله سبحانه أقسم بمخلوقاته . الأمر الثاني : أن النبي ﷺ لما جاء الأعرابي ، وسأله عن أمر الإسلام ، فأخبره ، قال النبي ﷺ : أفلح وأبيه إن صدق .

الجواب :

الله سبحانه وتعالى يقسم بما يشاء من خلقه ؛ لما في المقسم به من الدلالة على قدرة الله سبحانه ، وإثبات ربوبيته وألوهيته ، فتعظيم هذه الأمور المخلوقة تعظيم لخالقها ومبدعها ومنشئها ، وهو الله جل جلاله ، وفيها الدلالة على كمال قدرته وألوهيته وحكمته ، وغير ذلك من صفات كماله ، وأما المخلوق فلا يجوز له أن يعظم إلا ربه الذي أمره بذلك، ونهاه عن تعظيم غيره ؛ ولأن غيره لا يستحق التعظيم، حيث إنه مخلوق مربوب ، وقد نهى سبحانه على لسان رسوله أن نحلف بأحد غيره ، كما في الحديث

الذي رواه البخاري ومسلم : «من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت »[1] . قال الإمام الشعبي : الخالق يقسم بما شاء من خلقه والمخلوق لا يقسم إلا بالخالق ، وقال رحمه الله : لأن أقسم بالله فأحنث أحب إلي من أن أقسم بغيره فأبر . وقال مطرف بن عبد الله: إنما أقسم الله بهذه الأشياء يعجب بها المخلوقين ، ويعرفهم قدرته ؛ لعظم شأنها عندهم ، ولدلالتها على خالقها .

وأما حديث : «أفلح وأبيه إن صدق» . فقد قال ابن عبد البر رحمه الله إن هذه اللفظة غير محفوظة ، وقد جاءت عن راويها إسماعيل بن جعفر : «أفلح والله إن صدق» . قال : وهذا أولى من رواية من روى عنه بلفظ : أفلح وأبيه ؛ لأنها لفظة منكرة تردها الآثار الصحاح . وقال رحمه الله : وزعم بعضهم أن بعض الرواة عنه صحف قوله : وأبيه ، من قوله: والله .

كما أجاب بعض العلماء عن هذا الحديث بجواب آخر وهو أن هذا كان في أول الأمر ثم نسخ ، أي أنهم كانوا قد اعتادوا ذلك قبل الإسلام ، وكانت تجرى على ألسنتهم هذه الألفاظ حسب ما اعتادوا ، ثم نسخ ذلك ، فوردت أحاديث النهي عنه ، فكانوا يفعلون ذلك ، ثم نهوا عنه ، أي نسخ جواز الحلف بغير الله ، ونهي عنه، كما ذكر ذلك الماوردي وغيره. قال السهيلي: أكثر الشراح عليه حتى قال ابن العربي : روي أنه ﷺ كان يحلف بأبيه، حتى نهي عن

---

(١) تقدم تخريجه بالفتوى رقم (٤٧) .

ذلك . فهذا يدل على أنه كان مستعملًا شائعًا حتى ورد النهي عن ذلك كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ أدرك عمر بن الخطاب يسير في ركب يحلف بأبيه ، فقال ﷺ : « ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت» رواه البخاري ومسلم[1] . وعنه أيضًا قال : قال رسول الله ﷺ : « من كان حالفًا فلا يحلف إلا بالله ، وكانت قريش تحلف بآبائها ، فقال : لا تحلفوا بآبائكم » . رواه البخاري ومسلم[2] . وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : « حلفت مرة باللات والعزى ، فقال النبي ﷺ : قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ثم انفث عن يسارك وتعوذ ولا تعد» رواه النسائي وابن ماجه وهذا لفظه[3] . وفي هذا المعنى أحاديث ، فما ورد فيه ذكر الحلف بغير الله فهو جار على العادة قبل النهي ؛ لأن ذلك هو الأصل حتى ورد النهي عن ذلك . والله أعلم .

الرياء

٤٩ - سائل يقول :

ما المقصود بالرياء ؟

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (٦٢٧٠) ؛ صحيح مسلم ، رقم (١٦٤٦) .

(٢) صحيح البخاري ، رقم (٣٦٢٤) ، صحيح مسلم ، رقم (١٦٤٦) .

(٣) سنن النسائي ، رقم (٣٧٧٦) ، وابن ماجه ، رقم (٢٠٩٧) .

الجواب :

الرياء هو أن يعمل الإنسان طاعة لا تكون خالصة لله عز وجل . والرياء محرم ومن الشرك الأصغر .

ومن عمل عملًا لغير الله فقد حبط عمله ، وفي الحديث القدسي : « من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه » رواه مسلم[1] .

فعلى الإنسان أن يحذر الرياء أشد الحذر وأن يسأل الله دومًا أن يجعل عمله خالصًا لوجهه الكريم ، وأن لا يجعل لأحد فيه شيئًا، أعاذنا الله وإياكم من الرياء .

الاعتقاد في
قدرة الأولياء

٥٠ - سائل يقول :

في بلدي يعتقد بعض الناس في قدرة الأولياء والصالحين ، ويطلبون منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات مع أنهم يصلون ، هل هذا يخل بعقيدتهم؟

---

(١) صحيح مسلم ، رقم (٢٩٨٥) .

الجواب :

هذا الاعتقاد في قدرة الأولياء والصالحين وصرف الدعاء لهم لقضاء الحاجات وتفريج الكربات من إنسان غائب لا يسمعه ، أو ميت في قبره مهما كان صلاحه، كفر بالله تعالى ، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص: ٨٨] ؛ فالإنسان إذا طلب من غير الله تعالى الحاجات وتفريج الكربات فإنه اتخذه إلها من دون الله ، فالذي يقدر على قضاء الحوائج ، ويعطيك ما تريد هو الله سبحانه وتعالى، وغيره لا يستطيع شيئًا، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [يونس:١٠٦] أي من المشركين . والله سبحانه وتعالى يقول في الآية الأخرى : ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر:١٣، ١٤] .

فالدعاء عبادة لا تصرف إلا لله سبحانه وتعالى وحده ، فهو الذي يسمع كلامك ، ويرى مكانك ، ويعلم حاجتك ، وهو وحده الذي يجيب الداعين ، ويقضي حاجاتهم ، ويفرج كرباتهم ،

فادعه سبحانه وتعالى، يقول سبحانه : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر:٦٠] ، ويقول أيضًا: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل:٦٢] .

ومن دعا أهل القبور على النحو المذكور وقع في الشرك ، ولو صلى وصام ، وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله ؛ لأن قضاء الحوائج وجلب النفع ودفع الضر لا يطلب إلا من الله تعالى ، والله يقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٤٨] ، ويقول سبحانه وتعالى :﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة:٧٢] ، لكن زيارة القبور للسلام على أهلها والدعاء لهم مشروع فقد كان النبي ﷺ يزور القبور ويدعو لأهلها ، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى ، وأبكى من حوله ، فقال استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي ، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي ، فزوروا القبور فإنها تذكر الموت » رواه مسلم[١] . والله أعلم .

---

(١) صحيح مسلم ، رقم (٩٧٦) .

حكم العبادة عند المقابر

٥١ - سائل يقول:

ما حكم زيارة القبور وفعل العبادات من الدعاء والنذر والذبح ونحوه عند قبر الميت ؟

الجواب:

زيارة المقابر مشروعة ، والمقصود منها تذكر الآخرة والاعتبار بحال أهلها ، كما ورد في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها » رواه مسلم[١]، وفي رواية أبي داود «فإن فيها تذكرة»[٢] ، وفي رواية الترمذي «فإنها تذكر الآخرة»[٣] ومن المقاصد أيضًا السلام على أهلها والدعاء لهم، كما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم للاحقون » رواه مسلم[٤] . وأما التقرب لله بالصلاة أو النذر أو الذبح عند المقابر، فغير جائز ، فإن قصد بتلك الأفعال والطاعات التقرب لأصحاب القبور كما يفعل في بعض البلدان وصرفها لهم من دون الله تعالى فإن فعله يعد شركا بالله ، وقد ورد الوعيد الشديد في ذلك كما في حديث عامر بن واثلة قال : قال

---

(١) صحيح مسلم ، رقم (٩٧٧) .

(٢) سنن أبي داود ، رقم (٣٢٣٧) .

(٣) سنن الترمذي ، رقم (١٠٥٤) .

(٤) صحيح مسلم ، رقم (٩٧٤) .

رسول الله ﷺ : «لعن الله من ذبح لغير الله»رواه مسلم[١] ، فدعاؤهم والصلاة عندهم والذبح لهم تجعلهم أوثانًا تعبد من دون الله والعياذ بالله ، والله الهادي والموفق .

حكم الذبح لله عند القبور

٥٢ - سائل يقول:

هل يجوز الذبح لله عند القبور؟

الجواب:

لا يجوز الذبح عند القبور، بل هو من البدع المحدثة في الـدين ، وإن كان الذبح لأجل صاحب القبر فهذا شرك، وفي حديث عـامر ابن واثلة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: «لعن الله من ذبح لغير الله» رواه مسلم[٢] ، والله أعلم .

زيارة القبور

٥٣ - سائلة تقول:

بعض القبور تزار، ويذبحون عندها فهل هذا جائز؟ وجزاكم الله خيرًا .

الجواب :

زيارة القبور لها ثلاث حالات : زيارة شرعية ، وزيارة بدعية،

---

(١) صحيح مسلم ، رقم (١٩٧٨) .

(٢) تقدم تخريجه بالفتوى رقم (٥١) .

وزيارة شركية والعياذ بالله.

فزيارة القبور الشرعية مستحبة وتكون للرجال دون النساء ، وقد كان النبي ﷺ نهى عن زيارة القبور في أول الأمر ، ثم نسخ النهي باستحباب زيارتها ، فقد جاء عن بريدة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها » رواه مسلم[1] . وفي رواية لأبي داود : « فإن في زيارتها تذكرة »[2] . وجاء في حديث آخر الوعيد الشديد في زيارة النساء للقبور ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لعن الله زوارات القبور» رواه أحمد والترمذي وابن ماجه[3] .

ويسن للمسلم إذا زار القبور ، أن يسلم عليهم ، ويدعو لهم ، فعن بريدة رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر ، فكان قائلهم يقول : السلام على أهل الديار ، (وفي رواية أخرى : السلام عليكم أهل الديار) من المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاء الله للاحقون ، أسأل الله لنا ولكم العافية » رواه مسلم[4] .

والزيارة البدعية هي أن يأتي قبرًا بعينه يرى أن صاحبه من

---

(١) تقدم تخريجه بالفتوى رقم (٥١) .

(٢) رواه أبو داود ، رقم (٣٢٣٥) .

(٣) مسند أحمد ، رقم (٨٣٤٠) ؛ والترمذي ، رقم (١٠٥٦) ؛ وابن ماجه ، رقم (١٥٤٧) .

(٤) صحيح مسلم ، رقم (٩٧٥) .

الصالحين ، ثم يسأل الله عنده ، أو يتصدق عنده ، لأنه يرى أن هذا القبر له خصوصية ، مع أنه لم يسأل صاحب القبر ولم يتوسل به ولم يطلب منه شيئًا ، ولكنه يسأل الله ، ويظن أن سؤاله الله عند هذا القبر أقرب إلى الإجابة ، فهذا من البدع ومن المنكرات المحرمة .

وأما الزيارة الشركية والعياذ بالله، فهي أن يأتي القبر ، ويدعو صاحبه ، ويذبح له ، ويطلب منه المدد والعون ، ويطلب منه تفريج كربته ، وأن يشفع له عند الله ، ويتوسل به ، فهذا شرك أكبر يحبط عمله والعياذ بالله ، لأنه دعا غير الله ، والله عز وجل وعلا يقول : ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٧] ، ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الزمر:٦٥] ، فالدعاء هو العبادة كما قال النبي ﷺ : «الدعاء هو العبادة » رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه[١] ، ويقول سبحانه : ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[القصص:٨٨] ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس:١٠٦] يعني من المشركين، لأن الله سمى الشرك ظلمًا فقال: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان:١٣] وهذه الزيارة الشركية تحدث في بعض البلدان، يأتون لصاحب القبر ويقولون : يا حسين، يا بدوي، يا عبد القادر الجيلاني، أو الدسوقي ... كل هذا والعياذ بالله شرك أكبر، يخرج

(١) أبو داود ، رقم (١٤٧٩) ؛ والترمذي ، رقم (٢٩٦٩) وحسنه ؛ وابن ماجه ، رقم (٣٨٢٨) .

عن ملة الإسلام بنص القرآن ، يقول سبحانه : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر:١٣-١٤]. نسأل الله أن يمن علينا وعليكم بمعرفة توحيده وعبادته على الوجه الذي يرضيه.

الطيرة

حكم الطيرة

٥٤ - سائلة تقول :

عندنا من العادات أن كبار السن يعتقدون بالطيرة ويقولون : إنها تقتل الأطفال ، وهي طائر أكحل اللون ، ولا يتركون ملابسهم على الحبل في الليل ، ما حكم التشاؤم في مثل ذلك مأجورين ؟

الجواب :

نهى النبي ﷺ عن الطيرة ، وحذر منها ، فهي نوع من الشرك ؛ فقد جاء في الحديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الطيرة شرك ، الطيرة شرك -ثلاثًا- وما منا إلا ، ولكن الله يذهبه بالتوكل » رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه[1] ، والواجب على الإنسان أن يتوكل على الله ، ويعتمد عليه سبحانه وتعالى ، ويعلم أنه سبحانه هو النافع الضار ، والواجب على السائل أن ينصح هؤلاء ، ويبين لهم الحق في ذلك ، وبالله التوفيق .

---

(١) مسند أحمد ، رقم (٣٦٨٧) ؛ وأبو داود ، رقم (٣٩١٠) ؛ وابن ماجه ، رقم (٣٥٣٨) .

الطيرة

٥٥ - سائل يقول :

بعض الناس يتطيرون ببعض الشهور والأيام ، فيقولون لا يمكن لأحد أن يتزوج في صفر وشعبان أو يخطب النساء فيها ، فما الحكم في ذلك ؟

الجواب :

ما ذكر من عدم التزوج أو خطبة النساء في شهر شعبان أو صفر هو نوع من التشاؤم ، والتشاؤم من الشهور أو الأيام أو الطيور ونحوها من الحيوانات لا يجوز ؛ لما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر »[1] والتشاؤم بشهر صفر أو شعبان هو من جنس الطيرة المنهي عنها ، وهو من عمل الجاهلية ، وقد أبطله الإسلام ، وكذلك الحكم فيمن يتطير ببعض الأيام والأسماء ، فهذا كله من الطيرة المنهي عنها ، والتي يجب على المسلم أن يبتعد عنها ويستغفر الله ، ويتوب إليه من ذلك . وبالله التوفيق .

التشاؤم من أيام معينة

٥٦ - سائل يقول :

يتشاءم الناس عندنا في بعض بادية مصر من الأيام « ٦ ، ١٦ ،

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (٥٧٠٧) ؛ صحيح مسلم ، رقم (٢٢٢٠) .

٢٦» من الشهر ، وفي شهر صفر كله ، فلا يعملون في هذه الأيام ولا شهر صفر أي مناسبة فرح ، فما حكم ذلك ؟

الجواب :

لا شك أن هذا من الأمور المنهي عنها، وهي من أعمال أهل الجاهلية، فلا يجوز لمسلم أن يتشاءم بشيء ، ويظن أنه ينفع ويضر ، وهو من الطيرة التي جاء في قوله ﷺ : « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر » رواه البخاري ومسلم[1] . فقد كان الناس في الجاهلية يتشاءمون بأمور كثيرة ، منها أن الطير إذا حلق يمنة تيمنوا، وظنوا حصول الخير ، وأقدموا على العمل ، وإن طار يسرة تشاءموا به ، وربما انكفوا عن العمل .

فنفاه ديننا الحنيف وأبطله ، ونهى عنه ، وأخبر أنه ليس له تأثير في جلب نفع أو دفع ضر .

وفي صحيح مسلم عن معاوية بن الحكم السلمي أنه قال لرسول الله ﷺ : « ومنا أناس يتطيرون ، فقال : ذاك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنكم »[2] . فأخبر ﷺ أن تأذيه وتشاؤمه بالتطير إنما هو في نفسه وعقيدته لا في المتطير به .

فالتشاؤم مناف لكمال التوحيد ، وباب للشرك في اعتقاد الإنسان أن هذا الشيء ضار أو نافع في ذاته .

---

(١) تقدم تخريجه بالفتوى رقم (٥٥) .

(٢) صحيح مسلم ، رقم (٥٣٧) .

فيجب على المسلم أن يعتقد أنه لا يحصل شيء من النفع والضر إلا بما أراد الله عز وجل ، ويعمل بما أمر به من اتخاذ الأسباب المباحة .

والتشاؤم بشهر صفر من عقيدة أهل الجاهلية ، كما جاء في بعض الآثار أن أهل الجاهلية كانوا يتشاءمون بصفر ويقولون : إنه شهر مشؤوم . وهو شبيه بتشاؤم أهل الجاهلية بشهر شوال أيضًا كما في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : « تزوجني رسول الله ﷺ في شوال ، وبنى بي في شوال ، فأي نساء رسول الله ﷺ كان أحظى عنده مني »[1] ، وكانت عائشة تستحب أن تدخل نساءها في شوال .

فقصدت عائشة رضي الله عنها بهذا الكلام رد ما كانت الجاهلية تفعله ، من كراهة التزويج والدخول في شوال ، كذلك اعتقاد الناس في صفر أنه صفر من الخير . وهذا اعتقاد باطل يجب على المسلم أن يجتنبه ؛ لأنه من أعمال أهل الجاهلية. وبالله التوفيق.

---

(١) صحيح مسلم ، رقم (١٤٢٣) .

السحر والعين والحسد

علاج السحر

٥٧ - سائلة تقول :

امرأة مسحورة وتريد أن تعالج نفسها بقراءة القرآن ، فهل عليها حرج إذا قرأت على نفسها القرآن في أيام الحيض؟ وما هي الآيات التي يقرأها المريض ؟

الجواب :

لا يجوز للمرأة الحائض أن تقرأ القرآن سواء كانت صحيحة أم مريضة ، ولكن يرقى المسحور بتلاوة القرآن عليه كسورة الفاتحة وقوله سبحانه : ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٠٢] ، ويقرأ آية الكرسي وأواخر البقرة ، ويقرأ قوله تعالى :

﴿ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَـٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَـٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴾ [الأعراف:١٠٦-١٢٢] ، وقوله سبحانه : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَـٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [يونس ٧٩-٨٢] ، وقوله جل وعلا : ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَـٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ [طه ٦٦-٦٩] ، ويقرأ سورة الإخلاص والمعوذتين ثلاث مرات ، وكذلك يرقى بالأدعية والأذكار الثابتة عن النبي ﷺ مثل: « اللهم رب الناس، أذهب الباس، واشف أنت

الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا »[١] ، ومثل : «بسم الله أرقيك ، من كل شيء يؤذيك، ومن شر كل نفس ، أو عين حاسد الله يشفيك ، باسم الله أرقيك »[٢] ؛ لثبوت ذلك عن النبي ﷺ، ونوصيك بالرجوع إلى كتاب الأذكار للنووي، وكتاب الكلم الطيب لابن تيمية، وكتاب الوابل الصيب لابن قيم الجوزية رحمهم الله. والله أعلم .

الحكمة من تحريم السحر

٥٨ - سائل يقول :

ما هي أسباب تحريم الإسلام للسحر والشعوذة ؟

الجواب :

يقول الله عز وجل : ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (٥٧٤٣) .

(٢) صحيح مسلم ، رقم (٢١٨٦)

ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٠٢] .

فالآية دليل على أن تعلم السحر كفر . وبين العلماء أن سبب تحريم الإسلام للسحر هو أن حقيقته الإشراك بالله والكفر كما تقدم ذكره ؛ لأنه لا يحصل إلا بالاستعانة بالشيطان الذي هو عدو لله ولأوليائه المؤمنين ، أو بمخاطبة الكواكب واستنزال روحانياتها على زعم الساحر ، أو بأكل الحرام وارتكاب الفواحش التي يرضي بها الشيطان ، فإذا فعل الساحر هذه الأعمال المنكرة انقاد له الشيطان وخدمه وأطاعه في تنفيذ أوامره من الإخبار ببعض الأمور التي حدثت ، أو القيام بالتفريق بين الزوجين ، أو إلقاء المحبة بينهما أو عقد رجل عن زوجته، أو إصابته ببعض الأمراض أو غير ذلك، وكل ذلك بقضاء الله وقدره وإرادته الكونية . قال تعالى : ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ وهذا النوع من السحر كفر بدون شك ولا يرضى الله لعباده الكفر، قال تعالى : ﴿ إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَ ﴾ [الزمر:٧] ؛ ولذلك حكم العلماء عليه بالقتل في هذا النوع من السحر؛لأنه لا يأتي إلا بالكفر.

قال ابن قدامة رحمه الله : « تعلم السحر وتعليمه حرام لا نعلم فيه خلاف بين أهل العلم . قال أصحابنا : ويكفر الساحر بتعلمه وفعله سواء اعتقد تحريمه أو إباحته ».

كما أن في عمل الساحر إفساد في الأرض ، وقال تعالى : ﴿ وَلَا

تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[الأعراف:٥٦] .

وفي عمل الساحر إيذاء للمؤمنين وغيرهم ، وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴾[الأحزاب:٥٨] .

فالساحر بأعماله يؤذي المؤمنين في أنفسهم وأولادهم فيخبّل ويمرض بواسطة الشيطان الذي عبده وأطاعه . وكذلك بالتفريق بين الزوجين ، وهذا من أبغض الأعمال في ديننا ، فقد تبرأ النبي ﷺ من فاعله ، قال ﷺ : « من خبب زوجة امرئ أو مملوكه فليس منا » رواه أبو داود بسند صحيح[1] ، ومعنى خبب : خدع وأفسد .

وهذا العمل من أحب الأعمال إلى الشيطان ، قال النبي ﷺ : «إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه ، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة ، يجيء أحدهم فيقول : فعلت كذا وكذا ، فيقول : ما صنعت شيئًا ، قال : يجيء أحدهم فيقول : ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته قال : فيُدنيه ، ويقول : نِعْمَ أنت» رواه مسلم[2] .

والإسلام لا يرضى أن يؤذى المسلم بالهمز واللمز فكيف يرضى بهذه الأفعال الشنيعة . فالحاصل أن الأعمال التي يقوم بها

(١) سنن أبي داود ، رقم (٥١٧٠) .
(٢) صحيح مسلم ، رقم (٢٨١٣) .

الساحر هي كبائر الذنوب ، ولها آثار سيئة على المجتمع عامة وعلى المسلمين خاصة ، وقد قال النبي ﷺ : « حد الساحر ضربة بالسيف» رواه الترمذي[(١)] . وقد جعل النبي ﷺ السحر من الموبقات قال ﷺ : « اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا : يا رسول الله ما هن ؟ قال : الشرك والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات » رواه البخاري ومسلم[(٢)] . وقد يحصل بالسحر جميع هذه الموبقات والله المستعان .

وقال ﷺ : « من اقتبس علمًا من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد » رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه[(٣)] .

وقال ﷺ : « ليس منا من تطير أو تُطُيّر له ، أو تكهن أو تُكهن له أو سحر أو سُحر له ، ومن أتى كاهنًا فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ » رواه البزار ورجاله رجال الصحيح[(٤)] . وقال ﷺ : «لا يدخل الجنة مدمن خمر ولا مؤمن بالسحر ولا قاطع رحم »[(٥)] .

وكذلك النوع الآخر من السحر وهو الشعوذة وهو تخييل وتمويه ، فهو أيضًا مبني على الباطل والكذب والدجل والخداع

---

(١) الترمذي ، رقم (١٤٦٠) .

(٢) صحيح البخاري ، رقم (٢٧٦٦) ؛ وصحيح مسلم ، رقم (٨٩) .

(٣) مسند أحمد ، رقم (٢٨٤٠) ، وسنن أبي داود ، رقم (٣٩٠٥) ، وابن ماجه ، رقم (٣٧٢٦) .

(٤) مسند البزار ، رقم (٣٥٧٨) .

(٥) مسند أحمد ، رقم (١١١٧٠) .

وأكل أموال الناس بالباطل والتغذي بالحرام ، وكل ذلك حرام يستحق فاعله العقاب في الدنيا والآخرة .

لتلك الأسباب وغيرها حرم الإسلام الشعوذة مثل السحر ، وقد جاء الإسلام ليتمم مكارم الأخلاق ويمحو مساوئها ، لا يرضى بأي عمل يكون فيه مساس بأهم ركن فيه وهو التوحيد ، أو يكون فيه فساد على المسلمين . وبالله التوفيق .

الذهاب للسحرة والعرافين

٥٩ - سائلة تقول :

كنت أشكو من اضطرابات في الجسم وخوف مستمر ، مما دعاني للذهاب لعدد من الأطباء ، ولكن دون جدوى ، وذهبت أخيرًا إلى رجل يقال إنه يعالج بالقرآن الكريم ، والعلاج كان عبارة عن بخارات وماء محاية لمدة خمسة عشر يومًا ، وخلال تلك الفترة للعلاج حضر بالمنزل ، وزادت الحالة سوءًا ، وأخيرًا علمت بأن الرجل يعالج بالسحر ، فاستغفرت الله كثيرًا وندمت ، فهل علي إثم في هذه الحالة ؟ وماذا يلزمني ؟

الجواب :

لا يجوز للمسلم أن يأتي الساحر أو الكاهن أو العراف ، ويأثم بهذا ، ومن يأتيهم فهو على خطر عظيم في دينه ، لما ورد عن

أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « اجتنبوا السبع الموبقات . قالوا : يا رسول الله وما هن؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات » رواه البخاري[1] ، ولما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « من أتى كاهنًا أو عرافًا فصدقه ، فقد كفر بما أنزل على محمد » رواه أحمد وغيره[2] ، وفي لفظ لمسلم عن صفية عن بعض أزواج النبي ﷺ ، عن النبي ﷺ قال : « من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة »[3] ، لكن ما دام أن السائلة فعلت ذلك ظنًا منها أنه يعالج بالقرآن الكريم والأحاديث الصحيحة ، فهي معذورة إن شاء الله ؛ وذلك لأنها تركته لما تبين لها حقيقته ، وتابت إلى الله تعالى ، وينبغي عليها أن تحذر من الذهاب إلى أمثال هؤلاء مرة ثانية . وبالله التوفيق .

الذهاب إلى السحرة لفك السحر

٦٠ - سائل يقول:

ما حكم الذهاب إلى السحرة لفك السحر وإخراج الجن؟

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (٢٧٦٦) .

(٢) مسند أحمد ، رقم (٩٥٣٢) .

(٣) صحيح مسلم ، رقم (٢٢٣٠) .

ويدعي بعض الناس أنه لا يشفى إلا بذلك ، نرجو منكم النصيحة.

الجواب:

لا يجوز للمسلم إتيان السحرة ؛ لأن السحر كفر بالله تعالى ، وهؤلاء السحرة دعاة إلى الكفر به سبحانه وتعالى ، فلا يكون لساحر ما أراد حتى يصرف شيئًا من العبادة لغير الله، قال تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾[البقرة : ١٠٢] ، وهم لا ينفعون، ولا يضرون، ولا يجلبون الخير لأنفسهم، ولا يدفعون عنها الشر، إنما هو احتيال على أكل أموال الناس بالباطل .

ومن يتبع هؤلاء فهو على خطر في دينه ، ففي حديث صفية رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ: « من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة» رواه مسلم[1] .

ولو صدقهم بما يقولون فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ ، كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من أتى كاهنًا أو عرافًا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ» رواه أحمد وأصحاب السنن[2] ، فالواجب على المسلم أن يحذر من ذلك أشد الحذر .

---

(١) صحيح مسلم ، رقم (٢٢٣٠) .

(٢) تقدم تخريجه بالفتوى رقم (٥٩) .

والسحر يفك بإذن الله تعالى بالرقية الشرعية فيقرأ سورة الفاتحة وقوله سبحانه : ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٠٢] .

ويقرأ آية الكرسي وأواخر البقرة ، ويقرأ قوله تعالى : ﴿ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾

﴿ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ [الأعراف:١٠٦-١٢٢] ، وقوله سبحانه : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [يونس ٧٩-٨٢] ، وقوله جل وعلا : ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُواْ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ [طه ٦٦-٦٩] ، ويقرأ سورة الإخلاص والمعوذتين ثلاث مرات ، ويقول الذكر المعروف: « اللهم رب الناس ، أذهب الباس ، واشف أنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقمًا » ثلاث مرات ، ويقول : « بسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك ، ومن شر كل نفس، أو عين حاسد، الله يشفيك ، بسم الله أرقيك » ثلاث مرات أيضًا . يقرأ هذه الآيات والأذكار على المسحور ، ولو كتبها بماء الزعفران في ورقة ووضعها في ماء يشرب منها المسحور ويغتسل فإنه ينفع بإذن الله ، وليكثر من قراءة سورة البقرة فإن النبي ﷺ أخبر عن فضلها بقوله ﷺ : «اقرءوا سورة البقرة ، فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا تستطيعها البطلة» -أي السحرة-رواه مسلم[1] . نسأل الله أن يحفظ الجميع .

---

(١) صحيح مسلم ، رقم (٨٠٤) .

والله أعلم.

الذهاب للعرافين والكهنة

٦١ - سائل يقول :

ما حكم الذهاب للعرافين والكهنة ؟

الجواب :

الذهاب إلى العرافين والكهنة لسؤالهم حرام لا يجوز وقد حذرنا النبي ﷺ من إتيانهم فقال: « من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة » أخرجه مسلم[1] .

وأكثر هؤلاء ممن ينظرون في النجوم لمعرفة الحوادث ، أو يستخدمون من يسترقون السمع من شياطين الجن ، ومثل هؤلاء من يخط في الرمل ، وينظر في الفنجان أو في الكف ، ومن يفتح الكتاب زعمًا منهم أنهم يعرفون بذلك الغيب ، وهم كفار لزعمهم أنهم يشاركون الله في علم الغيب ، ولتكذيبهم بقوله تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النمل:٦٥] وبقوله سبحانه: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [الجن:٢٦] .

---

(١) تقدم تخريجه بالفتوى رقم (٥٩).

أما الذي يأتيهم ويصدقهم بما يقولون ، فهو كافر ؛ لما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ » رواه أحمد والحاكم وصححه[1] ، وقد جاء غير ذلك من الأحاديث في كفر العرافين والكهان ومن صدقهم . فعلى من كان يتردد عليهم أن يتوب إلى الله توبة نصوحًا ، ويقلع عن هذا الأمر الخطير ، أعاذنا الله وإياكم منه . وبالله التوفيق .

مخالفة الوالدين
في الذهاب للعرافين

٦٢ - سائل يقول :

إذا طلب مني أحد الوالدين أن أذهب به إلى الكهان والعرافين في بعض الدول بغرض العلاج ، فهل الرفض معصية للوالدين ؟

الجواب :

لا يجوز طاعة الوالدين في مثل هذا ، لأنه حرام ، ومعصية ؛ لما جاء عن الحسن وأبي هريرة رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « من أتى كاهنًا أو عرافًا فصدقة بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ »

---

(١) مسند أحمد ، رقم (٩٥٣٢) ، والحاكم ، رقم (١٥) .

رواه أحمد[١] ، ولما جاء عن رسول الله ﷺ قال : « من أتى عرافًا فصدقه بما يقول فلا تقبل له صلاة أربعين يومًا » رواه مسلم[٢] ، فلا يجوز طاعة الوالدين في مثل هذا ؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ [لقمان :١٥] ، وقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » رواه أحمد[٣] . وينبغي عليه أن ينهاهما عن هذا ، ويوضح لهما حرمة هذا الأمر برفق ولين . والله المستعان .

زوال العين بموت العائن

٦٣ - سائل يقول :

هل صحيح أن العين إذا دامت في المعيون طويلًا لا تزول إلا بموت صاحبها؟

الجواب :

لا نعلم في الشرع ما يدل على أن العين إذا دامت في المعين طويلًا لا تزول إلا بموت صاحبها ، غير أن الوارد أن على المسلم

---

(١) تقدم تخريجه بالفتوى رقم (٥٩) .

(٢) صحيح مسلم ، رقم (٢٢٣٠) .

(٣) مسند أحمد ، رقم (١٠٩٥) .

أن يحصن نفسه بالإيمان بالله ، والتوكل عليه، وقراءة ورد من القرآن ، والأدعية المأثورة ، وإذا علم المعان من أصابه بعينه ، فإنه يشرع له أن يطلب من العائن أن يغسل وجهه ويديه وداخلة إزاره في إناء ، ثم يغتسل المعان بذلك ؛ وذلك لما رواه مالك وغيره : « أن عامر بن ربيعة رأى سهل بن حنيف يغتسل ، فقال : واللهَّ ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة . قال : فلَبِط سهل ، فأتي رسول الله ﷺ فقيل: يا رسول الله ، هل لك في سهل بن حنيف، والله ما يرفع رأسه؟ فقال : هل تتهمون له أحدًا ؟ قالوا : نتهم عامر بن ربيعة ، قال : فدعا رسول الله ﷺ عامرًا ، فتغيظ عليه ، وقال : علام يقتل أحدكم أخاه؟ ألا بركت! اغتسل له ، فغسل عامر وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره في قدح ، ثم صب عليه ، فراح سهل مع الناس ليس به بأس»[1] ؛ ولقول عائشة رضي الله عنها: « كان يؤمر العائن فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين» رواه أبو داود[2] . والله أعلم .

أسباب العين

٦٤ - سائل يقول :

كيف يكون للعين أثر في إصابة المعيون ؟

---

(١) الموطأ ، رقم (١٩٧٣) .

(٢) سنن أبي داود ، رقم (٣٨٨٠) .

الجواب :

أسباب إصابة العين غير معروفة ، غير أنه حقيقة ملموسة لا ينكرها المسلم . وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : «العين حق ، ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين » رواه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما[1] . وقد قال نبي الله يعقوب عليه السلام لبنيه : ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [يوسف:٦٧] ، وفي الحديث أيضًا أن عامر بن ربيعة رأى سهل بن حنيف يغتسل ، فقال : «والله ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة . قال : فلَبِط سهل ، فأتي رسول الله ﷺ فقيل: يا رسول الله ، هل لك في سهل بن حنيف، والله ما يرفع رأسه؟ فقال : هل تتهمون له أحدًا ؟ قالوا : نتهم عامر بن ربيعة ، قال : فدعا رسول الله ﷺ عامرًا ، فتغيظ عليه ، وقال : علام يقتل أحدكم أخاه؟ ألا بركت! اغتسل له ، فغسل عامر وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره في قدح ، ثم صب عليه ، فراح سهل مع الناس ليس به بأس» رواه مالك وغيره[2] . والله أعلم .

---

(١) صحيح مسلم ، رقم (٢١٨٨) .

(٢) الموطأ ، رقم (١٩٧٣) .

جزاء العائن

٦٥ - سائل يقول :

هل العائن يكون قاتلًا إذا مات من أصابه بعين عالمًا بأنّه أصابه أو لم يعلم ؟

الجواب :

لا شك أن إلحاق الأذى بالنّاس عن طريق العين حرام ، يأثم فاعله ، فالعين حق كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « العين حق » رواه أبو داود[1] .

وقد اختلف العلماء في العائن يقتل آخر بعينه بحيث يتكرر منه ذلك ، ويصير عادة له ، هل يجرى عليه القصاص أو الدية أم لا؟ فقال القرطبي : لو أتلف العائن شيئًا ضمنه ، ولو قتل ، فعليه القصاص أو الدية إذا تكرر ذلك منه ، بحيث يصير عادة ، وهو في ذلك كالساحر عند من لا يقتله كفرًا . وذهب النووي وغيره إلى أنه لا دية فيه ولا كفارة .

والواجب على المسلم أن يتقي الله جل وعلا ، ولا يضر إخوانه ، وإذا علم من نفسه أنّه يؤذي النّاس بعينه فعليه أن يتقي الله وأن يكف عينيه عن النّاس ، وأن يداوم على ذكر الله ؛ وإذا رأى من أحد ما يعجبه فليقل : ما شاء الله لا قوة إلا بالله . والله أعلم .

---

(١) تقدم تخريجه بالفتوى رقم (٦٤) .

الفرق بين
العين والحسد

٦٦ - سائل يقول :

ما الفرق بين العين والحسد ؟ وكيف نحمي أنفسنا وأولادنا من الحسد ؟

الجواب :

العين هو إعجاب العائن بالشيء ، ثم يتبعه نفسه بنظرها إلى المعين .

أما الحسد فهو تمني زوال النعمة عن الغير .

يقول الإمام ابن القيم في زاد المعاد : « فكل عائن حاسد وليس كل حاسد عائنًا ، فلما كان الحاسد أعم من العائن كانت الاستعاذة منه استعاذة من العائن ، وهي سهام تخرج من نفس الحاسد والعائن نحو المحسود والمعين ، تصيبه تارة ، وتخطئه تارة ، فإن صادفته مكشوفًا لا وقاية عليه أثرت فيه ، وإن صادفته حذرًا شاكي السلاح لا منفذ فيه للسهام ، لم تؤثر فيه ، وربما ردت السهام على صاحبها » اهـ .

وينبغي أن يعلم أن الحسد من كبائر الذنوب ؛ لأن صاحبه لم يرض بقسمة الله الذي قسم الأرزاق والنعم على خلقه بإرادته وحكمه البالغة ، فكأنه يعترض على إرادة الخالق ، وقد جاء في

الحديث : « الحسد يأكل من الحسنات كما تأكل النار الحطب » رواه أبو داود[١] .

أما عن حماية أنفسنا وأولادنا من الحسد فيكون بتحصين أنفسنا وأولادنا بالأذكار الشرعية الواردة عن النبي ﷺ، كقراءة المعوذتين ، وسورة الإخلاص ، وآية الكرسي ، وكذلك بقول: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق » ، وقوله تعالى : ﴿حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة : ١٢٩] ، وكان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين فيقول : « إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق أعوذ بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة» رواه البخاري[٢] ، ونحو ذلك من الأذكار الكثيرة الواردة عن رسول الله ﷺ من أذكار الصباح والمساء وغيرها ، وعلى المسلم أن يتوكل على ربه ، ويحافظ على أوامره ، ويجتنب نواهيه ، فإن هذه الأمور من أعظم التحصينات ، والله أعلم .

علاج الحسد

٦٧ - سائل يقول :

كيف يعالج الإنسان نفسه إذا كان يحسد الآخرين ؟

---

(١) سنن أبي داود ، رقم (٤٩٠٣) .

(٢) صحيح البخاري ، رقم (٣٩٧١ .

الجواب :

إذا عرف الإنسان في نفسه أنه يحسد الآخرين ، فعليه أن يتقي الله عز وجل ، وليعلم أن هذا حرام ، لما روي عنه ﷺ أنه قال : «إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» رواه أبو داود[١]، وجاء عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا» رواه البخاري ومسلم[٢] . وليعود نفسه أن يقول إذا أعجبه شيء : ما شاء الله تبارك الله ، فإن هذا يمنع الضر عن الآخرين ؛ لما رواه مالك في موطئه أن عامر بن ربيعة رأى سهل بن حنيف يغتسل ، فقال : «والله ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة . قال : فلَبِط سهل ، فأتي رسول الله ﷺ فقيل : يا رسول الله ، هل لك في سهل بن حنيف، والله ما يرفع رأسه؟ فقال : هل تتهمون له أحدًا ؟ قالوا : نتهم عامر بن ربيعة ، قال : فدعا رسول الله ﷺ عامرًا ، فتغيظ عليه، وقال : علام يقتل أحدكم أخاه؟ ألا بركت! اغتسل له ، فغسل عامر وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره في قدح ، ثم صب عليه ، فراح سهل مع الناس ليس به بأس»[٣] . والله أعلم .

---

(١) تقدم تخريجه بالفتوى رقم (٦٦) .

(٢) صحيح البخاري ، رقم (٦٠٦٤) ؛ وصحيح مسلم ، رقم (٢٥٥٩) .

(٣) الموطأ ، رقم (١٩٧٣) .

الرقية

حكم وضع اليد على المسترقي

٦٨ - سائل يقول :

إذا أراد الإنسان أن يرقي أو أن ينفث الرقية على آخر فهل يضع يده عليه أثناء القراءة أم يجلس بجانبه فقط ؟

الجواب :

ثبت في الحديث أن النبي ﷺ كان يرقي بعض أصحابه فيمسح عليه بيمينه ، فقد جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت : «كان النبي ﷺ يعوذ بعضهم يمسحه بيمينه : أذهب الباس ، رب الناس ، واشف أنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقمًا » رواه البخاري ومسلم [1] ، فإن رقى من دون وضع يده فهو جائز أيضًا؛ لما في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري أن رجلًا من أصحاب النبي ﷺ رقى لديغًا بفاتحة الكتاب ، فجعل يتفل عليه ، ويقرأ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾فكأنما نشط من عقال..الحديث»[2] وفي السنن عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « من

(١) صحيح البخاري ، رقم (٥٤١٨) ؛ وصحيح مسلم ، رقم (٢١٩١) .

(٢) صحيح البخاري ، رقم (٢٢٧٦) ؛ صحيح مسلم ، رقم (٢٢٠١) .

عاد مريضًا لم يحضر أجله ، فقال عنده سبع مرات : أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك إلا عافاه الله تعالى »[١] . والله أعلم .

حكم الرقية بالملح والفحم والبخور

٦٩ – سائلة تقول :

وضحوا لنا كيفية الرقية ، فنحن نستعمل قليلًا من الملح والفحم وقليلًا من البخور، ثم نبدأ بتدويره على الشخص المريض، فهل هذه هي الرقية الشرعية ؟

الجواب :

الرقية الشرعية هي الرقية بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة ، أما ما حكته السائلة من كونهم يستعملون شيئًا من الملح والفحم والبخور ، فهذا لا يجوز ، بل هذا ما يستخدمه الدجالون . فالرقية الشرعية تكون بقراءة الفاتحة ، وآية الكرسي ، وسورة الإخلاص ، والمعوذتين ، وغيرها من الآيات والأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ . والله أعلم .

---

(١) سنن أبي داود ، رقم (٣١٠٦) ، والترمذي ، رقم (٢٠٨٣) وحسنه ، والنسائي في الكبرى ، رقم (١٠٨١٦) .

أخذ الأجر على الرقية

٧٠ - سائل يقول :

ما حكم من يأخذ أجرًا على العلاج بالقرآن ؟

الجواب :

يجوز أخذ أجر على الرقية الشرعية ؛ لما في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : « انطلق نفر من أصحاب النبي ﷺ في سفرة سافروها ، حتى نزلوا على حي من أحياء العرب ؛ فاستضافوهم فأبوا أنْ يُضَيِّفُوهم . فَلُدِغَ سيّد ذلك الحي ، فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء . فقال بعضهم : لو أتيتم هؤلاء الرَّهْط الذين نزلوا لعلهم أن يكون عند بعضهم شيء فأتوهم فقالوا : يأيها الرَّهْط ؛ إن سيدنا لدغ وسعينا له بكل شيء لا ينفعه شيء ؛ فهل عند أحدٍ منكم من شيء ؟ فقال بعضهم : نعم والله إني لأرقي ، ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا ، فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جُعْلا . فصالحوهم على قطيع من الغنم . فانطلق يتفل عليه ، ويقرأ الحمد لله رب العالمين . فكأنما نشط من عقال . فانطلق يمشي وما به قَلَبَةٌ . قال : فأوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه ، فقال بعضهم : اقتسموا . فقال الذي رقى : لا تفعلوا حتى نأتي رسول الله ﷺ ، فنذكر له الذي كان ، فننظر ما يأمرنا ، فقدموا على رسول الله ﷺ ، فذكروا له ذلك فقال : وما يدريك أنها رقية . ثم قال : قد أصبتم ؛ اقتسِموا واضربوا لي معكم سهمًا » رواه

البخاري[1] .

وفي هذا الحديث دليل على جواز أخذ الأجر على الرقية ، ولكن مما يؤسف له أن بعض الناس ممن يدعون استعمال الرقية توسعوا في هذا الباب وابتدعوا أمورًا لم تدل عليها السنة ، واشتغل بهذا الأمر أناس أرادوا منه التكسب والتجارة ، وربما انتهك بعضهم المحارم أو وقع في خلوة محرمة أو رأى عورة أو غير ذلك من الأمور المحرمة ، ومثل هؤلاء ينبغي الحذر منهم والإنكار عليهم وإعلام ولي الأمر عنهم .

كما أن منهم أقوامًا على خير واستقامة ونفع للناس ، نفع الله بهم أقوامًا ، ولكن ينبغي للمسلم إذا احتاج للرقية أن يرقي نفسه بالمعوذتين وسورة الإخلاص وآية الكرسي والأحاديث الواردة في هذا ، ويعلم أن الله هو الحافظ الشافي ، وإذا احتاج الاستعانة بأحد من إخوانه الرقاة فليتحقق من عدالته واستقامته ويذهب وهو متيقن أن الله وحده جل جلاله هو الشافي والمعافي سبحانه ، وبالله التوفيق .

الحرز للأطفال

٧١ - سائل يقول :

بعض الناس إذا فعل الطفل ما ينبئ عن ذكائه ، قالوا حرزًا ،

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (٢١٥٦) .

يقصدون أن يحفظ من العين ، فهل يجوز ذلك ؟

الجواب :

إذا كانوا يقصدون بهذا الدعاء له بأن الله يحميه من أعين الناس ، ومن الحسد ، فلا بأس بذلك ، والدعاء مطلوب للأطفال وغير الأطفال . والحرز معناه أن الله يجعل عليه شيئًا يحميه عن أعين الحاسدين . أما إذا كان قولهم ذلك يقصد به الاستعانة بغير الله تعالى فلا شك أنه محرم . والله أعلم .

شرب الماء الممحو به القرآن

٧٢ - سائل يقول :

ما حكم شرب الماء الذي يمحى به القرآن الذي يكتب على اللوح ؟

الجواب :

إذا كتب شيء من القرآن أو الذكر في إناء أو لوح ومحي بالماء وغيره وشرب ذلك ، فلا بأس به . نص عليه الإمام أحمد وغيره ، ونقلوا عن ابن عباس ﷺ أنه كان يكتب كلمات من القرآن والذكر، ويأمر بأن يسقى لمن به داء . والله أعلم .

تعليق التمائم

٧٣ - سائل يقول :

هل تعليق التميمة حرام ؟ وبماذا نرد على من يقول بأنه جائز؟

الجواب :

التميمة : هي الأشياء التي تعلق على بعض الأطفال أو على بعض الناس إما لمرض ، وإما بقصد دفع العين ، أو أمر من الأمور الأخرى .

وما يكتب فيها : إما أن يكون شركًا أو يكون أسماءً لبعض الكهان أو أسماء شياطين أو فيها حروف مقطعة لا تقرأ ، فهذا محرم ولا يجوز باتفاق العلماء .

وإما أن يكتب فيها بعض آيات من القرآن أو شيء من السنة ، فهذا أجازه بعض العلماء بشرط المحافظة عليه ، فلا تستعمله المرأة أثناء حيضها أو نفاسها ، ولا يُدخل به الحمام .

وبعض العلماء لم يجيزوا ذلك ، لأنه وسيلة من وسائل الشرك؛ لأن الإنسان يتعلق قلبه بهذه التميمة ، بأنها هي التي تدفع عنه الضر أو تجلب له المصلحة. والذي نراه أن تركه هو الأولى. والله أعلم .

تعليق التمائم

٧٤ - سائل يقول :

ما الحكم في كتابة التمائم بطريقة غير شرعية حيث إن إمام مسجدنا يكتب وراء الورقة التي عليها الذكر والدعاء جدولًا يستخدمه من أجل تحقيق الهدف المرجو منه ، وما حكم الصلاة وراء هذا الإمام ؟

الجواب :

تعليق الحجب والتمائم تنقسم إلى قسمين :

أحدهما : أن يكون المعلق من القرآن الكريم .

الثاني : أن يكون من غير القرآن الكريم مما لا يعرف معناه .

فأما الأول : وهو تعليق آيات القرآن الكريم فقد اختلف في ذلك أهل العلم ، فمنهم من أجاز ذلك ، ورأى أنه داخل في قوله تعالى ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢] . ومنهم من منع ذلك ، وقال: إن تعليقها لم يثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه سبب شرعي يدفع به السوء، والأصل في هذه الأشياء التوقف، وهذا القول هو الراجح، من أنه لا يجوز تعليق التمائم ولو من القرآن ، ولا يجوز أيضًا أن تجعل تحت الوسادة للمريض ، أو تعلق في الجدار وما أشبه ذلك ، وإنما يدعى للمريض ، ويقرأ عليه مباشرة ، كما كان النبي ﷺ يفعل.

وأما إذا كان المعلق من غير القرآن الكريم مما لا يفهم معناه كالحالة التي يسأل عنها السائل-وهو القسم الثاني - فإنه لا يجوز بكل حال ؛ لأنه لا يدري ما معنى هذا الذي كتبه ، فإن بعض الناس يكتبون طلاسم وأشياء محرمة ، وربما كانت من أعمال السحرة ونحوهم ، فلا تجوز بأي حال ، ويجب نصح هذا الإمام كي يدعها ، ويجب أن يبين له ذلك.

ومن يكتب هذه التمائم لا تجوز الصلاة خلفه ، والله أعلم .

البدع والتحذير منها

السنة والبدعة

٧٥ - سائل يقول:

ورد في الحديث أن من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، فمتى يكون العمل سنة ومتى يكون بدعة؟

الجواب:

يكون العمل سنة إذا كان على هدي النبي ﷺ، والسنة هي ما فعله النبي ﷺ ، أو قاله ، أو أقر عليه، فإذا اتصف العمل بأحد هذه الأمور كان على هديه ﷺ، وكان المتبع له متبعًا للسنة .

أما البدعة فإنها نقيض السنة، وهي: الإحداث في الدين ، فكل ما لم يشرعه الله تعالى في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ ولا فعله أحد من أصحابه رضي الله عنهم فإنه بدعة . وقد حذر النبي ﷺ من الإحداث في الدين ، وقال ﷺ : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » متفق عليه [1]، وقال ﷺ : « كل محدثة بدعة

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (٢٦٩٧) ؛ صحيح مسلم ، رقم (١٧١٨) .

وكل بدعة ضلالة » رواه أحمد وأبو داود[1] . والله أعلم .

البدعة

٧٦ - سائل يقول :

جاء عن رسول الله ﷺ : « من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة لا ينقص من أجره شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة » فهل يصح أن يستدل بهذا الحديث على جواز البدعة؟

الجواب :

هذا الحديث رواه جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: « جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله ﷺ عليهم الصوف ، فرأى سوء حالهم قد أصابتهم حاجة ، فحث الناس على الصدقة فأبطئوا عنه ، حتى رئي ذلك في وجهه ، قال : ثم إن رجلا من الأنصار جاء بصرة من ورق ، ثم جاء آخر، ثم تتابعوا حتى عرف السرور في وجهه ، فقال رسول الله ﷺ : من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ، ولا ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ، ولا ينقص من أوزارهم شيء » رواه

(١) مسند أحمد ، رقم (١٧١٤٤) ؛ وأبو داود ، رقم (٤٦٠٧) .

مسلم[١]. ففي هذا الحديث الحث على الابتداء بالخيرات ، التي جاء الإسلام بالأمر بها ، والحث عليها ، فيكون الفاعل لها والمذكر للناس بها ليفعلوها له أجر عمله ، وأجر من عمل بها ، ولا يدخل في هذا من اخترع للناس أمرًا لم يشرعه الإسلام ، أو أحدث في الدين ما ليس منه ، فإن عمله لا يشرع وهو مردود على صاحبه ؛ لقوله ﷺ : «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » رواه البخاري ومسلم[٢] . والله أعلم .

حكم الاحتفال بالمولد

٧٧ - سائل يقول :

ما حكم الاحتفال بمولد النبي ﷺ ؟ وهل يجوز للإنسان أن يحتفل بيوم ميلاده كل سنة ؟

الجواب :

يقول الله عز وجل : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ [الحشر:٧] ، وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات

(١) صحيح مسلم ، رقم (١٠١٧) .
(٢) تقدم تخريجه بالفتوى رقم (٧٥).

الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » رواه أحمد وأبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه[1] ، وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ: « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » متفق عليه[2] ، والاحتفال بالمولد لم يفعله النبي ﷺ ولا أصحابه الكرام رضوان الله عليهم ، ولا أحد من السلف الصالح ، لذا فهو بدعة محدثة ، ولو كان سنة وخيرًا لسبقنا إليه من هم أفضل منا من الصحابة والتابعين .

ولا يجوز أيضًا للإنسان أن يحتفل بيوم ميلاده كما لا يجوز إقامة عيد ميلاد لأحد؛ لأنه بدعة ؛ ولأنه تشبه بالكفار في عملهم ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « من تشبه بقوم فهو منهم» رواه أحمد وأبو داود[3] . والله أعلم .

الاحتفال بالمولد

٧٨ – سائل يقول :

ما حكم احتفال النساء والرجال بمولد النبي ﷺ ، حيث إنهم يغنون ويرقصون ويحصل فيه اختلاط الرجال بالنساء وغير ذلك ؟

---

(١) مسند أحمد ، رقم (١٧١٤٤) ، وأبو داود ، رقم (٤٦٠٧) ، والترمذي ، رقم (١٤٢) ، وابن ماجه ، رقم (٤٣) .

(٢) تقدم تخريجه بالفتوى رقم (٧٥) .

(٣) مسند أحمد ، رقم (٥١١٥) ، وأبو داود ، رقم (٤٠٣١) .

الجواب :

إقامة الاحتفال بمولد رسول الله ﷺ لا يجوز لكونه بدعة مخالفة لهديه ﷺ وهدي خلفائه الراشدين وصحابته رضي الله عنهم أجمعين ، وقد ثبت عن الرسول ﷺ أنه قال : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» متفق عليه[١] . وهذا لم يفعله الرسول ﷺ ، ولم يأمر به ، ولم يرد أن أحدًا فعله وسكت عنه ، ولا فعله خلفاؤه من بعده ، وهكذا سلف الأمة في القرون الثلاثة المفضلة لم يفعلوه .

فالاحتفال بالمولد بدعة ، ثم كما جاء في السؤال يوجد في هذا الاحتفال من المنكرات ما لا يقره شرع ولا عقل ، فيختلط النساء مع الرجال يغنون ويرقصون ، ومعلوم أن اختلاط النساء بالرجال من المنكرات والفتن التي قد تفضي إلى الفاحشة والعياذ بالله. نسأل الله تعالى أن يهدي ضال المسلمين ، ويردهم إلى طريق الحق . وبالله التوفيق .

---

(١) تقدم تخريجه بالفتوى رقم (٧٥) .

الفرق والملل

الفرقة الناجية

٧٩ - سائل يقول :

يخبر الرسول ﷺ أن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة ، فكيف أعرف الفرقة الناجية ؟

الجواب :

الفرقة الناجية هي التي تتبع ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه. وقد روي عنه ﷺ الجواب على ذلك ، فإن الصحابة قالوا : من هي يا رسول الله ؟ قال ﷺ : « ما أنا عليه وأصحابي »[1] . وهذا الحديث حث منه ﷺ لأمته على جمع الكلمة ، ونبذ الفرقة ، وقد وعظ النبي ﷺ أصحابه موعظة بليغة ، ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، قالوا : يا رسول الله ، كأنها موعظة مودع فأوصنا ، فقال ﷺ : « أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ، وإن تأمر عليكم عبد فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، تمسكوا بها ، وعضوا

---

(١) رواه أحمد ، رقم (٨٣٩٦) ، وأبو داود ، رقم (٤٥٩٧) ، والترمذي ، رقم (٢٦٤١) وحسنه ، وابن ماجه ، رقم (٣٩٩٢) .

عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » رواه أحمد والترمذي وابن ماجه[1] .

فالأصل الذي تعرف به الفرقة الناجية هو تمسكها بسنة نبيها ﷺ ، وعمل أصحابه رضوان الله عليهم ، ولا ينبغي الجزم لطائفة معينة أو لشخص معين أو مذهب أو نحلة أنها وحدها هي الفرقة الناجية ، وأن ما سواها على باطل ، أو أنه من أهل النار ، أو غير ذلك مما يقوله بعض الناس .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

« وأما تعيين هذه الفرق فقد صنف الناس فيهم مصنفات ، وذكروهم في كتب المقالات ؛ لكن الجزم بأن هذه الفرقة الموصوفة هي إحدى الثنتين والسبعين لا بد له من دليل ، فإن الله حرم القول بلا علم عموما ؛ وحرم القول عليه بلا علم خصوصا ؛ فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٣] ، وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٦٨- ١٦٩] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء:٣٦] . وأيضًا فكثير من الناس يخبر عن هذه الفرق بحكم الظن والهوى ، فيجعل طائفته

---

(١) تقدم تخريجه بالفتوى رقم (٧٧) .

والمنتسبة إلى متبوعه ، الموالية له ، هم أهل السنة والجماعة ؛ ويجعل من خالفها أهل البدع ، وهذا ضلال مبين . فإن أهل الحق والسنة لا يكون متبوعهم إلا رسول الله ﷺ ، الذي لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى ، فهو الذي يجب تصديقه في كل ما أخبر ؛ وطاعته في كل ما أمر ، وليست هذه المنزلة لغيره من الأئمة ، بل كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ . فمن جعل شخصًا من الأشخاص غير رسول الله ﷺ من أحبه ووافقه كان من أهل السنة والجماعة ، ومن خالفه كان من أهل البدعة والفرقة - كما يوجد ذلك في الطوائف من اتباع أئمة في الكلام في الدين وغير ذلك - كان من أهل البدع والضلال والتفرق » اهـ .

وليس معنى الحديث أن من سوى هذه الفرقة فهو مخلد في النار لا يخرج منها ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

« إذا قال المؤمن : ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، يقصد كل من سبقه من قرون الأمة بالإيمان ، وإن كان قد أخطأ في تأويل تأوله ، فخالف السنة ، أو أذنب ذنبًا فإنه من إخوانه الذين سبقوه بالإيمان ، فيدخل في العموم ، وإن كان من الثنتين والسبعين فرقة ، فإنه ما من فرقة إلا وفيها خلق كثير ليسوا كفارًا ، بل مؤمنين ، فيهم ضلال وذنب يستحقون به الوعيد ، كما يستحقه عصاة الموحدين ، والنبي ﷺ لم يخرجهم من الإسلام ، بل جعلهم من أمته ، ولم يقل إنهم يخلدون في النار ، فهذا أصل عظيم ينبغي

مراعاته ، فإن كثيرًا من المتسبين إلى السنة فيهم بدعة من جنس بدع الرافضة والخوارج ، ولكن أصحاب الرسول ﷺ ، وعلي بن أبي طالب وغيره لم يكفروا الخوارج الذين قاتلوهم » اهـ.

أسأل الله أن يوفقنا للعمل بكتابه ، واتباع سنة نبيه ﷺ ، وأصحابه رضوان الله عليهم .

كلمة في
التحذير من القاديانية

٨٠ - الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فقد رغب إلينا بعض الإخوة الدعاة المشاركين في مؤتمر ختم النبوة المنعقد في لندن في٢٤/ ٦/ ١٤٢٦هـالموافق ٣٠/ ٧/ ٢٠٠٥م أن نكتب لهم وسائر إخواننا الدعاة وعموم المسلمين كلمة في التحذير من فرقة القاديانية بمناسبة انعقاد هذا المؤتمر ، فنقول وبالله التوفيق :

إن فرقة القاديانية فرقة ضالة ، خارجة عن دين الإسلام ، أسسها المدعو (غلام أحمد مرزا) المولود في بلدة (قاديان) بالهند ، وظهرت في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، وانتشرت في عدد من دول العالم بدعم وحماية من الاستعمار البريطاني خاصة ،

والغربي عامة الذي يسعى إلى إضعاف المسلمين ، وبث الفرقة بينهم ، وصدهم عن حقيقة هذا الدين وما يدعو إليه .

وإن من أخطر مبادئ هذه الفرقة ومعتقداتها : أن زعيمها يدعي النبوة ، وأنه يوحى إليه، وينكر معجزات الأنبياء ، ويكذب بالقرآن العظيم ، ويوالي الكفار ، ويعادي أهل الإسلام ، ويزعم أن الجهاد منسوخ ، وغير ذلك من المعتقدات الفاسدة التي تخالف نصوص الوحيين .

وإن هذه المعتقدات والأقوال توجب القول بكفرهم وضلالهم وخروجهم عن دائرة الإسلام ؛ لأن في أقوالهم تكذيبًا بالكتاب والسنة وإجماع الأمة ، فإن الله عز وجل يقول : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠] ، والنبي ﷺ يقول : « إن مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال : فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين » متفق عليه[١] .

وكيف يسوغ لمن يدعي أنه من أهل الإسلام أن يكذِّب ما حكاه القرآن من معجزات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، أو كيف له أن يوالي أهل الكفر ، ويحبهم ، ويمنع الجهاد ضدهم ، ويقدمهم على أهل الإسلام ، والله عز وجل يقول : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم

(١) صحيح البخاري ، رقم (٣٥٣٥) ؛ وصحيح مسلم ، رقم (٢٢٨٦) .

مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡ ﴾[المائدة:٥١] .

ولقد نبه علماء المسلمين في عدد من دول العالم الإسلامي إلى خطر هذه الفرقة ، وخروجها عن دائرة المسلمين ، ووجوب مجاهدتها ، وقطع دابرها .

فقد أصدرت رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة قرارها بذلك عام ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م ، وكذا المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة عام ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م ، وهيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية ، وأصدرت المحكمة الشرعية الفيدرالية بجمهورية باكستان الإسلامية قرارها بذلك عام ١٩٨٤م ، وغير ذلك من القرارات والفتاوى .

وإن الواجب على الحكومات الإسلامية ، والدعاة ، وعموم المسلمين ، أن يحذروا من هذه الفرقة، ويظهروا حقيقتها للناس ، ويبينوا خروجها عن دائرة الإسلام ، وأن يسعوا إلى كل ما من شأنه استئصالها ، وكشف زيفها ، وإبطال أنشطتها ، وإظهار زيغها.

وإننا لنشكر لإخواننا القائمين على هذا المؤتمر جهودهم في التحذير من هذه الفرقة ، ونوصيهم وسائر إخواننا الدعاة بتقوى الله عز وجل ، والحرص على جمع الكلمة ضد أعداء هذا الدين.

وفي الختام أسأل الله جل وعلا أن يكلل جهودكم بالتوفيق والسداد ، وأن يجزيكم خير الجزاء على ما تبذلونه في نصرة هذا

الدين ، ورفع رايته ، إنه جواد كريم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

حكم الزواج بامرأة قاديانية

٨١ - سائل يقول :

ما تقولون في زيد الذي نكح بمريم وهي قاديانية تتعلق بالفرقة القاديانية المرزائية الملحدة ، وتعتقد بوجود النبوة بعد نبينا محمد ﷺ ، وزيد يعتقد بكفر القاديانية في اعتقادها بوجود النبوة بعد محمد ﷺ ؟

هل يجوز في الشريعة الغراء نكاحه بها أم لا ؟ وكذلك إجابة دعوته لوليمة هذا النكاح وأكل هذا الطعام والذين أجابوا الدعوة وحضروها ؟ وما حكم زيد المذكور في حضور جماعة المسلمين في الصلوات الخمس والجمعة وغيرها ؟ أفيدونا حفظكم الله .

بينوا لنا بالكتاب الحكيم والهدي المستقيم تؤجروا بالأجر العظيم والفضل العميم .

الجواب :

تزوج المسلم بامرأة قاديانية لا يصح ، والنكاح باطل ؛ لأن

هذه المرأة مرتدة عن الإسلام ، إن كانت تدين بدين الإسلام ، وإن كانت من حيث نشأت وهي قاديانية -أي أن أبويها قاديانيان- فهي كافرة ، فعلى كلا الحالتين لا يجوز للمسلم نكاحها ؛ لأنها مشركة ، والله سبحانه يقول:﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ﴾ [البقرة:٢٢١] ، وهم يعتقدون أن زعيمهم نبي يوحى إليه ، وفي هذا تكذيب للقرآن العظيم ، فالله عز وجل يقول : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠] ، والنبي ﷺ يقول :« لا نبي بعدي» رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه[١] ، فمن أنكر أن محمدًا خاتم النبيين فهو كافر مكذب لله ورسوله ، وقد قال أبو هريرة أيضًا عن رسول الله ﷺ : «لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله» رواه البخاري ومسلم[٢] .

قال الإمام ابن كثير رحمه الله على هذه الآية الكريمة ، وهي قوله تعالى : ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ قال : « هذه كقوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام:١٢٤] ، فهذه نص في أنه لا نبي بعده ، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بطريق الأولى والأحرى؛ لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة ولا ينعكس ، وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ من

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (٣٤٥٥) ؛ صحيح مسلم ، رقم (١٨٤٢) .
(٢) صحيح البخاري ، رقم (٣٦٠٩) ؛ صحيح مسلم ، رقم (١٥٧) .

حديث جماعة من الصحابة رضي الله عنهم ... .

ثم ساق رحمه الله بسند الإمام أحمد حديث أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « مثلي في النبيين كمثل رجل بنى دارًا فأحسنها وأكملها ، وترك فيها موضع لبنة لم يضعها ، فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه ، ويقولون : لو تم موضع هذه اللبنة ! فأنا في النبيين موضع تلك » ، وقد أخرج الترمذي هذا الحديث ، وقال حسن صحيح(١) .

ثم ساق ابن كثير رحمه الله الأحاديث في هذا الموضوع ، ثم قال رحمه الله : والأحاديث في هذا كثيرة ، فمن رحمة الله تعالى بعباده إرسال محمد ﷺ إليهم ، ثم من تشريفه لهم ختم الأنبياء والمرسلين به ، وإكمال الدين الحنيف له ، وقد أخبر تعالى في كتابه ، ورسوله ﷺ في السنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده ؛ ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك دجال ضال مضل ، ولو تخرق وشعبذ وأتى بأنواع السحر والطلاسم والنيرنجات ، فكلها محال وضلال عند أولي الألباب ، كما أجرى الله سبحانه وتعالى على يد الأسود العنسي باليمن ومسيلمة الكذاب باليمامة من الأحوال الفاسدة والأقوال الباردة ، فعلم كل ذي لب وفهم وحجى أنهما كاذبان ضالان مضلان لعنهما الله ، وكذلك كل مدع لذلك إلى يوم القيامة حتى يختموا بالمسيح الدجال فكل واحد من هؤلاء

---

(١) مسند أحمد ، رقم (٢١٢٤٣) ، والترمذي ، رقم (٣٦١٣) .

الكذابين يخلق الله تعالى معه من الأمور ما يشهد العلماء والمؤمنون بكذب من جاء بها، وهذا من تمام لطف الله تعالى بخلقه ، فإنهم بضرورة الواقع لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر إلا على سبيل الاتفاق أو لما لهم فيه من المقاصد إلى غيره ، ويكون في غاية الإفك والفجور في أقوالهم وأفعالهم ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ [الشعراء : ٢٢١-٢٢٢] ، وهذا بخلاف حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فإنهم في غاية البر والصدق والرشد والاستقامة والعدل فيما يقولونه ويفعلونه ويأمرون به ، وينهون عنه مع ما يؤيدون به من الخوارق للعادات والأدلة الواضحات والبراهين الباهرات ، فصلوات الله وسلامه عليه دائمًا مستمرًا ما دامت الأرض والسموات » . انتهى كلام ابن كثير رحمه الله .

فهذا كلام العلماء رحمهم الله في مسألة ختم النبوة وهذه الفرقة القاديانية . وقد كتبنا في هذه الفرقة رسالة مستقلة ، أسميناها (الإيضاحات الجلية في الكشف عن حال القاديانية) .

وهم يرون أن المسلمين ليسوا على دين ، وأنهم قد قطعوا العلائق بينهم ، وسووهم باليهود والنصارى في المعاملة ، فهم بهذا قد اعترفوا على أنفسهم بأنهم فارقوا جماعة المسلمين ، وصارت الجماعة الإسلامية المتمسكة بهديه ﷺ والمتمسكة بأنه خاتم النبيين وإمام المرسلين والمصدقة لقوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ

ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب:٤٠] ، وبقوله ﷺ : « لا نبي بعدي »[١] صارت جماعة المسلمين بهذا الاعتقاد كاليهود والنصارى عند القاديانيين ، فلا حول ولا قوة إلا بالله . فكيف يسوغ لمسلم أن يتزوج من هذه الطائفة التي تكفره ، وتعتقد فيه أنه كالنصارى .

وأما ما ذكرتم من إجابة دعوته لوليمة هذا النكاح ، وهل يجوز أو لا يجوز؟ فالجواب أنه لا يجوز إجابة دعوته لأن هذا منكر عظيم ، ولا يجوز حضوره ؛ لأن هذا النكاح باطل ، وإذا كان النكاح باطلًا فإنه يكون كالسفاح ، وأما الذين أجابوا الدعوة فإنهم قد أخطأوا بذلك، فمن كان منهم عالمًا بالحكم فإنه يأثم ، ويجب عليه أن يستغفر الله ويتوب ويعزم أن لا يعود لمثل هذا . وأما من لا يعلم فهو إن شاء الله معذور ما دام جاهلًا بالحكم . وأما حكم زيد في حضور جماعة المسلمين وفي حضور الصلوات الخمس والجمعة والعيدين، فهذا واجب عليه أن يحضر الصلوات الخمس والجمعة لأنه مسلم، وهذا يجب على كل مسلم ، ولا يخرجه عن الإسلام تزوجه بهذه القاديانية ، ولكن يعتبر نكاحه بها كبيرة من الكبائر كسائر أنواع الكبائر ، فلا يحل البقاء معها ، بل يجب عليه مفارقتها لكن بقاءه معها يجعله كالزاني المقيم على الفجور ، إن كان عالمًا بالحكم ، أو أخبر به ، وأصر على ذلك ، ولا يخرجه عن دائرة الإسلام ، ولكن يجب على من علم بحاله من المسلمين أن يرفع

---

(١) تقدم تخريجه بالفتوى رقم (٨١).

الأمر للوالي إن كان مسلمًا ؛ ليفرق بينهما ، فإن هذا النكاح لا يقره عليه الإسلام . والله أعلم .

دعوى إن الديانات كلها صحيحة

٨٢ - سائل يقول :

ظهرت في العصر الحديث فرقة انتشرت في أوربا وأمريكا ، انضم إليها عدد من المثقفين والمفكرين والمؤلفين المنتسبين إلى الإسلام، وتتلخص عقيدة هذه الفرقة بأن الديانات الكبرى كاليهودية والنصرانية والهندوكية والبوذية وغيرها أديان صحيحة ومقبولة عند الله سبحانه وتعالى. وأن المخلصين من أتباعها يصلون إلى الحق ، وينجون من النار ، ويدخلون الجنة دون حاجة في كل هذا إلى الدخول في الإسلام .

فماذا تقول فيهم ، وفي قولهم ، وهل يجوز طبع كتبهم ونشر آرائهم وإظهار الولاء لهم ؟

الجواب :

الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله للناس ، فأكمل به الدين، وأتم به النعمة ، واختتم به الأديان كافة ، ولن يقبل الله من البشر إلا الإسلام . قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[آل عمران: ١٩] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى

ﵟٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَﵞ [آل عمران:٨٥] ، وقد أخبر الله عز وجل في كتابه قول اليهود : ليست النصارى على شيء ، وقول النصاري : ليست اليهود على شيء ، يقول سبحانه : ﵟوَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖﵞ [البقرة:١١٣] ، ودين الإسلام الذي بعث به محمد ﷺ يأمر أهله بالإيمان بجميع الرسل ، بل جعل ذلك من أركان الإيمان ، قال تعالى : ﵟقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ﵞ [البقرة:١٣٦] ، وفي الحديث المشهور الذي فيه جاء جبريل عليه السلام يعلم المسلمين أمر دينهم ، سأل الرسول ﷺ : وما الإيمان ؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره»[١] .

ولكن الإسلام نسخ كل الشرائع والديانات السابقة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ، يهودي أو نصراني ، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار» رواه مسلم[٢] . بل إن الأنبياء السابقين لو كانوا أحياء ما وسعهم إلا اتباع محمد ﷺ والإيمان به وبرسالته .

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (٥٠) ؛ وصحيح مسلم ، رقم (٨) .

(٢) صحيح مسلم ، رقم (١٥٣) .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب ، فقرأه النبي ﷺ فغضب فقال: « أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب ، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء ، فيخبروكم بحق فتكذبوا به ، أو بباطل فتصدقوا به ، والذي نفسي بيده لو أن موسى ﷺ كان حيًا ما وسعه إلا أن يتبعني » رواه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان[1] ، والله عز وجل يقول : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران :٨١] .

وبناء على كل ما تقدم فإن هذه الفرقة التي تنتحل هذه الأفكار ضالة مضلة ، فلا يجوز طبع كتبهم ، أو نشر آرائهم ، بل يجب إظهار البراءة منهم ، ومن أفكارهم ، وتحذير المسلمين من الوقوع في حبائلهم . والحمد لله رب العالمين .

جماعة يسمون أنفسهم بـ «جماعة المسلمين»

٨٣ - سائل يقول :

توجد جماعة يسمون أنفسهم جماعة المسلمين ، ويعتقدون أن

(١) مسند أحمد ، رقم (١٥١٦) ، والبيهقي في شعب الإيمان ، رقم (١٧٤) .

تقليد الأئمة شرك ، ويقولون : من وضع يده على السرة ، وأخفى آمين ، ولم يقرأ فاتحة الكتاب خلف الإمام ، ومن لم يرفع يده بعد الركوع ، فصلاته فاسدة ، ويقولون عن بعض الطوائف إنها على الباطل .

الجواب :

هناك فرق بين الاتباع والتقليد .

فالتقليد معناه : الرجوع إلى قول من لا تعلم حجته في هذا القول ، وذلك ممنوع منه في الشريعة .

والاتباع : هو الرجوع لمن ثبتت الأدلة لديه وعرفها التابع .

وقد ذم الله عز وجل في غير موضع من كتابه الكريم التقليد الباطل. قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[التوبة :٣١] ، وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف:٢٣] .

وهناك تقليد عام ، وهو أن يلتزم مذهبًا معينًا يأخذ برخصه وعزائمه في جميع أمور دينه ، وقد اختلف العلماء فيه ، فمنهم من حكى وجوبه ؛ لتعذر الاجتهاد في المتأخرين . ومنهم من حكى تحريمه ؛ لما فيه من الالتزام المطلق لاتباع غير النبي ﷺ ، وهو الصواب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « إن في القول بلزوم طاعة غير النبي ﷺ في كل أمره ونهيه ، وهو خلاف الإجماع ، وجوازه فيه ما فيه» . وقال : «من التزم مذهبًا معينًا ، ثم فعل خلافه من غير تقليد لعالم آخر أفتاه ، ولا استدلال بدليل يقتضي خلاف ذلك ، ولا عذر شرعي يقتضي حل ما فعله فهو متبع لهواه ، فاعل للمحرم بغير عذر شرعي ، وهذا منكر ، وأما إذا تبين له ما يوجب رجحان قول على قول إما بالأدلة المفصلة ، إن كان يعرفها ويفهمها ، وإما بأن يرى أحد الرجلين أعلم بتلك المسألة من الآخر، وهو أتقى لله فيما يقوله ، فيرجع عن قول إلى قول لمثل هذا ، فهذا يجوز ، بل يجب ، وقد نص الإمام أحمد على ذلك»اهـ .

وعلى هذا فإن المقلد إذا كان عاميًا لا يستطيع الحكم بنفسه ، فيلزمه التقليد لعالم يثق به ؛ لقوله تعالى : ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٤٣] ، ولا يجوز أن يقال عن هذا إنه شرك .

وأما وضع اليد على السرة ، وإخفاء آمين ، وعدم قراءة الفاتحة خلف الإمام ، وعدم رفع اليد بعد الركوع ، فكل هذه الأمور مما يسع فيها الخلاف . فهذه الأمور مختلف فيها بين العلماء ، وجمهور العلماء لا يوجبون قراءة الفاتحة خلف الإمام ، لا سيما إذا سمع قراءة الإمام في الجهرية .

وأما رفع اليد بعد الركوع : فقد ثبتت به السنة ، ومن لم يفعله فهو تارك للسنة وصلاته صحيحة . وكذا وضع اليدين تحت السرة

أو فوق الصدر في حالة القيام ، كلها من السنن .

وأما القول بأن هذه الجماعة أو تلك على الباطل ، فهذا تقوُّلٌ بدون بينة ، ودعوى ليست على منهاج النبوة ، وينبغي على المسلم أن يحتاط ، ويتثبت في إطلاق مثل هذه الأوصاف ، حتى تقوم عنده الحجة الظاهرة ، وقد قال الله عز وجل : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ فينبغي على الجماعات الإسلامية التناصح فيما بينها بالمعروف ، فالعصمة للأنبياء فيما يبلغونه عن الله، والكمال لله وحده ، والمعصوم من عصم الله . وبالله التوفيق .

الشيعة والخوارج

٨٤ - **سائل يقول :**

هل اتباع المذهب الشيعي الاثنى عشري يأثم صاحبه ؟ وهل بين الشيعة والسنة تقارب ؟ وهل الخوارج يعتبرون كفارًا أو مسلمين ؟

الجواب :

بين العلماء رحمهم الله أن المذهب الشيعي الاثنى عشري قائم على الأمور التالية :

أولًا : الاعتقاد بأن الإمامة منصب إلهي كالنبوة ، وأن عليًا رضي الله عنه أحق بالخلافة من أبي بكر ، وقد أوصى له بها رسول

الله ﷺ ، وانتقلت من بعده لبنيه ، ويعتقدون أن الأئمة معصومون ، وأن الإمام الثاني عشر له رجعة ، وجعلوا التقية مبدأ أساسيًا في حياتهم الخاصة والعامة ، وهي عندهم كتمان الحق ، وإسرار الاعتقاد ، ومكاتمة المخالفين ، فهم يظهرون خلاف ما يبطنون ، ومن عقائدهم ظهور المهدي المنتظر وهو عندهم محمد بن الحسن العسكري آخر أئمتهم .

ثانيًا : الاعتقاد بأن القرآن فيه نقص : فقد اتهم الشيعة الصحابة رضوان الله عليهم بأنهم أسقطوا من القرآن آيات تشير إلى إمامة علي رضي الله عنه ، وزعموا أنهم أسقطوا سورة الولاية التي فيها فضائل آل البيت ، وغير ذلك من المزاعم التي تمتلئ بها كتبهم .

ثالثًا : استعمل الشيعة منهجهم الخاطئ في تفسير القرآن الكريم للطعن في الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، ومن ذلك أنهم فسروا ﴿ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ ﴾ [المسد:١] بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

وفسروا قوله تعالى : ﴿ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ ﴾ [التوبة:١٢] ، فسروا أئمة الكفر بطلحة والزبير ، واتهموا الصحابة الكرام بالتآمر على إبعاد علي رضي الله عنه عن الخلافة ، ويتكلمون في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بكلام عظيم وبهتان كبير ، وما يزال طوائف من الشيعة في عصرنا الحاضر يرددون هذه الأباطيل والتهم .

يقول الخميني : أولئك الصحابة لم يكن يهمهم إلا الدنيا ،

والحصول على الحكم دون الإسلام والقرآن ، والذين اتخذوا القرآن مجرد ذريعة لتحقيق نواياهم الفاسدة ، وقد سهل عليهم إخراج تلك الآيات من كتاب الله ، وكذلك تحريف الكتاب السماوي ، وإقصاء القرآن عن أنظار أهل الدنيا على وجه دائم ، إن تهمة التحريف التي يوجهونها إلى اليهود والنصارى ثابتة عليهم . انظر : «كشف الأسرار للخميني ص ١٣٠-١٣١».

وألفت نظر السائل الكريم إلى أن الشيعة المعاصرين بدؤوا ينشرون مذهبهم في الأصقاع التي لا علم لها بعقائدهم الشيعية ، مستعملين شتى وسائل الترغيب مستخدمين التقية أسلوبًا للتنصل من كل التهم الموجهة إليهم .

لكن مما ينبغي أن يعلم أن الشيعة ليسوا فرقة واحدة ، بل هم طوائف متعددة ، ولعل أقربهم للخير هو المذهب الزيدي نسبة إلى زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، فالمحققون من العلماء يرون بأن الزيدية أقربهم إلى أهل السنة والجماعة .

أما عن كفر الخوارج ، فإن المأثور عن السلف تسميتهم بأهل البدع والضلال وأهل الأهواء وغير ذلك من التسميات ولم يكفروهم .

قال ابن قدامة في المغني في الكلام على الخوارج : « فظاهر قول الفقهاء من أصحابنا المتأخرين ، أنهم بغاة ، حكمهم حكمهم.

وهذا قول أبي حنيفة ، والشافعي ، وجمهور الفقهاء ، وكثير من أهل الحديث . ومالك يرى استتابتهم ، فإن تابوا ، وإلا قتلوا على إفسادهم ، لا على كفرهم . وذهبت طائفة من أهل الحديث إلى أنهم كفار مرتدون ... وأكثر الفقهاء على أنهم بغاة ، ولا يرون تكفيرهم . قال ابن المنذر : لا أعلم أحدًا وافق أهل الحديث على تكفيرهم وجعلهم كالمرتدين» اهـ .

وقد ذكر ابن عبد البر : « عن علي رضي الله عنه أنه سئل عن أهل النهر ، أكفار هم ؟ قال : من الكفر فروا . قيل : فمنافقون ؟ قال : إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا . قيل : فما هم ؟ قال : هم قوم أصابتهم فتنة ، فعموا فيها وصموا ، وبغوا علينا ، وقاتلونا فقاتلناهم » اهـ.

وقد كان السلف الصالح يكفرون الشخص منهم إذا أظهر ما يوجب الكفر ، ويحكمون عليه بالردة ، وذلك بعد إقامة الحجة عليه وإزالة الشبهة عنه . والله أعلم .

أسباب العقائد الفاسدة

٨٥ - **سائل يقول :**

كثر في زماننا الطواف بالقبور والتقرب إلى الأولياء والصالحين بدعائهم وسؤالهم حاجاتهم ، والتوسل بهم ، فما أسباب ذلك ؟ وما

واجب العلماء والمصلحين في تصحيح هذه العقائد ؟

الجواب :

أسباب ذلك كثيرة لعل من أهمها انتشار الجهل ، ونسيان العلم ، وعدم نشاط أهل العلم في الدعوة إلى التوحيد الخالص ، وتقليد الناس لمن سبقوهم .

وهذا التقرب إلى الأولياء والصالحين بزيارة قبورهم والطواف بها ، وغير ذلك قد بدأ من عهد نوح عليه السلام ، فقد كان هناك رجال صالحون من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم : أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا، وسموها بأسمائهم ، ففعلوا فلم تعبد ، حتى إذا هلك أولئك ، ونسخ العلم، عبدت من دون الله ، وكانت أسماؤهم : (ودا ويغوث ويعوق وسواع ونسـرا) إلى أن جاء رسول الله ﷺ بالبعثة ودعا إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة الأوثان، ثم أزيلت هذه الأوثان ، ودخل الناس في دين الله أفواجًا . والحاصل أن الشرك حادثة قديمة ومستمرة في الناس من عهد نوح عليه السلام ، وكلما نسي العلم وضعف أهله أصبح بعض الناس يتقربون إلى الأولياء والصالحين بزيارتهم والطواف حول قبورهم ، يدعونهم من دون الله ، ويسألونهم حاجاتهم ، ويتوسلون بهم ، والعياذ بالله .

أما واجب العلماء فهو الدعوة إلى توحيد الله تعالى باللين

واللطف حتى يستجيب لهم الناس ويقبلون منهم ، كما كان يفعل رسول الله ﷺ ، ولقد قال الله سبحانه : ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩] ، فخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وينبغي أن يبينوا لهم أن هذا شرك ، ولا يجوز للمسلم أن يشرك بالله أحدًا لا نبي مرسل ولا ملك ولا ولي ولا غيرهم . ونحن نعلم أن هذه العقائد منتشرة في كثير من الدول الإسلامية ، وقد وجد في المملكة قبل مجيء الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله أناس يشركون بالله عز وجل يعبدون الأوثان في نجد وفي غير نجد ، فقد كان عند الرياض قبر لزيد بن الخطاب أخ لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، حيث قتل في اليمامة ، وكان الناس يطوفون بقبره ، ويدعونه من دون الله ، ويقولون : يا زيد ، يا زيد ، ويقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب لهم : الله خير من زيد ، اسألوا الله ، وكان يدعوهم إلى توحيد الله عز وجل ، ونبذ الشرك بالله ، وكانت دعوته لهم بالحسنى واللين ، فاستجاب لدعوته كثير منهم ، ولما صار لهم قوة وشوكة بمناصرة الإمام محمد بن سعود لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب هدموا القبر ولله الحمد ، وزالت آثار الشرك في سائر البلاد ، وها نحن ولله الحمد نعيش في نعمة التوحيد ، وهكذا يجب على علماء المسلمين في كل بلد أن يدعو الناس إلى توحيد الله الخالص ، ونبذ الشرك به سبحانه . وبالله التوفيق .

الأحكام

حكم إنكار الرسل

٨٦ - سائل يقول :

والذي لا يؤمن بالرسل السابقين لنبينا محمد ﷺ ، فما يجب علينا تجاهه ؟

الجواب :

الواجب عليكم أن تنصحوه وتنبهوه بأنه على خطر عظيم في دينه ، وتوعزوا لبعض أهل العلم لتعليمه وإرشاده إلى الصواب ، وتوضيح الحقيقة له ، فالإيمان بالرسل جميعهم ركن من أركان الإيمان يقول الله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة:٢٨٥] ، وفي حديث جبريل عليه السلام لما جاء إلى النبي ﷺ ، فقال : « أخبرني عن الإيمان ، فقال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره » رواه البخاري

ومسلم[١] .

وقد أجمع العلماء أنه لا يتم الإيمان إلا بالإيمان بجميع الرسل دون تفريق ، فالذي لا يؤمن بالرسل السابقين لمحمد ﷺ ليس مؤمنًا ، بل هو مكذب لما جاء في القرآن والسنة ، وقد قال الله عز وجل عن قوم نوح : ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٠٥] مع أن تكذيبهم كان لنوح فقط ، لكن المكذب برسول واحد كالمكذب بجميع الرسل . والله الهادي والموفق .

حكم ساب الرسول ﷺ

٨٧ - **سائل يقول :**

ما حكم ساب الرسول ﷺ ؟

الجواب :

سب النبي ﷺ أو دينه كفر يخرج من الملة ، ويكون الساب مرتدًا بذلك ، والمرتد جزاؤه القتل بالإجماع ، فإن كان غير مسلم فقد نقض العهد بسبه للرسول ﷺ ، ووجب قتله .

وقد صنف بعض الأئمة كتبًا في هذا ، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، فإنه صنف كتابه المشهور (الصارم المسلول في حكم شاتم الرسول) ، وقد حكى ابن المنذر والقاضي عياض

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (٥٠) ، وصحيح مسلم ، رقم (٩) .

وغيرهما الإجماع على أن حد من سب النبي ﷺ القتل ، وحكى بعضهم الإجماع على كفره ، وقتله لردته .

وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ [التوبة : ٦٥-٦٦] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

« إن الساب إن كان مسلمًا فإنه يكفر ويقتل بغير خلاف ... ، وإن كان ذميًا فإنه يقتل أيضًا في مذهب مالك وأهل المدينة وهو مذهب أحمد وفقهاء الحديث »

فعلى ولي أمر المسلمين أن يقوم بقتله ، وليس هذا لآحاد الناس ، وإنما هو لولي الأمر . وبالله التوفيق .

سب الإسلام

٨٨ - **سائل يقول :**

ما الواجب على المسلم فعله إذا تلفظ عند الغضب بكلام فيه سب للإسلام ؟

الجواب :

الواجب على المسلم عند الغضب أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ، وأن يحفظ لسانه عن الكلام المحرم ، وسب الإسلام أمر خطير ومحرم، وقد يفضي بصاحبه عياذًا بالله إلى الخروج من الدين كما قال سبحانه : ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦]، والواجب على من وقع منه ذلك المبادرة والمسارعة إلى الاستغفار والتوبة إلى الله عز وجل ، والله الهادي سبحانه .

الاستهزاء بالمتدينين

٨٩ - سائل يقول :

ما حكم الاستهزاء بالمتدينين ؟

الجواب :

الذي يستهزئ بالمتدينين من المسلمين يخشى عليه من النفاق المُخرج من الملة. فإن المنافقين في غزوة تبوك لما قالوا : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء، أرغبَ بطونًا، ولا أكذبَ ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء! فقال رجل في المجلس: كذبتَ، ولكنك منافق ! لأخبرن رسول الله ﷺ ، فبلغ ذلك النبي ﷺ ونزل القرآن. قال عبد الله بن

عمر: « فأنا رأيته متعلقًا بحَقَب ناقة رسول الله ﷺ تَنْكُبه الحجارة، وهو يقول: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب ، ورسول الله ﷺ يقول: ﴿ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾[التوبة:٦٥-٦٦]» رواه ابن جرير الطبري وابن أبي حاتم بإسناد صحيح[١] .

فلا شك أن الاستهزاء بالمتدينين أمره خطير ، والذي يفعله على خطر في دينه . وأنا أحذر إخواني المسلمين من مغبة ذلك. أسأل الله تعالى أن يوفق الجميع لما يحب ويرضى .

حكم من أنكر
المعجزة والكرامة

٩٠ - سائل يقول :

هل صحيح أن من أنكر المعجزة فهو كافر ، وأن من أنكر الكرامة فليس بكافر ؟

الجواب :

المعجزة هي الخوارق للعادة التي تحصل للأنبياء ، فمن أنكرها ، وكانت هذه المعجزة ثابتة بأدلة صحيحة صريحة فأنكر

---

(١) تفسير الطبري ، رقم (١٦٩١١) ، وتفسير ابن أبي حاتم ، رقم (١٠٠٤٦) .

هذه الأدلة كمن أنكر أن القرآن أنزل على محمد ﷺ ، أو أنكر أن موسى عليه السلام ألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ، فهذا يكفر بمثل هذا الإنكار .

أما الكرامة وهي الخوارق التي تحصل لغير الأنبياء ، فهي على نوعين:

النوع الأول : كرامة تحصل للأولياء والصالحين من عباد الله ، فهي كرامة من الله جل وعلا خص بها أولياءه ، وهذه إذا لم تثبت بأدلة قطعية صحيحة صريحة ، فلا يكفر منكرها .

النوع الثاني: خوارق تحصل للمشعوذين والسحرة والمتصوفة وغيرهم، وهذه من الشيطان ، والواجب على المسلم أن لا يغتر بها، وأن يحذر من أصحابها. وبالله التوفيق .

حكم الاعتماد على الأبراج

٩١ - الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فبناء على السؤال الذي ورد من الأخ ... من الكويت ، وفيه أنه يسأل عن حكم ما انتشر في الصحف والمجلات من ذكر ما يحصل لمن ولد في برج كذا من الأمور المغيبة ، وما حكم كتابتها ونشرها والتصديق بها ؟

فأقول وبالله التوفيق :

إن العلماء رحمهم الله قسموا أحوال من ينظر إلى النجوم إلى أقسام ثلاثة :

الأول : أن يعتقد أن ما يحدث في الأرض إنما هو بتأثير الكواكب ، وأن الكواكب لها فعل واختيار ، فهذا كفر بالإجماع ، وهؤلاء ربما جاءتهم الشياطين وقضت حوائجهم ففتنوا بذلك .

الثاني : أن يعتقد أنه يعرف الحوادث الأرضية بناء على سير النجوم ومنازلها، ويقول إن ذلك بتقدير الله ومشيئته ، وهذا لا شك في تحريمه ، بل قال بعض العلماء بكفره ؛ لأنه يدعي علم الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه .

الثالث : أن ينظر في النجوم ليهتدي بها في الطريق ، وهذا من فوائد خلق النجوم،كما قال تعالى: ﴿ وَعَلَـٰمَـٰتٍۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [النحل:١٦] ، وقوله : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ وَجَعَلْنَـٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَـٰطِينِ ﴾ [الملك:٥] ، قال قتادة رحمه الله : « خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء ، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدى بها ، فمن تأول فيها غير ذلك فقد أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به » . وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: «تعلموا من النجوم ما تعرفون به القبلة والطريق ، ثم أمسكوا » .

فعلى هذا فإن ما يقوله الكذبة المنجمون الذين ينظرون في

النجوم ، ويزعمون أنهم يستدلون بها على ما يقع في الأرض من الحوادث ، وأن من ولد في برج كذا حصل له كذا وكذا ، ومن تزوج في برج كذا نال كذا وكذا ، فإن هذا شيء من أعمال السحر ، وهو باطل محرم بالكتاب والسنة وإجماع الأمة ، كما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، فإن هذا من ادعاء علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه ، فإن رسول الله ﷺ قال في الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري رحمه الله عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال: قال النبي ﷺ : « مفاتيح الغيب خمس ، ثم قرأ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴾ [لقمان:٣٤]»[١] .

وقد حذر النبي ﷺ من تعاطي علم النجوم ، فقال : « من اقتبس علمًا من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد » رواه ابن ماجه وأحمد وأبو داود[٢] . وقال ابن عباس في قوم يكتبون أباجاد وينظرون في النجوم : « ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق» .

ولذا فقد حرم الإسلام الذهاب إلى هؤلاء الكهان من المنجمين وأضرابهم ، فجاء في الحديث : « من أتى كاهنًا فصدقه بما قال : فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ» رواه أحمد وأبو داود

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (٤٧٧٨) .

(٢) مسند أحمد ، رقم (٢٨٤٠) ، وأبو داود ، رقم (٣٩٠٥) ، وابن ماجه ، رقم (٣٧٢٦) .

وغيرهما[١].

قال ابن الأثير : « وقوله : «من أتى كاهنًا» يشتمل على إتيان الكاهن والعراف والمنجم .

وأخرج الإمام مسلم عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: « قلت : يا رسول الله إن قومًا منا يأتون الكهان ، قال : فلا تأتوهم »[٢] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : فنهى النبي ﷺ عن إتيان الكهان ، والمنجم يدخل في اسم الكاهن عند الخطابي وغيره من العلماء ، وحكي ذلك عن العرب ، وعند آخرين هو من جنس الكاهن وأسوأ حالًا منه ، فلحق به من جهة المعنى . وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال : « ثمن الكلب خبيث ، ومهر البغي خبيث ، وحلوان الكاهن خبيث »[٣] وحلوانه الذي تسميه العامة (حلاوته) ويدخل في هذا المعنى ما يعطى للمنجم » . انتهى كلامه رحمه الله.

وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال : « من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يومًا »[٤] .

---

(١) تقدم تخريجه بالفتوى رقم (٦١) .

(٢)صحيح مسلم ، رقم (٥٣٧) .

(٣) صحيح مسلم ، رقم (١٥٦٨) ولفظه « ثمن الكلب خبيث ومهر البغي خبيث وكسب الحجام خبيث » ، والبخاري رقم (٢١٢٢) ولفظه : «أن رسول الله ﷺ نهى عن ثمن الكلب ، ومهر البغي ، وحلوان الكاهن» .

(٤) تقدم تخريجه بالفتوى رقم (٦٠) .

و(العراف) قيل : إنه اسم عام للكاهن والمنجم وغيرهم ممن يتكلم في تقدم المعرفة بالأمور المغيبة .

قال ابن حجر رحمه الله : العراف من يستخرج الوقوف على المغيبات بضرب من فعل أو قول .

وربما ظن بعض الناس صدق هؤلاء عندما يقع الأمر الذي أخبر به هذا المنجم ، فيتعلق به ويصدقه فيما يقول ، والحق أن ما وقع مما أخبر به المنجم ، إنما هو قول ألقاه لا يدري أيكون أم لا .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « وما فيه من الحق فهو شبيه بما قال إمام هؤلاء ومعلمهم الثاني أبو نصر الفارابي، قال ما مضمونه: إنك لو قلبت أوضاع المنجمين ، فجعلت مكان السعد نحسًا ومكان النحس سعدًا ، أو مكان الحار باردًا أو مكان البارد حارًا ، أو مكان المذكر مؤنثًا أو مكان المؤنث مذكرًا ، وحكمت ، لكان حكمك من جنس أحكامهم يصيب تارة ، ويخطئ أخرى ، وذكر عن رئيس منهم أنه قال له : والله إنا نكذب مائة كذبة حتى نصدق في كلمة » اهـ.

فالواجب على المسلم أن يحفظ عقيدته ، وأن يصونها عن تصديق أمثال هؤلاء المنجمين ، الذين يحتالون على أكل أموال الناس بالباطل ، وذلك بعدم مجيئهم ، وعدم تصديقهم ، بل بتيقن كذبهم ، وعدم سؤالهم ، ولو من غير تصديق لما يقولون ، ولذا لما أراد علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يسافر لقتال الخوارج

عرض له منجم ، فقال : يا أمير المؤمنين لا تسافر ؛ فإن القمر في العقرب ، فإنك إن سافرت والقمر في العقرب هزم أصحابك ، فقال علي رضي الله عنه : « بل أسافر ثقة بالله ، وتوكلًا على الله ، وتكذيبًا لك » ، فسافر فبورك له في ذلك السفر حتى قتل عامة الخوارج ، قاله شيخ الإسلام في الفتاوى .

كما أن على كل مسلم أن يتوكل على الله وحده ، مؤمنًا بقضائه غير مستشرف لمستقبل أيامه ، مهتمًا بإصلاح نفسه ، وتقوية إيمانه ، وليعلم أن من لجأ لهؤلاء المنجمين تشتت قلبه ، ووسوست نفسه ، وليتذكر قول الله تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة:٢٣] ، وقوله : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ [التوبة:٥١] ، وغير ذلك من الآيات التي تحث المسلم على التعلق بالله وحده ، والإيمان بقضائه وقدره . ويقال لهؤلاء المنجمين ما قاله بعضهم :

أطلاب النجوم أحلتمونا إلى علم أرق من الهباء

كنوز الأرض لم تصلوا إليها فكيف وصلتم علم السماء

وإن الواجب على ولاة الأمور منع هؤلاء وأمثالهم من نشر كذبهم ، وأن يقوموا بزجرهم وردعهم عن هذه الأفعال المحرمة .

هذا وأسأل الله تعالى أن يرينا الحق حقًا ويرزقنا اتباعه ، والباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

تكفير الآخرين

٩٢ - سائل يقول :

هل إذا سمع الإنسان غيره يكفر بالله ، هل له أن يقول عليه إنه كافر ؟ وما هو الضابط في مسألة التكفير ؟

الجواب :

إذا سمع الإنسان شخصًا يتلفظ بالكفر ، فلا يقول عنه إنه كافر ، وإنما يقول إنه قال أو فعل فعل كفر ، لأنه قد يكون فعل الشيء أو قاله متأولًا ، فلا يجوز تكفير أحد بعينه من المسلمين ارتكب مكفِّرًا إِلا بعد إِقامة الحجة التي يكفر بموجبها ؛ فتتوافر الشروط ، وتنتفي الموانع ، وتزول الشبهة عن الجاهل والمتأول ، وذلك يكون في الأمور الخفية التي تحتاج إِلى كشف وبيان، بخلاف الأَشياء الظاهرة ؛ مثل جَحْد وجودِ الله ، وتكذيب الرسول ﷺ وجحدِ عموم رسالته ، وكونه خاتم الأنبياء .

ولا يكفر أيضًا المكره إِذا كان قلبه مطمئنًا بالإِيمان . ولا يكفر أَحد من المسلمين بكلِّ ذنب ، ولو كان من كبائر الذنوب التي هي دون الشرك ؛ فإِنه لا يحكم على مرتكبها بالكفر ، وإنما يحكم عليه بالفسق ونقص الإيمان ، ما لم يستحل ذنبه ؛ لأنَّ الله- تبارك

وتعالى- يقول : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٤٨].

وقد حذر النبي ﷺ أن يكفر أحد أحدًا دون برهان ، قال ﷺ : «أيما امرئ قال لأخيه : يا كافر ، فقد باء بها أحدهما ، إن كان كما قال ، وإلا رجعت عليه » رواه مسلم[١] .

وقال ﷺ : « من دعا رجلًا بالكفر ، أو قال : عدو الله ، وليس كذلك إلا حار عليه » رواه مسلم[٢] .

وقال ﷺ : « لا يرمي رجل رجلًا بالفسوق ولا يرميه بالكفر، إلا ارتدت عليه ، إن لم يكن صاحبه كذلك » رواه البخاري[٣] .

وقال ﷺ:«ومن رمى مؤمنا بكفر،فهو كقتله»رواه البخاري[٤] .

فلا يحكم عليه بذلك حتى يبينَ له الحق ، وذلك بإقامة الحجة وإزالة الشبهة ، ولابد أن يكون الشخص الذي يصدر هذا الحكم من أهل العلم الشرعي ومن العارفين بالحلال والحرام ولا يكون من عامة المسلمين الذين يجهلون كثيرًا من أحكام الشريعة فإنه ربما ظن ما ليس بكفر كفرًا بل ربما ظن بعض الطاعات والقربات نوعًا من أنواع الكفر والمحرمات، وينبغي التفرقة بين الحكم على

(١) صحيح مسلم ، رقم (٦٠) .
(٢) صحيح مسلم ، رقم (٦١) .
(٣) صحيح البخاري ، رقم (٦٠٤٥) .
(٤) صحيح البخاري ، رقم (٦١٠٥) .

القول بأنه كفر ، والحكم على صاحبه المعين بأنه كافر . فتكفير المعين لا يجوز الإقدام عليه ، إلا بعد أن تقوم على المتكلم الحجة من كلام الله وكلام رسوله ﷺ وتنتفي عنه الشبهة ، والله أعلم .

معنى « لا يدخل الجنة »

٩٣ - سائل يقول :

ما معنى : «لا يدخل الجنة قاطع رحم»[١] ، وحديث : «لا يدخل الجنة نمام»[٢] ، وحديث « لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر»[٣] ؟

الجواب :

هذه الأحاديث وما في معناها تعددت أقوال علماء السنة فيها، فمنهم من قال : معناه : لا يدخل الجنة إن أنفذ الله عليه الوعيد، لإجماعهم أن الله تعالى في وعيده لعصاة المسلمين بالخيار إن شاء عذبهم وإن شاء عفا عنهم.

وقال بعضهم : لا يدخلها من أول وهلة، أي أنه يتأخر في دخول الجنة، وأنه يدخل النار ويعذب بها، ولكنه إذا دخل النار لا

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ، رقم (٢٥٥٦) .
(٢) رواه مسلم في صحيحه ، رقم (١٠٥) .
(٣) رواه مسلم في صحيحه ، رقم (٩١) .

يستمر فيها أبداً، بل لابد أن يخرج منها، وأن يدخل الجنة ما دام أنه مرتكب لكبيرة فقط، ولا يُمنع من دخول الجنة أبدًا إلا الكفار الذين هم أهل النار؛ لما ثبت في الصحيح : « أخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان »[١] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية :

« فقوله : " لا يدخل الجنة " متضمن لكونه ليس من أهلها ولا مستحقا لها لكن إن تاب أو كانت له حسنات ماحية لذنبه أو ابتلاه الله بمصائب كفر بها خطاياه ونحو ذلك زال ثمرة هذا الكبر المانع له من الجنة؛ فيدخلها أو غفر الله له بفضل رحمته من ذلك الكبر من نفسه؛ فلا يدخلها ومعه شيء من الكبر ولهذا قال من قال في هذا الحديث وغيره : إن المنفي هو الدخول المطلق الذي لا يكون معه عذاب؛ لا الدخول المقيد الذي يحصل لمن دخل النار ثم دخل الجنة؛ فإنه إذا أطلق في الحديث فلان في الجنة أو فلان من أهل الجنة كان المفهوم أنه يدخل الجنة ولا يدخل النار .

فإذا تبين هذا كان معناه : أن من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ليس هو من أهل الجنة ولا يدخلها بلا عذاب بل هو مستحق للعذاب لكبره كما يستحقها غيره من أهل الكبائر ولكن قد يعذب في النار ما شاء الله فإنه لا يخلد في النار أحد من أهل التوحيد .

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (٧٠٧٢) ؛ صحيح مسلم ، رقم (١٩٣) .

وهذا كقوله : " لا يدخل الجنة قاطع رحم "[1]، وقوله : " لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم "[2] وأمثال هذا من أحاديث الوعيد ، وعلى هذا فالحديث عام في الكفار وفي المسلمين» اهـ. والله أعلم .

اتهام الناس في دينهم

٩٤ - سائل يقول :

ما حكم الذين يظنون في الناس شيئًا في دينهم فيبدعونهم ويفسقونهم؟

الجواب :

المسارعة في اتهام الناس ورميهم بالفسق والبدعة والضلال من سوء الظن بالمسلمين وهو من الإثم المنهي عنه يقول الله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات:١٢] ويقول سبحانه : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات:٦] ، وفي

---

(١) تقدم تخريجه بنفس الفتوى .

(٢) رواه مسلم في صحيحه ، رقم (٥٤) .

الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ، ولا تجسسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، ولا تباغضوا ، وكونوا عباد الله إخوانا» متفق عليه[1] .

وينبغي على المسلم أن يحسن الظن بالمسلمين ، ولا يسارع في اتهامهم ، بل يعاملهم على ظواهرهم ، ولا ينقب عن بواطنهم ؛ لأن ذلك من تتبع العورات المنهي عنه .

والمسلم مطالب بأن يحاسب نفسه وينشغل بإصلاح عيوبه وتقويم أخطائه ، يقول تعالى : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾[الغاشية:٢٥-٢٦] . وفي الحديث عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله ما النجاة ؟ قال : « أمسك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك » رواه أبو داود والترمذي وحسنه[2] ، لكن من اشتهر فسقه وعلم ضرره فينبغي التحذير منه والإنكار عليه . والله أعلم .

حكم استعمال كلمة (لو)

٩٥ – سائلة تقول :

علمت بأن كلمة (لو) تفتح عمل الشيطان ، ونحن نستعملها

(١) صحيح البخاري ، رقم (٤٨٤٩) ؛ صحيح مسلم ، رقم (٢٥٦٣) .

(٢) الزهد لأبي داود ، رقم (١٧٠) ؛ والترمذي ، رقم (٢٤٠٦) .

دائمًا في كلامنا، فأرجو التوجيه بذلك ؟

الجواب :

نهى النبي ﷺ عن كلمة (لو) لأنها تفتح عمل الشيطان ؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان » رواه مسلم[1] . وذلك لأن هذا فيه نوع من التسخط والاعتراض على قدر الله ، فإذا قال الإنسان : لو فعلت كذا لحصل كذا ، لو خرجت لحصل لي كذا وكذا ، فهو بقوله هذا علق أقدار الله ، وعلق أرزاق الله بروحته أو جلسته أو مجيئه ، وهذا من عمل الشيطان إذا كان الإنسان يقولها على سبيل التسخط ، أو لفوات شيء من أمور الدنيا ، ونحو ذلك ، فعلى الإنسان إذا حصل له شيء لا يرغبه ، أو فاته شيء يرغبه من أمور الدنيا أن لا يقل : لو فعلت كذا لكان كذا ، وإنما يقول مثل ما أخبرنا الرسول ﷺ : « قدر الله وما شاء فعل »[2] ، فلا راد لمشيئته سبحانه فأمره نافذ ، ومهما عمل الإنسان فلن يكون إلا ما قدره الله،فالله سبحانه يقول: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩] ، وكما قال النبي عليه الصلاة والسلام لابن

(١) صحيح مسلم ، رقم (٢٦٦٤) .

(٢) تقدم تخريجه بالفتوى رقم (٢١) .

عمه عبد الله ابن عباس : « واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » رواه أحمد والترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح[1] . وبالله التوفيق .

كلمة في
حقوق ولاة الأمر

٩٦ - الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، محمد وآله وصحبه ، وبعد :

فإن الشريعة الإسلامية شريعة كاملة ، جاءت بالحق والعدل، والخير والصلاح ، لكافة المجتمعات ، وإن مما جاءت به الشريعة إقامة الولاة والحكام ؛ ليطبقوا أحكام الشريعة على عباد الله ويقيموا العدل بينهم ، وقد نظمت هذه الشريعة الكاملة العلاقة بين الحاكم والمحكومين .

وإن مما تمس الحاجة لبيانه اليوم معرفة حق ولي الأمر على رعيته ، فإن من المعلوم أن مصالح الأمم والمجتمعات لا تتم ، ولا تنتظم إلا بالتعاون بين الآمر والمأمور ، بين الراعي والرعية ، وقيام

(١) مسند أحمد ، رقم (٢٦٦٩) ، والترمذي ، رقم (٢٥١٦) .

كل بما يجب عليه من واجبات ، وأداء ما حمل من أمانة ومسئوليات.

وإن مما يجب اعتقاده على كل مسلم أن السمع والطاعة لولاة الأمر واجب شرعًا ، إلا أن يأمروا بمعصية ، فإن أمروا بمعصية، فلا طاعة لهم ؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

كما أن من معتقد أهل السنة والجماعة النصح والدعاء لهم ، وإعانتهم على الحق ، وتحريم الخروج عليهم ، ونزع الطاعة من أيديهم ، سواء كانوا أئمة عدولًا صالحين ، أم كانوا من أئمة الجور والظلم، ما دام أنهم لم يخرجوا عن دائرة الإسلام ، فإن الصبر على جور الأئمة وظلمهم مع ما فيه من ضرر ، أيسر خطرًا من ضرر الخروج عليهم ، ولهذا جاء الأمر من الشارع بوجوب السمع والطاعة، وتحريم الخروج على الأئمة والولاة، وإن جاروا وظلموا، إلا أن يرتكبوا كفرًا بواحًا .

كما أن من حقوق ولاة الأمور على الرعية إجلالهم وتوقيرهم، وتعظيمهم في النفوس ؛ لأن ذلك أوقع في هيبتهم ، حتى يحذرهم أهل الفسق والفجور .

كما حذر أهل السنة والجماعة من الوقيعة في أعراض الأئمة ، والتنقص لهم ، أو الدعاء عليهم ؛ لأن هذه الأمور من أسباب وجود الضغائن والأحقاد بين الولاة والرعية ، ومن أسباب نشوء الفتن والنـزاع بين صفوف الأمة .

وقد بين أهل السنة والجماعة حقوق ولاة الأمور على الرعية في كتب العقائد وغيرها ، وبينوا ما يجب على الرعية تجاههم ، ومن ذلك : قول الإمام الطحاوي رحمه الله :

(ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمرنا ، وإن جاروا ، ولا ندعو عليهم ، ولا ننـزع يدًا من طاعتهم ، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة ، ما لم يأمروا بمعصية ، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة) .

قال شارح الطحاوية رحمه الله بعد سوقه الأدلة الدالة على وجوب السمع والطاعة لولاة الأمور :

« فقد دل الكتاب والسنة على وجوب طاعة أولي الأمر ، ما لم يأمروا بمعصية، فتأمل قوله تعالى : ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء:٥٩] كيف قال : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ ، ولم يقل : وأطيعوا أولي الأمر منكم ؛ لأن أولي الأمر لا يفردون بالطاعة ، بل يطاعون فيما هو طاعة لله ورسوله ، وأعاد الفعل مع الرسول للدلالة على أن من أطاع الرسول ، فقد أطاع الله، فإن الرسول لا يأمر بغير طاعة الله ، بل هو معصوم في ذلك ، وأما ولي الأمر فقد يأمر بغير طاعة الله ، فلا يطاع إلا فيما هو طاعة لله ورسوله.

وأما لزوم طاعتهم وإن جاروا ؛ فلأنه يترتب على الخروج من طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم ، بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات ، ومضاعفة الأجور ، فإن الله تعالى ما

سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا ، والجزاء من جنس العمل ؛ فعلينا الاجتهاد بالاستغفار والتوبة وإصلاح العمل ، قال تعالى : ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ ﴾ [آل عمران : ١٦٥]. وقوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ [الأنعام :١٢٩].

فإذا أراد الرعية أن يتخلصوا من ظلم الأمير، فليتركوا الظلم.

وقد قال مالك بن دينار : إنه جاء في بعض كتب الله : (أنا الله ، مالك الملك ، قلوب الملوك بيدي ، فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة ، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة ، فلا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك ، ولكن توبوا ؛ أعطفهم عليكم » انتهى .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى :

« وأما أهل العلم والدين والفضل فلا يرخصون لأحد فيما نهى الله عنه من معصية ولاة الأمور ، وغشهم ، والخروج عليهم بوجه من الوجوه ، كما قد عرف من عادات أهل السنة والدين قديمًا وحديثًا ، ومن سيرة غيرهم » انتهى .

وقال الإمام النووي في شرح مسلم :

« وأما الخروج عليهم –يعني الأئمة– وقتالهم ؛ فحرام بإجماع المسلمين ، وإن كانوا فسقة ظالمين ، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته ، وأجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق .

وسبب عدم انعزاله ، وتحريم الخروج عليه ، ما يترتب على ذلك من الفتن وإراقة الدماء ، وفساد ذات البين ؛ فتكون المفسدة في عزله أكثر منها في بقائه » انتهى .

ونقل ابن حجر في فتح الباري عن ابن بَطَّال قوله :

« وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب ، والجهاد معه ، وأن طاعته خير من الخروج عليه ، لما في ذلك من حقن للدماء ، وتسكين الدهماء ... ولم يستثنوا من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح » انتهى .

ومما جاء عن السلف الصالح رضي الله عنهم في ذلك قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « لا إسلام بلا جماعة ، ولا جماعة بلا أمير ، ولا أمير بلا طاعة ».

ولما خطب عمر بن عبد العزيز مبينًا حق الوالي والمولى عليهم، قال في بيان حق الوالي على الرعية : « وإن عليكم من ذلك : الطاعة غير المبزوزة ، ولا المستكره بها ، ولا المخالف سرها علانيتها » .

فالواجب على كل فرد من أفراد الدولة : السمع والطاعة لولاة الأمور ، ما لم يأمروا بمعصية ؛ فإن أمروا بمعصية فلا طاعة لهم في المعصية ؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق؛ ولقول النبي ﷺ : « إنما الطاعة في المعروف » رواه البخاري ومسلم[1] .

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (٧٢٥٧) ؛ صحيح مسلم ، رقم (١٨٤٠) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى : «فطاعة الله ورسوله واجبة على كل أحد ، وطاعة ولاة الأمور واجبة على كل أحد ، ومن كان لا يطيعهم إلا لما يأخذه من الولاية والمال، فإن أعطوه أطاعهم، وإن منعوه عصاهم ، فما له في الآخرة من خلاق » انتهى.

الأدلة على وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر :

فهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة ، استنادًا للأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة :

فمن كتاب الله :

قوله سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء:٥٩].

فقد دلت هذه الآية بصريح المنطوق على وجوب طاعة ولاة الأمور ، ووجوب طاعتهم تستلزم النهي عن عصيانهم ، إلا أن طاعتهم مقيدة بطاعتهم لله ورسوله ، فإن أمروا بما فيه معصية لله ولرسوله فلا طاعة لهم في ذلك .

أما السنة :

فقد جاءت السنة بتأكيد ما أمر الله به من وجوب السمع والطاعة لولاة الأمور في غير معصية ، وتحريم الخروج عليهم ،

وإن جاروا وظلموا ، إلا أن يُرى منهم كفر بواح ، فمن ذلك :

١ – ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال : « على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية؛ فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»[1] .

٢ – وروى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اسمعوا وأطيعوا ، وإن استُعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة »[2] .

٣ – وروى البخاري ومسلم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : « بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر ، والمنشط والمكره ، وعلى أثرة علينا ، وعلى ألا ننازع الأمر أهله ، وعلى أن نقول الحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم » وفي رواية لمسلم : «إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان»[3] .

٤ – وروى مسلم في صحيحه عن وائل بن حجر رضي الله عنه قال : سأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله ﷺ فقال : يا نبي الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ، ويمنعونا حقنا ، فما تأمرنا ؟ فأعرض عنه ، ثم سأله، فقال رسول الله ﷺ : « اسمعوا

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (٧١٤٤) ؛ صحيح مسلم ، رقم (١٨٣٩) .
(٢) صحيح البخاري ، رقم (٦٩٣) .
(٣) صحيح البخاري ، رقم (٧١٩٩) ؛ صحيح مسلم ، رقم (١٧٠٩) .

وأطيعوا ، فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم »[١].

٥ – وروى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها . قالوا : يا رسول الله ، كيف تأمر من أدرك منا ذلك ؟ قال : تؤدون الحق الذي عليكم ، وتسألون الله الذي لكم »[٢].

٦ – وروى البخاري ومسلم أيضًا عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: « من رأى من أميره شيئًا فليصبر ، فإنه من خرج من السلطان شبرًا ، مات ميتة جاهلية »[٣] .

٧ – وروى مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من خلع يدًا من طاعة لقي الله يوم القيامة ، ولا حجة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية »[٤].

٨ – وروى مسلم في صحيحه عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : «قلت : يا رسول الله إنا كنا بشر ، فجاء الله بخير ، فنحن فيه ، فهل من وراء هذا الخير شر ؟ قال : نعم ، قلت : وهل من وراء ذلك الشر خير ؟ قال : نعم ، قلت : فهل من وراء ذلك الخير شر ؟ قال : نعم ، قلت : كيف ؟ قال : يكون بعدي أئمة لا يهتدون

---

(١) صحيح مسلم ، رقم (١٨٤٦) .

(٢)صحيح البخاري ، رقم (٣٦٠٣) ؛ صحيح مسلم ، رقم (١٨٤٣) .

(٣)صحيح البخاري ، رقم (٧٠٥٤) ؛ صحيح مسلم ، رقم (١٨٤٩) .

(٤)صحيح مسلم ، رقم (١٨٥١) .

بهداي ، ولا يتسنون بسنتي ، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس ، قال : قلت : كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال : تسمع وتطيع للأمير ، وإن ضرب ظهرك ، وأخذ مالك ، فاسمع وأطع»(١) .

فقد دلت هذه الأحاديث الصحيحة وغيرها كثير على وجوب السمع والطاعة لولاة الأمور في غير معصية ، وتحريم الخروج عليهم ، ونزع الطاعة من أيديهم ، وإن جاروا وظلموا، إلا أن يرى منهم كفر بواح .

كما يجب التنبيه إلى أن عدم طاعتهم في المعصية لا يعني عدم طاعتهم مطلقًا ، وإنما المقصود عدم طاعتهم في الأمر الذي فيه معصية بخصوصه ، مع وجوب السمع والطاعة فيما عدا ذلك ، كما هو ظاهر الأحاديث .

وعلى ما ذكر جرى اعتقاد وعمل السلف الصالح رضوان الله عليهم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة الإسلام المتبوعين ، وغيرهم من العلماء الربانيين .

نسأل الله تعالى أن يوفق المسلمين وولاة أمورهم للتمسك بدينهم ، والبصيرة فيه ، والعمل به ، وأن يعز دينه ، ويعلي كلمته ، وأن يجمع كلمة المسلمين على الحق والهدى ، وهو حسبنا ونعم

---

(١) صحيح مسلم ، رقم (١٨٤٧) .

الوكيل .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وآله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

الخوف الجبلي

٩٧ - سائل يقول :

هل يأثم الإنسان كثير الخوف عندما يخاف من الظلام أو بقائه بمفرده مثلًا مع علمه بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، ومع محافظته على أذكار الصباح والمساء ؟

الجواب :

لا يأثم بذلك إن شاء الله ، لأن الخوف نوعان : خوف جبلي في الإنسان : كأن يخاف من السباع والهوام والظلام وشدة البرد وغير ذلك مما لا يستطيع دفعه ، فهو طبيعة في الإنسان لا يأثم عليها ، ولا يؤاخذ عليها وقد قال الله عز وجل عن نبيه إبراهيم لما أتاه الملك: ﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾ [هود:٧٠] ، وقال عن موسى عليه السلام ﴿ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾ [طه:٦٧] ، وغير ذلك. والنوع الآخر : هو الخوف من الناس في جلب نفع أو دفع ضر ، وعدم الاعتماد على الله سبحانه وتعالى وعدم التوكل عليه ، فهذا الخوف هو المنهي عنه ؛ لأن الواجب على

المسلم أن يتوكل على الله حق التوكل وأن يعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوه بشيء لم ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله عليه ، ولو اجتمعوا على أن يضروه بشيء لن يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه ، كما أن عليه أن يأخذ بالأسباب ، فالنبي ﷺ كان يدخل الحرب ، ويلبس اللأمة والدرع والمغفر ، ويأخذ أدوات القتال ، ويحارب ، فكان يأخذ بالأسباب ﷺ ، ويفعل ما ينبغي فعله، ويتوكل على الله تعالى، عالمًا بأنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له.

الخوف من القبر

٩٨ - سائل يقول :

إذا كان الإنسان كثير الخوف لدرجة كبيرة ، فكيف يكون وحده في القبر ، وهو مظلم عليه ، والدود من حوله ، وهل يشعر بالخوف كما يشعر به في الدنيا ؟

الجواب :

ليس في القبر ما يوحش الإنسان أو يؤنسه إلا عمله ، فإن كان عمله صالحًا فعمله هو الذي يؤنسه ، ويفسح له في قبره مد بصره ، ويأتيه من روح الجنة وريحانها ، ويكون مرتاحًا وفي غاية السرور ، أما إن كان عمله سيئًا -والعياذ بالله- فلا أوحش له من عمله . ولذا أمر النبي ﷺ بالتعوذ من عذاب القبر في كل صلاة. نسأل الله

لنا ولكم العمل الصالح ، وأعاذنا وإياكم من عذاب القبر .

المؤاخذة بحديث النفس

٩٩ – سائل يقول :

هل يحاسب المسلم على ما يدور في فكره من أفكار خيرة وسيئة ؟

الجواب :

ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله تجاوز لأمتي عما وسوست أو حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تكلم »[١] .

فهذا الحديث الصحيح دليل على عدم المؤاخذة بما يدور في فكر الإنسان وما يحدث به نفسه من أمر سيء ما لم يعمل أو يتكلم .

بل إن من رحمة الله عز وجل وفضله أن من فكر بالأمر الحسن، ثم هم بفعله ، لكنه لم يفعله ، فإن الله يكتب له حسنة كاملة، ومن فكر بسوء ، ثم هم به ، لكنه لم يفعله ، فإن الله يكتب له بتركه حسنة كاملة ، كما ثبت ذلك في الصحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل ، قال : «إن الله كتب الحسنات والسيئات ، ثم بين ذلك ، فمن هم بحسنة فلم يعملها ، كتبها الله له عنده حسنة كاملة ، فإن هو هم

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (٢٥٢٨) ؛ صحيح مسلم ، رقم (١٢٧) .

بها، فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات ، إلى سبع مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، ومن هم بسيئة ، فلم يعلمها ، كتبها الله له عنده حسنة كاملة ، فإن هو هم بها ، فعملها كتبها الله له سيئة واحدة »[1].

وهذا الحديث يدل على فضل الله وسعة رحمته بعباده سبحانه . وبالله التوفيق .

هل يدخل المؤمن العاصي النار

١٠٠ - سائل يقول :

هل يدخل المؤمن العاصي النار ويمكث فيها طويلًا ، أم تمسه النار فقط إبرارًا للقسم ؟

الجواب :

المؤمن الذي يموت على التوحيد ، وإخلاص العبادة لله وحده ، ويؤدي الفرائض ويجتنب المحرمات ، فإن الله يدخله الجنة برحمته سبحانه ، ولا يدخله النار .

أما من مات منهم على شيء من المعاصي دون الشرك ، ولم يتب منها ، فهو تحت مشيئة الله ، إن شاء سبحانه غفر له وأدخله الجنة على ما كان عليه من عمل ، وإن شاء عذبه على قدر معصيته ، ثم يدخله الجنة ، وذلك لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ

(١) صحيح البخاري ، رقم (٦٤٩١) ؛ صحيح مسلم ، رقم (١٣١) .

﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨] . ولما جاء عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « أتاني آت من ربي فأخبرني – أو قال: – بشرني أنه من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق » رواه البخاري ومسلم[1] .

وأما التائبون فمغفور لهم ، لقول الله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر:٥٣] . وهذا قول أهل السنة والجماعة من أصحاب النبي ﷺ ، ومن سار على نهجهم من أهل العلم والإيمان ، كالأئمة الأربعة وأتباعهم . وبالله التوفيق .

التوبة من ترك الصلاة

١٠١ – سائل يقول:

فضيلة الشيخ إذا علمنا بأن ترك الصلاة كفر، فهل تكفي التوبة لتارك الصلاة ؟ أم لابد له أن يقول الشهادتين للرجوع إلى الله تعالى؟

الجواب :

تارك الصلاة ، يكفيه التوبة إلى الله عز وجل من هذا الذنب

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (١٢٣٧) ، صحيح مسلم ، رقم (٩٤) .

العظيم وهو ترك الصلاة ، وينبغي عليه أن يحافظ على الصلاة ويعزم على أن لا يعود لترك الصلاة ، ولا يلزمه قول الشهادتين ؛ لأنه ما أنكر الشهادتين ، فهن باقيات له ما يزيلهن ترك الصلاة . أما إذا كان أثناء ترك الصلاة منكرًا للشهادتين فلا بد له أن يأتي بهن. والله أعلم .

المحاسبة على الفرائض

١٠٢ – سائلة تقول :

هل نحاسب يوم القيامة عن الفرائض والنوافل أم الفرائض فقط؟ وما فائدة النوافل ؟

الجواب :

يحاسب المسلم يوم القيامة على ما افترضه الله عليه ، فيحاسب على صلاته وصيامه وزكاته وحجه ونحو ذلك من الفرائض . أما النوافل إن فعلها المسلم أثيب عليها ، وإن لم يفعلها لم يأثم ، ولا يحاسب الإنسان عن شيء لم يوجبه الله عليه.

والنوافل تكمل ما نقص من فرائض المسلم يوم القيامة ، ففي الحديث عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عشر صلاته ، تسعها ، ثمنها ، سبعها ، سدسها ، خمسها ، ربعها ، ثلثها ، نصفها »

رواه أحمد وأبو داود والنسائي[١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة ، قال : يقول ربنا جل وعز لملائكته وهو أعلم : انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها؟ فإن كانت تامة كتبت له تامة ، وإن كان انتقص منها شيئا ، قال : انظروا هل لعبدي من تطوع؟ فإن كان له تطوع قال: أتموا لعبدي فريضته من تطوعه ، ثم تؤخذ الأعمال على ذاكم» رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه[٢] .

وعليه فإن نوافل الصلاة تكمل هذه النقائص من صلاة الفريضة . وكذا نوافل الصيام تكمل النقائص في الصيام ، ونوافل الصدقات تكمل النقائص في الزكاة وهكذا ، فلذلك ينبغي على المسلم أن يحرص على النوافل من أجل أن هذا يكمل النقص الذي يحصل في فرائضه. والله أعلم .

الشيطان ينفك عن الإنسان بالموت

١٠٣ - سائلة تقول :

هل الشَّيطان الرَّجِيم ينفكُّ عن الإنسان بعد موته وعند

(١) مسند أحمد ، رقم (١٨٨٩٤) ، وأبو داود ، رقم (٧٩٦) ، والنسائي في الكبرى ، رقم (٦١٥) .

(٢) أبو داود ، رقم (٨٦٤) ، والترمذي ، رقم (٤١٣) وحسنه ، والنسائي ، رقم (٤٦٥) ، وابن ماجه ، رقم (١٤٢٦) .

دخوله القبر ؟

الجواب :

نعم ، إذا مات ابن آدم انقطع عنه كل شيء ، وابتعد عنه الشَّيطان، ولا يبقى معه إلا عمله في قبره، سيئًا كان أم حسنًا. يتنعّمُ في قبره إن كان عمله صالحًا ، ويتعذّبُ فيه إن كان سيئًا.والله أعلم.

الجن مكلفون

١٠٤ - سائل يقول :

هل أرسل الله محمدًا ﷺ إلى الجن كما أرسله للناس؟ وهل هم محاسبون يوم القيامة، والله يقول : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء:١٥]؟

الجواب :

الجن من مخلوقات الله تعالى ، ورد ذكرهم في القرآن والسنة وهم مكلفون ، مؤمنهم في الجنة ، وكافرهم في النار، والله عز وجل يقول : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات :٥٦]، وقد أخبر الله جل وعلا في كتابه أنه أرسل لهم رسلًا منهم ، يقول سبحانه: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأنعام:١٣٠] ، وقد

ذكر الله عز وجل في كتابه قصة الجن الذين استمعوا القرآن ، فأنزل سبحانه سورة كاملة سميت باسمهم ، فقال سبحانه : ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾ الآيات ، وقال سبحانه : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾ [الأحقاف:٢٩] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

« ومما يجب أن يعلم أن الله بعث محمدًا ﷺ إلى جميع الإنس والجن ، فلم يبق إنس ولا جن إلا وجب عليه الإيمان بمحمد ﷺ واتباعه ، فعليه أن يصدقه فيم أخبر ، ويطيعه فيما أمر ، ومن قامت عليه الحجة برسالته فلم يؤمن به ، فهو كافر ، سواء كان إنسيًا أو جنيًا ، وهو ﷺ مبعوث إلى الثقلين باتفاق المسلمين ، وقد استمعت الجن القرآن وولوا إلى قومهم منذرين » انتهى . والله أعلم .

الجن مكلفون

١٠٥ - سائلة تقول :

هل الجن لهم رسول أم أنهم داخلون في أمة محمد ﷺ؟ وهل هم مكلفون مثل الإنس ؟ وهل نعرف شيئًا من أحوالهم ؟

الجواب :

أرسل الله عز وجل نبيه محمدًا ﷺ إلى جميع الثقلين : الإنس والجن ، وأوجب عليهم الإيمان به وبما جاء به وطاعته ، وأن يحللوا ما أحل الله ورسوله ، ويحرموا ما حرم الله ورسوله ، وأن يوجبوا ما أوجبه الله ورسوله ، ويحبوا ما أحبه الله ورسوله ، ويكرهوا ما كرهه الله ورسوله ، وأن كل من قامت عليه الحجة برسالة محمد ﷺ من الإنس والجن فلم يؤمن به استحق عقاب الله تعالى كما يستحقه أمثاله من الكافرين . وهذا أصل متفق عليه بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين وسائر طوائف المسلمين .

وقد أخبر الله في القرآن أن الجن استمعوا القرآن ، وأنهم آمنوا به ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣٢] ، ثم أمره أن يخبر الناس بذلك فقال تعالى : ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴾ [الجن:١] ...الآيات ، فأمره أن يقول ذلك ليعلم الإنس بأحوال الجن ، وأنه مبعوث إلى الإنس والجن ؛ لما في ذلك من هدي الإنس والجن ما يجب عليهم من الإيمان بالله ورسله واليوم الآخر وما يجب من طاعة رسله ومن

تحريم الشرك بالجن وغير ذلك ، ولما استمع الجن لقراءته وولوا إلى قومهم منذرين كما أخبر الله عز وجل بايعوه وسألوه الزاد لهم ولدوابهم فقال لهم : « لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يعود أوفر ما يكون لحما ، ولكم كل بعرة علف لدوابكم ، قال النبي ﷺ: فلا تستنجوا بهما ، فإنهما زاد إخوانكم من الجن » وهذا ثابت في صحيح مسلم وغيره من حديث ابن مسعود[1] .

وقد أخبر الله عز وجل عن بعض أحوال الجن فقال سبحانه مخبرًا عن قولهم : ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴾ [الجن:١١] أي : مذاهب شتى : مسلمون وكفار ؛ وأهل سنة وأهل بدعة وقالوا : ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا﴾[الجن:١٤] ﴿ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن:١٥] والقاسط : الجائر . ففيهم الكفار والفساق والعصاة وفيهم من فيه عبادة ودين بنوع من قلة العلم كما في الإنس ، وكل نوع من الجن يميل إلى نظيره من الإنس . فاليهود مع اليهود ، والنصارى مع النصارى ، والمسلمون مع المسلمين ، والفساق مع الفساق ، وأهل الجهل والبدع مع أهل الجهل والبدع . والله تعالى أعلم .

إبليس من الجن

١٠٦ – سائل يقول :

هل إبليس من الملائكة أم من الجن ؟

---

(١) صحيح مسلم ، رقم (٤٥٠) .

الجواب :

اختلف العلماء في هذه المسألة :

فذهبت طائفة من العلماء إلى أنه من الملائكة لقوله سبحانه : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:٣٤] . قالوا : كان من الملائكة فلما عصى الله جل وعلا خرج عنهم ، ولعن ، وتوعده الله تعالى بالعذاب الأليم .

والقول الثاني : أنه من الجن ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ [الكهف: ٥٠] فبين سبحانه أنه من الجن ، وعلى هذا يكون الاستثناء في الآية استثناءًا منقطعًا . ولعل هذا القول أرجح ؛ لأن الملائكة خلقت من نور وإبليس خلق من نار ، ولأن الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ، وإبليس قد عصى وأبى واستكبر ، وكان من العاصين . والله أعلم .

خلق الجان

١٠٧ - سائل يقول :

مم خلق الجان ؟

الجواب :

خلق الله سبحانه وتعالى الجان من مارج من نار ، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ۝١٤ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمن :١٤-١٥] ، أي أنه من طرف النار

الخالص .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : « يذكر تعالى خلقه الإنسان من صلصال كالفخار، وخلقه الجان من مارج من نار، وهو: طرف لهبها. قاله الضحاك ، عن ابن عباس. وعنه أيضًا : من لهب النار، من أحسنها. وعنه أيضًا : من خالص النار» انتهى .

وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم» رواه مسلم[1] . والله أعلم .

التدبر في مخلوقات الله

١٠٨ - سائل يقول :

كيف يكون التدبر في خلق الله عز وجل ؟

الجواب :

التدبر في خلق الله عز وجل هو التفكر بإمعان وروية في مخلوقاته سبحانه وتعالى ، فنتفكر فيما خلق سبحانه من الليل والنهار والبحار والقفار والجبال وما أودع فيها من الأمم ، نتفكر في خلق الإنسان ، وفي هذا الكون العظيم ، فإذا تفكر الإنسان في هذه الأمور ازداد إيمانه قوة ، وعلى العبد أن يعلم أن هذا كله من

---

(١) صحيح مسلم ، رقم (٢٩٩٦) .

الله سبحانه وتعالى ولا أحد يستطيع أن يخلق مثله ، وأنه خالق كل شيء سبحانه ، فهو الذي خلقنا ، ورزقنا ، فمثلا حينما تعلم قوله سبحانه : ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١] تفكر كيف خلق الله لك هذه اليد ، وجعل هذه الأصابع وهذه البنان التي تتحكم فيها كأنها حرير ومع ذلك تمسك بها أقوى شيء ، خلقها من العظم ومن العصب ومع ذلك فهي لطيفة تحركها كيف تشاء . فإذا تدبرت وتذكرت نعمة الله ، ازداد إيمانك ، وازداد شكرك وتواضعك ، وعلمت عظمة الله سبحانه وتعالى ، وأخلصت العبادة له وحده لا شريك له ، وعلمت أنه لا ينفع ولا يضر إلا الله سبحانه . وبالله التوفيق .

الرؤيا لا ينبني عليها حكم شرعي

١٠٩ - سائل يقول :

من الناس من يقول رأيت في المنام الشيخ الفلاني وقال لي افعل كذا ولا تأت كذا . فهل يجوز بناء حكم شرعي على الرؤى ؟ وماذا على الإنسان لو رأى مثل هذه الرؤى في المنام؟

الجواب :

الرؤيا لا ينبني عليها حكم شرعي ، إلا ما كان من رؤيا الأنبياء عليهم السلام ، فإن رؤياهم حق ووحي من الله سبحانه

وتعالى ، كما في قصة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، قال الله تعالى : ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الصافات ١٠١ -١٠٢] .

وأما غير الأنبياء فرؤياهم تصيب وتخطئ ، ولا يثبت بها حكم شرعي ، ولا تكون ملزمة له بفعل أمر أو ترك نهي ، فالأمور والنواهي تؤخذ من الكتاب والسنة لا من الرؤى والأحلام ، وليس كل ما يراه الإنسان في منامه يكون رؤيا صادقة . فقد تكون تحزينًا من الشيطان ، أو تكون حديث نفس ، وهو ما يجول في خيال الإنسان في يقظته فيراه في منامه .

وأما الرؤيا الصادقة فتكون للمؤمن ، وقد بين النبي ﷺ أن الرؤيا الصالحة جزء من النبوة ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : «الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة» رواه البخاري[١] .

وبين النبي ﷺ ما يفعله من رأى في منامه ما يكرهه ، وما يفعله من رأى ما يسره ، فعن أبي سلمة رضي الله عنه قال : « إن كنت لأرى الرؤيا تمرضني قال فلقيت أبا قتادة فقال : وأنا كنت لأرى الرؤيا فتمرضني حتى سمعت رسول الله ﷺ يقول : الرؤيا الصالحة من الله فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث بها إلا من

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (٦٩٨٩) .

يحب ، وإن رأى ما يكره فليتفل عن يساره ثلاثا ، وليتعوذ بالله من شر الشيطان وشرها ، ولا يحدث بها أحدا فإنها لن تضره » رواه البخاري ومسلم[1] . والله أعلم .

العذر بالجهل

١١٠ - سائل يقول :

هل يعذر الإنسان بجهله في الأمور الشركية ، مثل الغلو في الصالحين ، والطواف بالقبور ، وهل يشمل قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨] جميع أنواع الشرك ؟ أم هناك تفصيل؟ أفتونا مأجورين .

الجواب :

إذا توفرت للإنسان أسباب العلم والمعرفة ورفع الجهل ولكنه قصر، فإنه لا يعذر بجهله في أمور الشرك ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨] ، والمراد بذلك الشرك الأكبر.

ويعذر الإنسان بوقوعه في الشرك الأكبر ، إذا كان حديث عهد بإسلام ، أو في مكان لا يتوافر فيه من يقوم بتعليم أمور الدين.

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (٦٦٣٧) ؛ وصحيح مسلم ، رقم (٢٢٦١) .

وعمومًا فالحكم بالعذر بالجهل يختلف باختلاف البلاغ وعدمه ، وباختلاف المسألة نفسها وضوحًا وخفاء ، وتفاوت مدارك الناس قوة وضعفًا.

فمن استغاث بأصحاب القبور دفعًا للضر ، أو كشفًا للكرب بُين له أن ذلك شرك، وتقام عليه الحجة؛ أداءً لواجب البلاغ، فإن أصر بعد البيان فهو مشرك يعامل في الدنيا معاملة الكافرين، واستحق العذاب الأليم في الآخرة إذا مات على ذلك، قال الله تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء:١٦٥] ، وقال تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء:١٥] ، وقال سبحانه: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ [الأنعام:١٩] ، وثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: « والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار » رواه مسلم . إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على وجوب البيان وإقامة الحجة قبل المؤاخذة.

ومن عاش في بلاد يسمع فيها الدعوة إلى الإسلام وغيره ، ثم لا يؤمن ، ولا يطلب الحق من أهله ، فهو في حكم من بلغته الدعوة الإسلامية ، وأصر على الكفر، ويشهد لذلك عموم حديث أبي هريرة رضي الله عنه المتقدم، كما يشهد له ما قصه الله تعالى من نبأ

قوم موسى إذ أضلهم السامري فعبدوا العجل، وقد استخلف فيهم أخاه هارون عند ذهابه لمناجاة الله، فلما أنكر عليهم عبادة العجل ، ﴿قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَـٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ [طه :٩١] ، فاستجابوا لداعي الشرك، وأبوا أن يستجيبوا لداعي التوحيد، فلم يعذرهم الله في استجابتهم لدعوة الشرك ، والتلبيس عليهم فيها؛ لوجود الدعوة للتوحيد إلى جانبها مع قرب العهد بدعوة موسى إلى التوحيد.

ويشهد لذلك أيضًا : ما قصه الله من نبأ الشيطان لأهل النار ، وتخليه عنهم وبراءته منهم ، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم:٢٢] .

أما من عاش في بلاد غير إسلامية ولم يسمع عن النبي ﷺ ولا عن القرآن والإسلام فهذا - على تقدير وجوده - حكمه حكم أهل الفترة ، يجب على علماء المسلمين أن يبلغوه شريعة الإسلام أصولًا وفروعًا ، إقامة للحجة ، وإعذارًا إليه، ويوم القيامة يعامل معاملة من لم يكلف في الدنيا لجنون أو صغر ، والله أعلم .

العذر بالجهل

١١١ - سائل يقول :

بعض طلاب العلم يرون الحكم بالشرك على من يدعون غير الله ويستعينون به ، والبعض الآخر يرون عذرهم بالجهل ويقولون إن فعلهم شرك وليسوا بمشركين ، فنرجو توضيح الحكم .

الجواب :

الذين يأتون أصحاب القبور ، ويطلبون منهم المدد والعون ، لا شك أن عملهم شرك أكبر، أما الحكم عليهم بأنهم مشركون ففيه تفصيل :

الذي لا يدري عن حكم هذه الأمور ، ولا يعلم بأن ما يفعله شرك ، ولم يُبلغه أحدٌ بذلك ، ويظن أن هذا هو الحق ، وهو يشهدُ أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، فهذا قد يعذر بجهله ؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء:١٥] وهذا من عدله سبحانه وتعالى، وأنه لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه بإرسال الرسول إليه ، كما قال تعالى: ﴿ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴾ [الملك: ٨، ٩]، وكذا قوله تعالى : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ

لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر:٧١]، وقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧] . لكنهم على خطر من جهة تقصيرهم في السؤال عن ما يلزمهم العلم به من أمور دينهم .

وأما من بلغه النهي ، وأقيمت عليه الحجة ، ووضح له أن هذه الأفعال منهي عنها ، وأنها شرك ، ومع ذلك يصر عليها ويعاند ، فلا شك أنه مشرك ، وهو غير معذور ؛ لأنه تبين له الصواب ، وأُرشد إلى الحق، لكنه أصر على اتباع من يُحسّنون له هذه الأمور، ولو شهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، وصلى وصام وحج البيت ؛ لأن الشرك إذا دخل في العبادة أبطلها، والله سبحانه وتعالى يقول لنبيه : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الزمر:٦٥-٦٦] ، والله أعلم.

أهل الصُّفَّة

١١٢ - سائل يقول :

من هم أهل الصفة ؟ وهل نزل فيهم شيء من القرآن؟

الجواب :

أهل الصفة هم مجموعة من أصحاب رسول الله ﷺ هاجروا إليه ، وآمنوا به ، ونزلوا في مسجده ﷺ ، والصفة مكان في مؤخر المسجد النبوي مظلل أعد لنزول الغرباء فيه ممن لا مأوى لهم ولا أهل ، وكانوا يكثرون فيه ويقلون بحسب من يتزوج منهم أو يموت أو يسافر ، وقد سرد أسماءهم أبو نعيم في « الحلية » فزادوا على المائة .

وكان رسول الله ﷺ يرسل إليهم ما يستطيع من طعام وغذاء، فيخصهم بما يأتيه من الصدقة لا يتناول منها شيئًا ، ويشركهم في الهدية ، وكان ﷺ يندب الموسرين من أصحابه بأن يتصدقوا عليهم ويستضيفوهم ، فينالون ما يدفع عنهم الجوع ، وقد عاشوا أيامًا عصيبة ذاقوا فيها طعم الجوع ، وعانوا من الحر والقر ؛ لأن الصفة لم يكن يعلوها سوى مظلة من جريد النخيل ، وقد وصف بعض الصحابة من أهل الصفة معاناتهم ، ومن ذلك حديث خباب بن الأرت قال : « هاجرنا مع رسول الله ﷺ نبتغي وجه الله فوجب أجرنا على الله ومنا من مضى أو ذهب لم يأكل من أجره شيئا كان منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد لم يترك إلا نمرة كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه وإذا غطي بها رجلاه خرج رأسه فقال لنا النبي ﷺ غطوا بها رأسه واجعلوا على رجله الإذخر أو قال ألقوا على رجله من الإذخر ومنا من قد أينعت له ثمرته فهو يهدبها »

رواه البخاري ومسلم[١] .

ومن ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : « لقد رأيتني وإني لأخر فيما بين منبر رسول الله ﷺ إلى حجرة عائشة مغشيًا علي، فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقي ويرى أني مجنون ، وما بي من جنون إلا الجوع » رواه البخاري[٢] .

ويذكر الطبري في تفسير هذه الآية عن مجاهد والسدي وغيرهما أن الآية : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٧٣] نزلت في فقراء المهاجرين بالمدينة . والله أعلم .

حكم البيعة في الإسلام

١١٣ – سائل يقول :

ما حكم البيعة في الإسلام ؟

الجواب :

البيعة هي عهد على الطاعة للحاكم المسلم ، وهي واجبة على

(١) صحيح البخاري ، رقم (٣٧٠١) ، وصحيح مسلم ، رقم (٩٤٠) .
(٢) صحيح البخاري ، رقم (٦٨٩٣) .

جميع المسلمين في الدولة الإسلامية ، إذا وجد الحاكم المسلم الملتزم بالشريعة الإسلامية .

وقد حذر النبي ﷺ من التهاون في أمر البيعة ، فقال : «من مات وليس في عنقه بيعة لإمام مات ميتة جاهلية» أخرجه مسلم[1] .

أما إذا كان الحاكم غير مسلم ، أو لا يحكم بالإسلام ، أو ادعى أحد الحكم وهو غير ممكن، فلا تجب البيعة له ؛ لفقد شروطها. والله أعلم .

النبي والرسول

١١٤ - سائل يقول:

ما الفرق بين النبي والرسول ؟ وهل الأنبياء في منزلة واحدة أم بينهم تفاوت؟

الجواب:

اختلف العلماء في الفرق بين النبي والرسول ، ومما ذكره بعضهم أن الرسول هو من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه ، فإن لم يؤمر بالتبليغ فهو نبي ، وعلى هذا فكل رسول نبي بلا عكس .

ومنازل الأنبياء تتفاوت ، وكذلك الرسل، فبعضهم أفضل

---

(١) صحيح مسلم ، رقم (١٨٥١) .

من بعض، وقد كانت الفضيلة الكبرى لنبينا محمد ﷺ ، خاتم الأنبياء والمرسلين ، فهو أفضلهم على الإطلاق، وهو ﷺ أفضل الخلق أجمعين والرسل أفضل من الأنبياء، فالنبي الرسول أفضل من النبي، وأولوا العزم أفضل الرسل، وهم خمسة: نوح ، وموسى، وعيسى ، وإبراهيم ، ومحمد ، ومحمد ﷺ أفضل الخمسة من أولي العزم صلى الله عليهم أجمعين، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع» رواه مسلم[1] . وغير ذلك من الأحاديث التي تدل على تفضيله ﷺ على الخلق أجمعين بما فيهم الأنبياء والرسل ، لا ينازع في فضله أحد ، قال بعضهم:

وأفضل الخلق على الإطلاق نبينا فمل عن الشقاق

لكن ينبغي أن يعلم أن النبي ﷺ نهى عن أن يفاضل بين الأنبياء ففي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تخيروا بين الأنبياء » رواه البخاري ومسلم[2].

فصلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(١) صحيح مسلم ، رقم (٢٢٧٨) .

(٢) صحيح البخاري ، رقم (٦٩١٦) ؛ صحيح مسلم ، رقم (٢٣٧٤) .

فضائل الصحابة

حكم الاستهزاء بصحابة رسول الله ﷺ

١١٥ - سائل يقول :

يقع بعض الناس في الاستهزاء بصحابة رسول الله ﷺ ، متهاونين في ذلك ، أو جهلًا منهم . نرجو منكم الحكم في هذا الموضوع مأجورين .

الجواب :

أثنى الله جل وعلا على الصحابة رضوان الله عليهم في القرآن الكريم وزكاهم، فقال سبحانه في قصة غزوة تبوك : ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١١٧] ، وقال سبحانه : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟

ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح :٢٩] ، وقال سبحانه : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة :١٠٠] ، وقال جل جلاله : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر : ٨-١٠].

وقال ﷺ: « لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » رواه مسلم[1] ، وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم »[2] ، وقال ﷺ : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي »[3] .

وأجمع العلماء على عدالتهم ، وصنفوا في ذلك المصنفات

(١) صحيح مسلم ، رقم (٢٥٤٠) .

(٢) صحيح البخاري ، رقم (٢٦٥٢) ، وصحيح مسلم ، رقم (٢٥٣٣) .

(٣) رواه أحمد في مسنده ، رقم (١٧١٤٢) ؛ والترمذي ، رقم (٢٦٧٦) وحسنه ؛ وابن ماجه ، رقم (٤٢) .

تعريفًا بهم ، وبيانًا لفضلهم وأثرهم على الأمة .

ولا شك أن سب الصحابة محرم يفسق صاحبه .

قال الإمام أحمد : « لا يجوز لأحد أن يذكر شيئًا من مساوئهم ولا يطعن على أحد منهم بعيب ، ولا بنقص ، فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته ، ليس له أن يعفو عنه ، بل يعاقبه ويستتيبه ، فإن تاب قبل منه ، وإن ثبت عاد عليه بالعقوبة ، وخلده الحبس حتى يموت أو يرجع » .

بل ذهب بعض أهل العلم إلى تكفير من سبهم ، قال ابن كثير رحمه الله : « ذهب طائفة من العلماء إلى تكفير من سب الصحابة وهو رواية عن مالك بن أنس » .

وقال النووي : « اعلم أن سب الصحابة رضي الله عنهم حرام من فواحش المحرمات ، سواء من لابس الفتنة منهم وغيره ؛ لأنهم مجتهدون في تلك الحروب متأولون ... قال القاضي : وسب أحدهم من المعاصي الكبائر ، ومذهبنا ومذهب الجمهور أنه يعزر ، ولا يقتل ، وقال بعض المالكية : يقتل » .

ومن تكلم في الصحابة فهو على خطر عظيم ، فقد كان النبي ﷺ في أحد غزواته ، وتكلم بعض المنافقين الذين كانوا مع النبي ﷺ - وهم مع النبي وهم منافقون - فقالوا : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أجبن لقاءًا ، وأرغب بطونًا، وأكذب ألسنًا – يعنون صحابة رسول

الله ﷺ - فأنزل الله تعالى : ﴿ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ ﴾ [التوبة : ٦٦][1] .

والصحابة رضي الله عنهم هم الذين نقلوا حديث الرسول ﷺ، فحفظوا لنا الدين، فإذا طُعن فيهم ، فماذا يبقى من الإسلام ، فمن يستهزئ بهم فهو على خطر عظيم ، وما وقع من الخلافات التي وقعت بينهم ، فهم مجتهدون ، وقصدهم إن شاء الله صالح، فنحن نعتذر عنهم، ولا يجوز أن نطعن فيهم.وبالله التوفيق.

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، للطبري ، رقم (١٦٩١٢) .

الدعوة إلى الله عز وجل

كلمة في
الدعوة إلى الله

١١٦ - الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد : فقد سألني بعض الإخوة الدعاة أن أكتب لهم كلمة حول الدعوة إلى الله تعالى ، وما ينبغي على الدعاة والمدعوين ، فأقول وبالله التوفيق:

إن الدعوة تقوم على أركان ثلاثة هي :

الركن الأول : **الداعي** : وهو الشخص الذي يقوم بتبليغ الإسلام للناس وتعليمهم إياه ، وبيان كيفية تطبيقه ، ينبغي أن تتوفر فيه أمور عدة من أهمها :

١ - أن يكون ملتزمًا عاملًا بأحكام الإسلام ؛ لأن الناس لا تقبل دعوة الداعي المخالف لما يدعو إليه . وقد قال ربنا جل وعلا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الصف:٢-٣] .

٢ - أن يكون عالمًا بما يدعو إليه ؛ لتكون دعوته على بصيرة ،

كما قال سبحانه : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٨]. ولما بعث النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن علمه ما يدعو إليه ، وقال له : « إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى ، فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أموالهم ، تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم ، فإذا أقروا بذلك فخذ منهم ، وتوق كرائم أموال الناس » رواه البخاري ومسلم[١] .

٣ – أن يكون حكيمًا في دعوته ؛ لأن من يفتقد الحكمة في دعوته قد يسئ إلى الدعوة من حيث يظن أنه يحسن ، وقد أمر الله تعالى في كتابه بذلك ، فقال سبحانه : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ [النحل:١٢٥] ؛ ولأن النفوس لا تقبل إلا من يحسن سياستها، ويرفق بها ويختـار وقت إقبالها ، وحسبنا في ذلك أسوة سيدنا محمد ﷺ .

٤ – أن يكون صابرًا على ما يلحقه في سبيل دعوته ؛ لأن من شأن الداعي أن تعترض طريقة العقبات والصعاب فيحسن به الصبر عليها واحتساب أجره عند الله تعالى .

٥ – أن يكون رفيقًا لينًا مع الناس في دعوته ، عملًا بقوله

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (١٤٥٨) ؛ وصحيح مسلم ، رقم (١٩) .

سبحانه لموسى وأخيه هارون عليهما السلام : ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه:٤٤] ، وقوله سبحانه عن نبينا محمد ﷺ : ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران:١٥٩].

الركن الثاني : المدعو : وهو من توجه إليه الدعوة ، والمدعوون أصناف ثلاثة :

١ – المسلمون : وهم عدة أصناف من حيث قوة إيمانهم وضعفه ، والتزامهم وتفريطهم وجهلهم وعلمهم ، ويجب على الداعي أن يعرف مواطن الخلل والتقصير عند كل صنف ليقدم إليه الدعوة التي تناسبه .

٢ – الكفار : وهم يختلفون من أهل كتاب إلى وثنيين إلى ملاحدة إلى مرتدين .

٣ – المنافقون : وهم من يبطن الكفر ويظهر الإسلام .

فيدعو كل فريق بما يناسبه ، وهذا باب يطول شرحه وبيانه ، لكن المقصود هو أن يتعرف الداعي على حال المدعوين ، وفي حديث معاذ السابق ما يدل على مراعاة هذا الجانب ، فإن النبي ﷺ قال لمعاذ : « إنك تأتي قومًا أهل كتاب »[1] فبين له ﷺ حال المدعوين.

الركن الثالث: الدعوة: وهي دين الإسلام بمختلف أحكامه

---

(١) تقدم تخريجه بالفتوى رقم (١٤) .

وتشريعاته وآدابه .

وينبغي على الداعي أن يكون أول ما يبدأ به نفسه وذلك بإجابة داعي الله والالتزام بأوامره واجتناب نواهيه .

وأولى الناس بالدعوة هم الأقربون منه ؛ لقوله تعالى ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] ، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦] . يبدأ بأقرب المقربين إليه ، الوالدين والزوجة والأبناء ، ثم الأقرب فالأقرب ، ثم جيرانه ، ثم بقية الناس جميعهم حسب علمه واستطاعته . والله الموفق .

الدعوة إلى الله

١١٧ - سائل يقول:

ما توجيهكم للدعاة إلى الله تعالى ؟ وبم تنصحونهم ؟

الجواب:

الواجب على من منَّ الله عليه بالعلم النصح للمسلمين ودعوتهم إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة ، يقول الله عز وجل : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت:٣٣] ، وينبغي أن يكون كلامه كلامًا لينًا ، فالكلام اللين أقرب للقبول من غيره، وقد قال الله عز وجل لموسى

وهارون عليهما السلام: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤]،وفرعون هو أكفر أهل الأرض في وقته، وادعى الربوبية وقال: أنا ربكم الأعلى ، وقال: ما لكم من إله غيري، وليس هناك أعظم من هذا الكفر، فإذا كان الله قد أمر باللين مع من هذا حاله، فالمسلمون أولى وأحق باللين في دعوتنا لهم، قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥].

وينبغي التبشير والتيسير وتجنب التنفير والتعسير، فقد جاء في الحديث عن أبي موسى رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ إذا بعث أحدًا من أصحابه في بعض أمره قال : بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا» رواه مسلم[١] .

وكذلك ينبغي على الداعية أن يراعي في خطابه حال المدعوين، ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة، فعن أبي أمامة رضي الله عنه أن فتى من قريش أتى النبي ﷺ فقال : « يا رسول الله ائذن لي في الزنا ، فأقبل القوم عليه وزجروه ، فقالوا: مه مه ، فقال: ادنه فدنا منه قريبًا ، فقال: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله جعلني الله فداك ، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك ، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله

(١) صحيح مسلم ، رقم (١٧٣٢) .

فداك ، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم ، قال: أتحبه لعمتك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك ، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم؟ قال: أتحبه لخالتك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك ، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم ، قال: فوضع يده عليه ، وقال: اللهم اغفر ذنبه ، وطهر قلبه ، وحصن فرجه ، قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء» رواه أحمد والطبراني في الكبير[1] .

وينبغي أيضًا في الدعوة إلى الله مخاطبة الناس بما يفهمونه فعن علي رضي الله عنه قال: «حدثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله» رواه البخاري[2] . وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة » رواه مسلم[3] . والوصايا في هذا الباب كثيرة ، ولعل في هذه الإشارة ما يكفي . والله أعلم.

دور العلماء في بيان العقيدة

١١٨ - سائل يقول :

ما دور العلماء والدعاة والمصلحين في بيان العقيدة ؟

---

(١) مسند أحمد ، رقم (٢٢٢١١) ؛ والطبراني ، رقم (٧٦٧٩) .

(٢) صحيح البخاري ، رقم (١٢٧) .

(٣) صحيح مسلم ، رقم (٥) .

الجواب :

دور العلماء والدعاة والمصلحين في بيان العقيدة دور كبير ، فالواجب عليهم أن يقدموا العقيدة الصحيحة الصافية على كل شيء ، وخاصة توحيد الله عز وجل ، فهو أصل الإيمان .

وذلك لأن المسلم لو مات على توحيد الله تعالى ، لا يشرك به شيئًا ، فمهما كان عليه من الذنوب والخطايا فإن مآله إلى الجنة ، يقول تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨].

بينما الإنسان الذي يموت على غير توحيد الله عز وجل ، مهما كثرت عباداته من صلاة وصيام وصدقات وحج وعمرة ، ولكنه يدعو غير الله ، فهذا والعياذ بالله مأواه النار ؛ لقوله تعالى : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الزمر :٦٥] ؛ ولقوله تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان :٢٣] ، ويقول سبحانه: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٧] سماه الله كفرًا، وهؤلاء مثل الذين يدعون أصحاب القبور من دون الله ، نسأل الله أن يمن علينا وعليكم بالإخلاص، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

براءة ذمة الناصح

١١٩ - سائل يقول:

ما الواجب على المسلم تجاه من يراهم على معصية وضلالة ؟

الجواب:

الواجب على المسلم أن ينصح أخاه ، فالمسلم أخو المسلم ، والدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، وإذا بذل المسلم النصيحة برئت ذمته ، والهداية بيد الله يمن بها على من يشاء، وليس كل داع يستجاب لدعوته، فرسول الله ﷺ أعرض عن دعوته أقرب الناس إليه، ومن كان يذب عنه ويحميه، ويبذل دونه نفسه وماله، وهو عمه أبو طالب، ففي حديث سعيد بن المسيب عن أبيه رضي الله عنه قال : « لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة فقال رسول الله ﷺ : يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله ، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة ، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم : هو على ملة عبد المطلب ، وأبى أن يقول لا إله إلا الله ، فقال رسول الله ﷺ: أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك ، فأنزل الله عز وجل:﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ [التوبة:١١٣]،

وأنزل الله تعالى في أبي طالب قوله تعالى مخاطبًا نبيه ﷺ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص: ٥٦]» رواه البخاري ومسلم[1]، فتبرأ النبي ﷺ من عمه، كما تبرأ إبراهيم من أبيه وقومه، فالهداية بيد الله سبحانه وتعالى.

نصيحة للمسلمين في الباكستان[2]

١٢٠ - الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد رغب إلينا جمع من إخواننا الباكستانيين الغيوريين على دينهم وأمتهم وبلادهم أن نكتب نصيحة لإخواننا المسلمين في جمهورية باكستان من أجل الأحداث الجارية الآن في مدينة إسلام آباد.

فنقول لهم ولعامة إخواننا المسلمين:

إن الله جل وعلا بعث نبيه محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، بعثه رحمة للعالمين،

---

(١) صحيح البخاري، رقم (١٣٦٠)؛ وصحيح مسلم، رقم (٢٤).

(٢) كتب حفظه الله هذه النصيحة في ١٢/ ٤/ ١٤٢٨هـ، وترجمت للأوردية والإنجليزية ونشرت في الصحف الباكستانية وعدد من الصحف العالمية.

وهدى للناس أجمعين ، فجمع الله به الناس بعد الفرقة ، وألف بين قلوب المؤمنين،فصاروا بنعمة الله إخوانًا متحابين، كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

ولقد حذر ربنا جل وعلا من التنازع والاختلاف ، فقال سبحانه : ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال:٤٦] . كما حذر النبي ﷺ أمته من الفرقة والاختلاف ، والتنازع والتناحر، فقال ﷺ: « لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض» رواه البخاري ومسلم[1] .

وإن الواجب على علماء الأمة وقادتها وعموم المسلمين أن يتحدوا صفًا واحدًا نصرة لهذا الدين ، ورفعًا لشأنه ، وإعلاء لكلمته ، وحفظًا لأهله ، ورعاية لمصالحه .

فعلى القادة الالتزام بأحكام الشرع ، وتطبيقه بين المسلمين ، وتحقيق العدل بينهم ، ورفع الظلم عنهم .

وعلى العلماء وطلبة العلم ، وعموم المسلمين السمع والطاعة لهم بالمعروف ، وعدم شق عصا الطاعة على الحاكم المسلم ، والصبر على جوره ، عملًا بقوله ﷺ : «تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك ، فاسمع وأطع » رواه مسلم[2] .

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (١٢١) ؛ صحيح مسلم ، رقم (٦٥) .

(٢) صحيح مسلم ، رقم (١٨٤٧) .

فبطاعتهم تحفظ الأنفس والأعراض والأموال ، وتقام شعائر الدين ، ويكبت الأعداء ، وتصان الحرمات ، وعلى هذا الهدي والمنهج كان أئمة الإسلام من الصحابة والتابعين، ومن جاء بعدهم من الأئمة ، كالإمام أبي حنيفة النعمان، والإمام مالك بن أنس ، والإمام الشافعي ، والإمام أحمد بن حنبل ، وغيرهم من أئمة الإسلام .

أيها المسلمون :

ارجعوا لكتاب ربكم ، وتمسكوا بسنة نبيكم ﷺ ، واحذروا من الفرقة والاختلاف ، وشق عصا الطاعة لمن ولاه الله أمركم من المسلمين .

واعلموا أن قتل النفس المعصومة من أعظم المحرمات ، ومن السبع الموبقات، يقول الله عز وجل : ﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا** ﴾ [النساء:٩٣] . وصح عن النبي ﷺ أنه قال : « اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا : يا رسول الله، وما هن ؟ قال : الشرك بالله، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات » رواه البخاري ومسلم[1] ، وقال ﷺ: « لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ، ما لم يصب دمًا حرامًا » رواه

(١) صحيح البخاري ، رقم (٢٧٦٦) ، صحيح مسلم ، رقم (٨٩) .

البخاري[1] ، فقد حرم الإسلام الإقدام على قتل الغير ، كما حرم أيضًا الإقدام على قتل النفس ، فقال جل وعلا : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [النساء : ٢٩-٣٠] ، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِۛ وَأَحْسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة:١٩٥] .

وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه : « أن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون ، فاقتتلوا ، فلما مال رسول الله ﷺ إلى عسكره ، ومال الآخرون إلى عسكرهم ، وفي أصحاب رسول الله ﷺ رجل لا يدع لهم شاذة ولا فاذة إلا اتبعها ، يضربها بسيفه ، فقالوا : ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان ، فقال رسول الله ﷺ : أما إنه من أهل النار . فقال رجل من القوم : أنا صاحبه ، قال : فخرج معه ، كلما وقف وقف معه ، وإذا أسرع أسرع معه، قال: فجرح الرجل جرحًا شديدًا ، فاستعجل الموت ، فوضع نصل سيفه بالأرض ، وذبابه بين ثدييه ، ثم تحامل على سيفه ، فقتل نفسه ، فخرج الرجل إلى رسول الله ﷺ، فقال : أشهد أنك رسول الله ، قال : وما ذاك ؟ قال : الرجل الذي ذكرت آنفا أنه من أهل النار ، فأعظم الناس ذلك ، فقلت : أنا لكم به ، فخرجت في طلبه ، ثم جرح جرحًا شديدًا ، فاستعجل الموت ،

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (٦٨٦٢) .

فوضع نصل سيفه في الأرض ، وذبابه بين ثدييه ، ثم تحامل عليه ، فقتل نفسه ، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك : إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس ، وهو من أهل النار ، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس ، وهو من أهل الجنة »[١] .

أيها العلماء والدعاة والإخوة والأخوات :

أوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل ، وجمع كلمة المسلمين على الحق ، والحذر من الفرقة والتنازع ، فإن أعداء الأمة الإسلامية كانوا ولا زالوا يتربصون بكم الدوائر ، ويحيكون المؤامرات والمخططات للوقيعة بين المسلمين ، وتفريق شملهم ، وجعلهم أحزابًا وطوائف ، يضرب بعضهم رقاب بعض . ولقد انكشف للعالم بأسره ما يكنه أعداء الإسلام لهذا الدين وأهله ، خصوصًا في هذه السنوات الأخيرة ، فاحذروا أن تكونوا عونًا لهم ، فإنهم والله يفرحون بضعفكم وفرقتكم .

ثم إنكم أيها الإخوة في بلد إسلامي عريق، هو قلعة الإسلام، كما قال الملك فيصل يرحمه الله ، وهو الدرع الواقي للمسلمين اليوم بإذن الله ، فقد انفردت بلادكم من بين سائر البلاد الإسلامية بسلاح أرهبت به أعداء الملة والدين ، فاحفظوا هذه النعمة ، واصرفوا هذه القوة على الأعداء ، واتحدوا ضدهم ، ممتثلين أمر الله سبحانه : ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (٢٨٩٨) ؛ وصحيح مسلم ، رقم (١١٢) .

عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [آل عمران :١٠٣].

وختامًا أوصيكم ونفسي وعامة إخواني المسلمين بوصية النبي المصطفى ﷺ ، فعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : «وعظنا رسول الله ﷺ يوما بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ، ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، فقال رجل : إن هذه موعظة مودع ، فماذا تعهد إلينا يا رسول الله ؟ قال : أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ، وإن عبد حبشي ، فإنه من يعش منكم يرى اختلافا كثيرًا ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإنها ضلالة ، فمن أدرك ذلك منكم ، فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ » رواه أبو داود ، والترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح[1] .

أسأل الله تعالى أن يجمع كلمة المسلمين على الحق والهدى ، ويرينا الحق حقًا ، ويرزقنا اتباعه ، ويرينا الباطل باطلًا ، ويرزقنا اجتنابه .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

---

(١) سنن أبي داود ، رقم (٤٦٠٧) ؛ وسنن الترمذي ، رقم (٢٦٧٦) .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

كلمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

١٢١ - الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ، وبعد :

فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل عظيم من أصول الإسلام ، وقد أولى القرآن الكريم والسنة النبوية هذا الأمر أهمية كبرى. قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١] . ففي هذه الآية يبين سبحانه أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تحقيق الولاية بين المؤمنين ، وأنه من أسباب النصر على الأعداء ، والتمكين في الأرض . قال تعالى : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج :٤٠] ، ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج:٤١] .

وفيه الأمن من الهلاك ، والمحافظة على المجتمعات ، فعن

النعمان ابن بشير رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ: « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ، فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا» رواه البخاري[1] .

وفيه دفع العذاب عن العباد . قال تعالى : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة:٧٨-٧٩] .

وهو مطلب مهم لمن أراد النجاة لنفسه. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف:١٦٤] .

وفيه التوفيق للدعاء والاستجابة . فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « والذي نفسي بيده لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهونَّ عن المنكر ، أو ليوشكنَّ اللهُ أن يبعث عليكم عقابًا منه ثم تدعونه فلا يُستجاب لكم » أحمد والترمذي[2] .

والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مكفرات

(١) صحيح البخاري ، رقم (٢٤٩٣) .

(٢) رواه أحمد ، رقم (٢٣٣٠١) ؛ والترمذي ، رقم (٢١٦٩) وحسنه .

الذنوب والخطايا ، ففي الحديث الصحيح عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: « فتنة الرجل في أهله ، وماله ، ونفسه ، وولده ، وجاره ، يكفرها الصيام ، والصلاة، والصدقة ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر »[1] .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أسباب الظفر بعظيم الأجور، وتكثير الحسنات، قال تعالى: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [النساء: ١١٤].

وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تحيا السنن وتموت البدع، ويضعف أهل الباطل والأهواء ، وهو من أبرز صفات المؤمنين وسماتهم، ومن أعظم الوسائل لقوتهم وتماسكهم . والغفلة عنه ، أو التهاون فيه ، أو تركه ، يجر إلى مفاسد كثيرة ، وأضرار جسيمة. يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة :٧٨-٧٩] . وفي الحديث عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم » رواه أحمد

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ، رقم (١٤٤) .

والترمذي وحسنه[١] .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية على عموم المسلمين ، إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٤].

وقد يكون فرض عين على واحد بعينه ، إذا لم يكن هناك من يعلم هذا المنكر إلا هو ، فيجب عليه إنكاره .

ويكون الإنكار بحسب القدرة عليه ، والإنكار بالقلب لا بد منه ، ولا يعذر فيه أحد ؛ فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » رواه مسلم[٢] .

ويتعين الرفق في الإنكار ، قال سفيان الثوري : لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فيه خصال ثلاث : رفيق فيما يأمر ، رفيق بما ينهى ، عدل بما يأمر ، عدل بما ينهى ، عالم بما يأمر، عالم بما ينهى .

فإذا كانت له القدرة على التغيير باليد مثل ولي الأمر ، أو من

(١) تقدم تخريجه في نفس الفتوى .

(٢) صحيح مسلم ، رقم (٤٩) .

ينوب عنه ، فقد وجب عليه تغييره باليد ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع بلسانه ، فجب عليه الإنكار بقلبه ، وذلك أضعف الإيمان . نسأل الله تعالى أن يوفقنا لمرضاته ، والعمل بكتابه ، وبسنة نبيه ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الإنكار بالقلب

١٢٢ - سائل يقول :

أخبرنا الرسول ﷺ بأن إنكار المنكر بالقلب هو أضعف الإيمان فهل من لا ينكر بقلبه المنكر لا يكون مؤمنًا؟ وكيف يكون الإنكار بالقلب ؟مأجورين .

الجواب :

جاء في الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » أخرجه مسلم[1] .

والإنكار بالقلب معناه : فليكرهه بقلبه ، وليس ذلك بإزالة وتغيير منه للمنكر ، ولكنه هو الذي في وسعه .

وذلك أضعف الإيمان : أي أضعف أعمال الإيمان المتعلقة

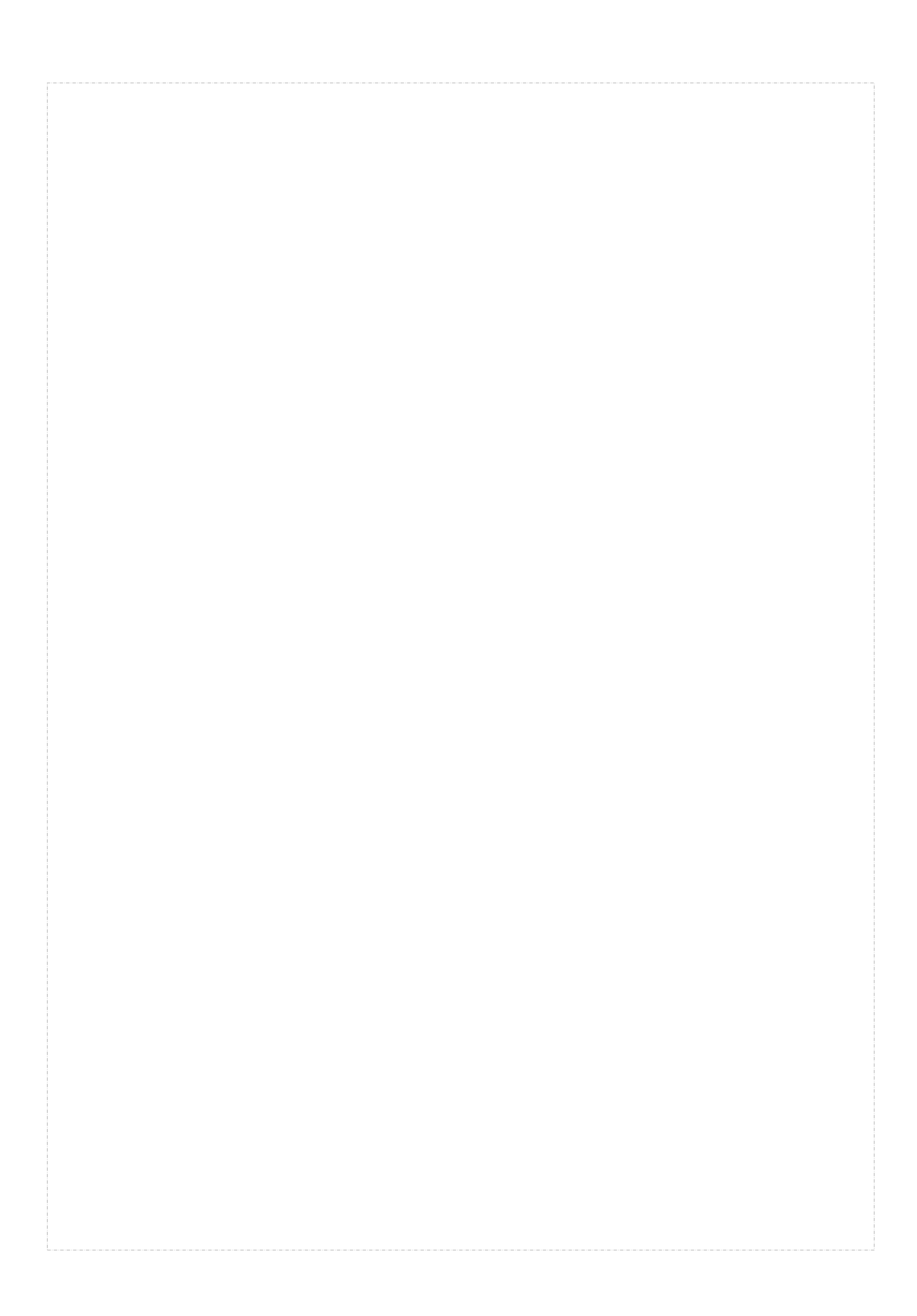
(١) صحيح مسلم ، رقم (٤٩) .

بإنكار المنكر في ذاته ، لا بالنظر إلى غير المستطيع ، فإنه بالنظر إليه هو تمام الوسع والطاقة وليس عليه غيره .

وليس معنى ذلك أن الذي لا ينكر بقلبه لا يكون مؤمنًا ، فقد يفعل المؤمن بنفسه المنكر ، ويكون بذلك عاصيًا ناقص الإيمان ، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن» رواه البخاري ومسلم[1] . فقد حمل أهل السنة الإيمان هنا على الكامل، أي لا يكون كامل الإيمان حين يقع في هذه المعاصي . والله أعلم .

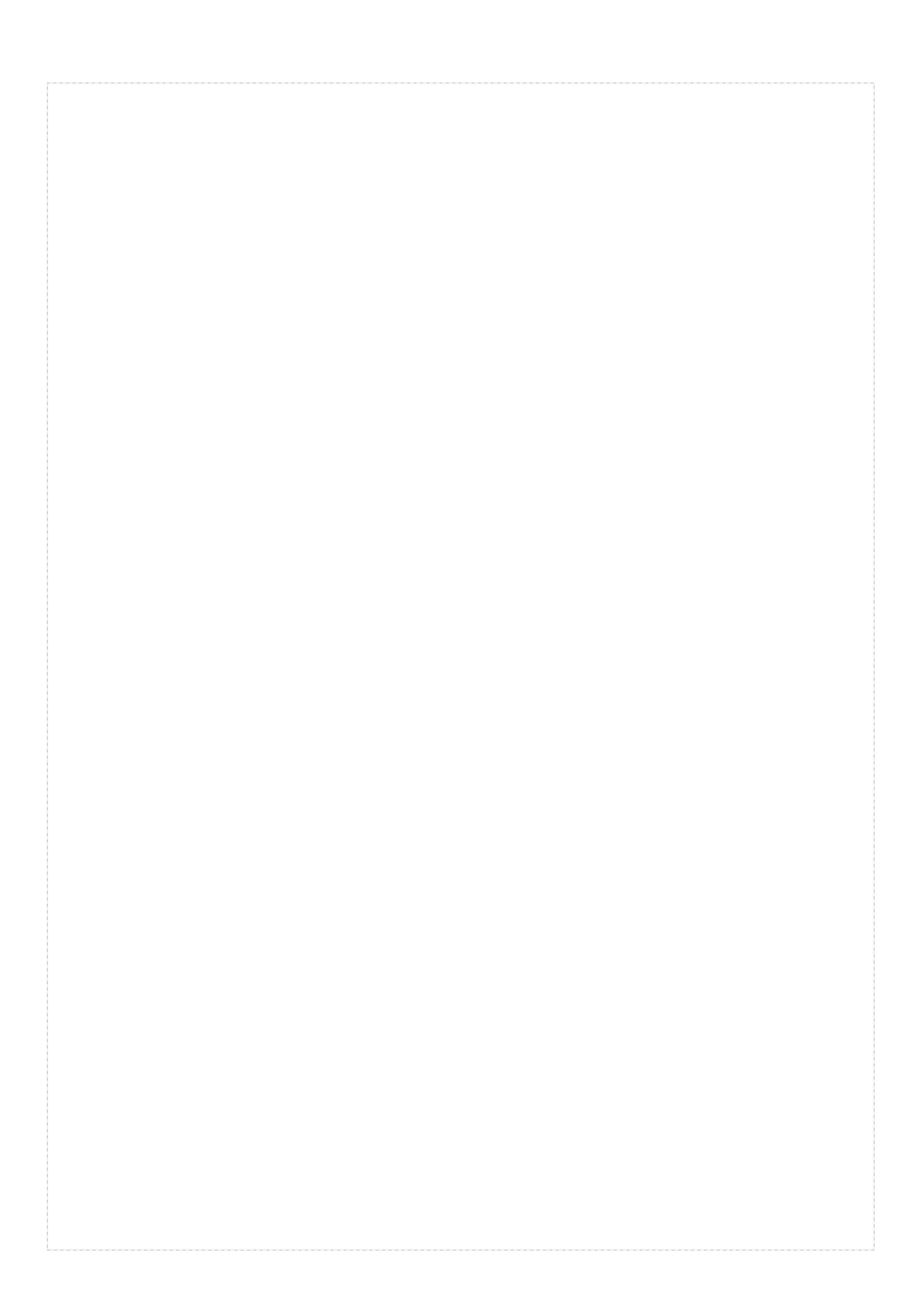
* * *

(١) صحيح البخاري ، رقم (٢٤٧٥) ؛ صحيح مسلم ، رقم (٥٧) .



(٢)

التفسير وعلوم القرآن



تفسير قوله تعالى

﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾

١٢٣ - سائل يقول:

ما معنى قوله تعالى: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾[البقرة:١١٥] ؟

الجواب:

يقول ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية : قبلة الله أينما توجهتَ شرقًا أو غربًا . وقال مجاهد : قبلة الله ، حيثما كنتم فلكم قبلة تستقبلونها : الكعبة .

وقال آخرون: نزلت هذه الآية على النبي ﷺ ، إذنا من الله عز وجل له أن يصلي التطوع حيث توجه وجهه من شرق أو غرب ، في مسيره في سفره ، وفي حال المسايفة ، وفي شدة الخوف ، والتقاء الزحوف في الفرائض. وأعلمه أنه حيث وجه وجهه فهو هنالك ، بقوله:﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ [البقرة:١١٥].

وذلك لما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يصلي حيث توجهت به راحلته ، ويذكر أن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك، ويتأول هذه الآية : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾[البقرة:١١٥] » رواه أحمد[١] .

(١) مسند أحمد ، رقم (٤٧١٤).

تفسير قوله تعالى :

﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾

١٢٤ - سائل يقول :

يقول الله تعالى في كتابه الكريم : ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [البقرة:٢٢٩] نرجو منكم أن تشرحوا لنا هذه الآية .

الجواب :

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية :

« هذه الآية الكريمة رافعة لما كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام، من أن الرجل كان أحق برجعة امرأته، وإن طلقها مائة مرة ما دامت في العدة، فلما كان هذا فيه ضرر على الزوجات قصرهم الله عز وجل إلى ثلاث طلقات، وأباح الرجعة في المرة والثنتين، وأبانها بالكلية في الثالثة، فقال: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ .

وسبب نزول هذه الآية ما رواه ابن جرير بسند صحيح إلى عروة بن الزبير رضي الله عنه قال : « أن رجلا قال لامرأته: لا أطلقك أبدًا ولا آويك أبدًا. قالت: وكيف ذلك؟ قال: أطلقك،

حتى إذا دنا أجلك راجعتك. فأتت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك ، فأنزل الله عز وجل: ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ ﴾ الآية »[١] .

وقوله: ﴿ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ ﴾ أي: إذا طلقتها واحدة أو اثنتين، فأنت مخير فيها ما دامت عدتها باقية، بين أن تردها إليك ناويًا الإصلاح بها والإحسان إليها، وبين أن تتركها حتى تنقضي عدتها، فتبين منك، وتطلق سراحها محسنًا إليها، لا تظلمها من حقها شيئًا، ولا تُضارّ بها .

وقوله: ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ ﴾ أي: لا يحل لكم أن تُضَاجِروهن وتضيّقوا عليهن ، ليفتدين منكم بما أعطيتموهن من الأصدقة أو ببعضه ، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ ﴾ [النساء:١٩] فأما إن وهبته المرأة شيئًا عن طيب نفس منها . فقد قال تعالى: ﴿ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ﴾ [النساء:٤] وأما إذا تشاقق الزوجان ، ولم تقم المرأة بحقوق الرجل وأبغضته ولم تقدر على معاشرته ، فلها أن تفتدي منه بما أعطاها، ولا حرج عليها في بذلها، ولا عليه في قبول ذلك منها ؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦ ﴾ .

(١) تفسير ابن كثير ، (١/ ٦١٠-٦١١) .

وقوله: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ أي: هذه الشرائع التي شرعها لكم هي حدوده ، فلا تتجاوزوها. كما روي في الحديث : « إن الله حد حدودًا فلا تعتدوها،وفرض فرائض فلا تضيعوها،وحرم محارم فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة لكم من غير نسيان، فلا تسألوا عنها»[1] انتهى . وبالله التوفيق .

معنى قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ ﴾

١٢٥ - سائل يقول :

ما معنى قوله تعالى ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء:٢٠] ؟

الجواب :

في هذه الآية الكريمة وسع الله تعالى على عباده بجواز الطلاق عندما تظهر مصلحته ، فقال سبحانه : ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ ﴾ أي تطليق زوجة ، وتزوج أخرى ، فلا جناح

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ، رقم (٧١١٤) .

عليكم في ذلك ، ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ﴾ ، أي المرأة المفارقة أو التي تزوجها ﴿قِنطَارًا﴾ أي مالًا كثيرًا ، ﴿فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ ، بل وفره لها ، ولا تماطلها به .

ثم قال سبحانه : ﴿أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ فإن هذا لا يحل ، ولو تحايلتم عليه بأنواع الحيل ، فإن إثمه واضح بين . والله أعلم.

تفسير قوله تعالى:
﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم﴾

١٢٦ - سائل يقول :

ما تفسير آية ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٢٢] ؟

الجواب :

هذه الآية ذكرها الله جل وعلا في بيان المحرمات في النكاح والتي لا يجوز للرجل الزواج بهن ، ومن ذلك زوجة الأب ، فإن الله جل وعلا حرم نكاحها ، وأبطلت هذه الآية ما كان عليه أهل الجاهلية حيث يتزوج الرجل امرأة أبيه بعد وفاته ، وهو نكاح المقت ، وقد نهت هذه الآية عنه وجعله الله فاحشة عظيمة ؛ لأنها

تعد من محارمه ، لكن عفا الله عما سبق من أمرهم . ومن فعل ذلك بعد الآية فإنه يحكم بقتله ؛ لحديث البراء رضي الله عنه قال : « مر بي خالي أبو بردة بن نيار ومعه لواء ، فقلت : أين تريد ؟ قال : بعثني رسول الله ﷺ إلى رجل تزوج امرأة أبيه أن آتيه برأسه » رواه أحمد وأصحاب السنن[1] . والله أعلم .

معنى قوله تعالى :

﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾

١٢٧ - سائل يقول :

ما معنى قوله تعالى : ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ﴾ [المائدة:٥]؟

الجواب :

أهل الكتاب هم اليهود والنصارى ، وطعامهم هنا بمعنى : ذبائحهم ، مثل بهيمة الأنعام الإبل والبقر أو الغنم . فذبائحهم هذه حلال لنا ، إلا أن تكون الذبيحة مما حرم الله كالخنزير ، فهذا لا يجوز أكله . وكذا إذا علمنا أنهم لا يذبحونها ذبحًا شرعيًا ، كما هو مشهور ومعلوم في هذا العصر، فقد يستعملون الصعق الكهربائي

---

(١) مسند أحمد ، رقم (١٨٥٥٧) ، والترمذي ، رقم (١٣٦٢) وحسنه ، والنسائي ، رقم (٣٣٣١) ، وابن ماجة ، (٢٦٠٧) .

ولا يستعملون الذبح ، فهذه حرام علينا وعليهم ، لا يحل أكلها ؛ لأنها ميتة ، وكذلك ما يفعله بعضهم من ضرب الحيوان المأكول في رأسه فيسقط على الأرض ، ويموت . فلا يجوز أكلها أيضًا ؛ لأنها موقوذة . والله أعلم .

تفسير قوله تعالى :
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ ﴾

١٢٨ - سائل يقول :

ما تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ١٠١] ؟

الجواب :

معنى الآية والله أعلم لا تسألوا عن أشياء إذا علم بها الشخص ساءته ، فالأولى الإعراض عنها وتركها، فلعلَّه قد ينزل بسبب سؤالكم تشديد أو تضييق ، وقد ورد في الحديث : «أعظم المسلمين جُرْمًا من سأل عن شيء لم يُحَرّم فحرم من أجل مسألته» متفق عليه[1] . ولكن إذا نزل القرآن بها مجملة ، فسألتم عن بيانها

---

(١)صحيح البخاري ، رقم (٧٢٨٩) ، صحيح مسلم ، رقم (٢٣٥٨) .

حينئذ، تبينت لكم لاحتياجكم إليها .

وسبب نزول هذه الآية ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: « كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء، فيقول الرجل: من أبي؟ ويقول الرجل تَضل ناقتُه: أين ناقتي؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ حتى فرغ من الآية كلها» رواه البخاري[1] .

وقد جاء النهي عن كثرة السؤال ، فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه : « أن رسول الله ﷺ كان ينهى عن قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال» رواه البخاري ومسلم[2] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال: « أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا ، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثا ، فقال رسول الله ﷺ : لو قلت نعم لوجبت ، ولما استطعتم ، ثم قال : ذروني ما تركتكم ، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم ، واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه » رواه مسلم[3] . والله أعلم.

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (٤٦٢٢) .

(٢) صحيح البخاري ، رقم (٥٩٧٥) ، صحيح مسلم ، رقم (١٧١٥) .

(٣) صحيح مسلم ، رقم (١٣٣٧) .

تفسير قوله تعالى :

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾

١٢٩ - سائل يقول :

ما تفسير هذه الآية من سورة الأنعام : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام :١٥٣] ؟

الجواب :

هذه الآية وصية الله لعباده المؤمنين ، ذكر الله سبحانه قبلها من الآيات في سورة الأنعام ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام:١٥١-١٥٢] فذكر فيها عشر وصايا، ثم قال سبحانه : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ . وأخبر فيها سبحانه وتعالى أن الطرق كثيرة، وأن طريق الله هو المستقيم،

وهذه الآية بينها حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «خط رسول الله ﷺ خطا بيده ، ثم قال : هذا سبيل الله مستقيمًا ، قال : ثم خط عن يمينه وشماله ، ثم قال هذه السبل ، وليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ، ثم قرأ: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾» رواه أحمد[١] . فالطرق كثيرة والفرق كثيرة، ولذا ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة ، قالوا : من هي يا رسول الله؟ قال : الذين هم على ما أنا عليه اليوم وأصحابي» رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه[٢] . فمن كان على هديه ﷺ وهدي أصحابه رضي الله عنهم ، فهؤلاء هم الناجون وهم الفرقة الناجية، أما الباقون فقد خرجوا عن سبيل الله المستقيم وصراطه القويم . والله أعلم .

---

(١) مسند أحمد ، رقم (٤٤٣٧) .

(٢) مسند أحمد ، رقم (٢٦٤١) ، سنن أبي داود ، رقم (٤٥٩٦) ، سنن الترمذي ، رقم (٢٦٤١) .

تفسير
﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾

١٣٠ - سائل يقول :

ما معنى قول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾؟

الجواب :

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال:٤٦].

ففي هذه الآية يبين الله تعالى لعباده المؤمنين آداب اللقاء ، وطريق الشجاعة عند مواجهة الأعداء، وهذا معطوف على الآية قبلها : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال:٤٥] ، أي : اثبتوا عند لقاء الأعداء ، وأكثروا من ذكر الله ، وأطيعوا الله ورسوله في كل أقوالكم وأعمالكم ، وفي سركم وجهركم ، وفي كل ما تأتون وما تذرون .

ونهاهم عن الاختلاف المؤدي إلى الفشل وضياع القوة بعد أمرهم بالثبات والمداومة على ذكر الله وطاعته .

والمراد بالتنازع هنا : الخصام والجدال والاختلاف المفضي إلى الفشل أي : الضعف .

والمعنى : كونوا – أيها المؤمنون – ثابتين ومستمرين على ذكر الله وطاعته عند لقاء الأعداء ، ولا تنازعوا وتختصموا وتختلفوا ، فإن ذلك يؤدي بكم إلى الفشل أي الضعف ، وإلى ذهاب دولتكم ، وهوان كلمتكم ، وظهور عدوكم عليكم ، واصبروا على شدائد الحرب ، وعلى مخالفة أهوائكم التي تحملكم على التنازع ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾بتأييده ومعونته ونصره .

والمتأمل في هاتين الآيتين يراهما قد رسمتا للمؤمنين في كل زمان ومكان الطريق التي توصلهم إلى الفلاح وإلى النصر .

وتأمران بمداومة ذكر الله ، لأن ذكر الله هو الصلة التي تربط الإنسان بخالقه الذي بيده كل شيء ، ومتى حسنت صلة الإنسان بخالقه ، صغرت في عينه قوة أعدائه مهما كبرت .

وتأمران بطاعة الله ورسوله ، حتى يدخل المؤمنون المعركة بقلوب نقية ، وبنفوس صافية ، لا مكان فيها للتنازع والاختلاف المؤدي إلى الفشل ، وذهاب القوة .

وتأمران بالصبر ، أي بتوطين النفس على ما يرضي الله ، واحتمال المكاره والمشاق في جلد . وهذه الصفة لا بد منها لمن يريد أن يصل إلى آماله وغاياته . وقوله سبحانه : ﴿وَلَا تَنَـٰزَعُواْ﴾ أي : لا تختلفوا، ﴿ فَتَفْشَلُواْ ﴾ أي: تجبنوا وتضعفوا، ﴿ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ قال مجاهد : نصرتكم. وقال السدي: جراءتكم وجدكم. وقال مقاتل ابن حيان:حدتكم.وقال النضر ابن شميل:قوتكم.وقال الأخفش:

دولتكم.

والريح بمعنى نفاذ الأمر وجريانه على المراد ، تقول العرب: هبت ريح فلان إذا أقبل أمره على ما يريد. والله أعلم .

تفسير قوله تعالى :

﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾

١٣١ - سائلة تقول :

ما تفسير قول الله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ [هود:٧] أفيدونا مأجورين.

الجواب :

هذه الآية من آيات صفات الله سبحانه وتعالى ، فالله سبحانه مستو على عرشه، وعرشه على الماء ، استواء يليق بجلاله وعظمته ، ويجب علينا الإيمان بهذا الاستواء على ظاهره بدون تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تأويل،كما قال الإمام مالك لما سئل عن الاستواء ، فقال للسائل : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، ولا أظنك إلا صاحب بدعة . والعرش طافٍ فوق الماء ، وفوق العرش الرب جل جلاله . وأنشد عبد الله بن رواحة هذه الأبيات ، وأقره النبي ﷺ :

شـــهدت بأن وعد الله حــق

وأن النـــار مثوى الكافــرينا

وأن العرش فــوق الماء طـاف

وفوق العرش رب العالمـــينا

وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة ، وعلينا أن نؤمن بهذا كله ، ونقول مثل ما قال الإمام الشافعي رحمه الله : نؤمن بما جاء عن الله ، على مراد الله ، ونؤمن بما جاء عن رسول الله ، على مراد رسول الله ﷺ . والله أعلم .

تفسير آية

﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ﴾

١٣٢ - سائل يقول :

أرجو تفسير هذه الآية وهي : ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾ [الرعد:١١] .

الجواب :

في هذه الآية الكريمة أخبر الله سبحانه وتعالى أنه جعل ملائكة تحفظ الإنسان وتحرسه من الأسواء ، ومن كل شر ، تكون بين يديه ومن خلفه ، أي من أمامه ومن ورائه ، يحفظونه ، كما قال

سبحانه : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾ [الانفطار:١٠-١١] ، وهم الحفظة لأعماله الذين يكتبون ما يعمله العبد ، وقد وكل الله بالعبد ملكين يكتبان، وملكين يحفظانه من أمر الله، سموا معقبات؛ لأنهم يتعاقبون كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « يتعاقبون فيكم ملائكة الليل وملائكة النهار ، ويجتمعون في صلاة الصبح وفي صلاة العصر، فَيَعْرُجُ الذين باتوا فيكم فيسألهم -وهو أعلم بكم -كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون، وتركناهم وهم يصلون» رواه البخاري ومسلم[1] ، فإذا أراد الله تنفيذ ما يريد من قضائه وقدره تخلوا عنه ، حتى يوقع الله ما يشاء من أمره . والله أعلم .

معنى قوله تعالى

﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

١٣٣ - سائل يقول :

ما معنى قوله تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ [إبراهيم : ٢٧] ؟

---

(١) البخاري ، رقم (٥٥٥) ومسلم ، رقم (٦٣٢) .

الجواب :

أهل التأويل اختلفوا في تفسير قوله: (في الحياة الدنيا) ، فقال بعضهم: عنى بذلك أن اللهَ يثَبتهم في قبورهم قبلَ قيام الساعة.

لما جاء عن البراء بن عازب رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم إذا سئل في القبر، شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، فذلك قوله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾» رواه البخاري ومسلم[1] .

وقال قتادة وغيره: معنى ذلك: يثبت الله الذين آمنوا بالإيمان في الحياة الدنيا ، وهو (القول الثابت) (وفي الآخرة) ، المسألةُ في القبر.

وقال ابن جرير الطبري : الصواب من القول في ذلك ما ثبتَ به الخبر عن رسول الله ﷺ في ذلك ، وهو أنّ معناه:(يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا) ، وذلك تثبيته إياهم في الحياة الدنيا بالإيمان بالله وبرسوله محمد ﷺ (وفي الآخرة) بمثل الذي ثبَّتهم به في الحياة الدنيا ، وذلك في قبورهم حين يُسْألون عن الذي هم عليه من التوحيد والإيمان برسوله ﷺ .

وأما قوله:(ويضلُّ الله الظالمين) ، فإنه يعني ، أن الله لا يوفِّق المنافق والكافر في الحياة الدنيا وفي الآخرة عند المُسَاءَلة في القبر ، لما

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (٤٦٩٩) ، صحيح مسلم ، رقم (٢٨٧١) .

هدي له المؤمن من الإيمان بالله ورسوله ﷺ . والله أعلم .

تفسير قوله تعالى:
﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾

١٣٤ - سائل يقول :

ما تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾ [الحجر:٣٦-٣٧] ؟

الجواب:

لما خلق الله عز وجل آدم عليه السلام فضله بأن أسجَدَ له ملائكته ، فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:٣٤] وقال إبليس لعنه الله : ﴿ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ [الإسراء:٦١] ، فأبعده الله تعالى ، ولعنه ، وأخرجه من الجنة قال تعالى : ﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [ص:٧٧-٧٨] ، عند ذلك طلب إبليس من رب العزة طلبًا قال فيه : ﴿ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ ، وفي موضع آخر قال : ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٦٢] ، وقد استجاب الله دعاءه فتنة للعباد، واختبارًا لهم ، إذ قال له سبحانه :﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾ [ص:٨٠] ،

فأخّر الله عز وجل أجله إلى قيام الساعة، اختبارًا للعباد ، وابتلاءً لهم .

فوجب بذلك على المؤمن الفطن ألا يستجيب للشيطان ، كما قال رب العزة : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [فاطر:٦]. وبالله التوفيق .

تفسير قوله تعالى :
﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا ... ﴾ الآيات

١٣٥ - هذه الآية الكريمة ذكرها الله سبحانه في سورة النحل، هذه السورة التي تسمى سورة النعم لما ذكر الله سبحانه فيها من تعداد النعم التي أنعم بها على عباده ومنها قوله تعالى : ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : ٨] ، يفهم منها الإشارة إلى ما خلق الله وأوجد لعباده في هذه الأزمنة من المراكب في الجو والبر والبحر مما هو معد للركوب وحمل الأثقال والزينة .

فإنه سبحانه وتعالى لما ذكر الخيل والبغال والحمير التي خلقها لأجل الركوب وللزينة عقبها بقوله ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أي لا تعلمون مما علم الله أنه سيحدثه ويوجده بعد هذا الزمان الذي أنزلت فيه هذه الآية، وهو عصر النبوة من الأشياء

التي يركبها الخلق في برهم وبحرهم وفي الجو ، ويستعملونها في الركوب والحمل والزينة .

قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله : « إن الله لم يذكرها بأعيانها ؛ لأن الله تعالى لم يذكر في كتابه إلاّ ما يعرفه العباد أو يعرفون نظيره وأما ما ليس معروفًا ولا له نظير في زمانهم فإنه لو ذكر لم يعرفوه ولم يفهموا المراد منه فذكر سبحانه أصلًا جامعًا ، يدخل فيه ما يعلمون وما لا يعلمون كما ذكر سبحانه وتعالى نعيم الجنة وسمى منه ما نعلم ونشاهد نظيره ، كالنخيل والأعناب والرمان ، وأجمل ما لا نعرف له نظيرًا في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ [الرحمن:٥٢] ، فكذلك هنا ذكر ما نعرفه من المراكب كالخيل والبغال والحمير والإبل والسفن ، وأجمل الباقي في قوله سبحانه وتعالى : ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ » انتهى كلامه.

والله سبحانه وتعالى لما أشار بهذه الآية إلى الصنائع التي ستحدث بإذنه وتسخيره وتهيئة أسبابها وما أعطاهم الله من المعرفة لأسباب هذه الأمور وأنه ستكون بواسطة أيدي بعض العباد من خلقه الذين خلقهم وأعطاهم العقول والذكاء ليدركوا دقائق هذه الأمور التي غاية الأمر أنهم ألفوها وركبوا بعضها مع بعض بهداية الله لهم لهذه الدقائق بَيَّن سبحانه وتعالى بعد هذه الآية عظمة مخلوقاته التي خلقها بقوله : ﴿ كن ﴾ بدون واسطة أحد مما هو أعظم وأعظم من هذه الصناعات ولا هناك نسبة بينهما ولكن لما

كان الإنسان يشاهدها من حيث عرف الدنيا لم تقع منه موقع الاستغراب لكثرة المشاهدة لها ولو أمعن النظر فيها وتأملها وتأمل دقة صنع الله الباري سبحانه وتعالى من تكوير الليل على النهار وتكوير النهار على الليل ودقة سير هذه النجوم والشمس والقمر وعظيم خلق السموات والأرض وهذه الجبال الشوامخ العظيمة وهذه البحار المتلاطمة الأمواج وما فيها من عظيم خلقه سبحانه وتعالى فلو تأملها العبد حق التأمل لكان له شأن في قوة إيمانه وتعظيم خالقها.

ولذلك كثيرا ما يرد في القرآن الكريم الحث على التفكر في مخلوقات الله كما قال سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران:١٩٠].

وكما قال سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة:١٦٤].

بل لو تأمل الإنسان في خلق نفسه حق التأمل لرأى الأمر العجاب كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات :٢٠-٢١].

فإن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وجعل فيه ثلاث مائة

وستين عظما في غاية ما يكون من اللطافة والإتقان وإمكان إتيان كل عضو لما خلق له بكل سهولة وفي غاية الإبداع والتناسق والجمال ، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين:٤].

فلما أشار سبحانه وتعالى بهذه الآية وهي قوله: ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ إلى وجود هذه الصنائع من طائرات جوية ، ومراكب بحرية ، وسيارات أرضية ، خلقها سبحانه وتعالى وسخرها لعباده بواسطة إلهامه لبعض خلقه في صنعها ، والله سبحانه وتعالى هو الذي خلق كل صانع وصنعته ، وكل عامل وعمله ، كما قال عز وجل : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات:٩٦] نبه سبحانه وتعالى إلى أن هذه الصنائع ليست غريبة بالنسبة إلى مخلوقاته سبحانه وتعالى .

ولو تأملتم في عظيم صنع الله الموجود بين أيديكم لتلاشى هذا الاستغراب في جانبها فلهذا قال بعد هذه الآية: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل:٩-١١].

فلو تفكرتم حق التفكر بهذه الأشياء لعلمتم كمال قدرة الله الذي أنزل هذا الماء من السحاب الرقيق اللطيف ، وجعل في هذا

الماء الغزير العذب الصالح لكل شيء من الشرب وإنبات النبات فتشربون ، وتشرب مواشيكم ، وتسقون حرثكم ، فيخرج الله به من أنواع الثمار الكثيرة ، والنعم الغزيرة ما ليس في استطاعة أحد غيره سبحانه وتعالى على إيجاد شيء منه ، كما قال عز وجل : ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾ [الواقعة :٦٢-٦٣].

وقال سبحانه: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾ [الواقعة:٦٨-٧٠].

ثم قال عز وجل في سورة النحل أيضًا: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [النحل:١٢] يخبر الله سبحانه أنه سخر هذه الأشياء لمنافع عباده ومصالحهم بحيث لا يستغنون عنها فسخر لهم الليل سكنًا ، والنهار معاشًا ، كما قال سبحانه : ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ [النبأ:٩-١١] .

وسخر سبحانه الشمس والقمر ضياء للناس ، ونفعًا لهم ، وسخر لهم النجوم زينة وعلامات يهتدون بها ، ورجومًا للشياطين؛ ولذلك قال سبحانه : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ يتدبرون بها ويتفكرون .

ثم قال سبحانه : ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [النحل:١٣] أي ليتذكروا

بذلك أن الله هو الذي خلق جميع هذه المخلوقات وليعرفوا عظمته وكمال قدرته فينيبوا ويخبتوا إلى ربهم وليعلموا أنه هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له وأن غيره لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرًا فكيف يملكه لغيره .

وقوله سبحانه : ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ كقوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة:٢٩] ، وجاء في الحديث القدسي « ابن آدم خلقت كل شيء من أجلك وخلقتك من أجلي» ثم قال سبحانه بعد ذلك : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [النحل:١٤-١٦] يذكر سبحانه عباده بهذه النعم ويعددها عليهم لعلهم يتذكرون نعمه فيقومون بشكرها ويعبدونه حق عبادته فتحصل لهم السعادتان دنيا وأخرى فذكر تسخيره سبحانه للبحر وتهيئته لعباده وما جعل فيه من المنافع المتنوعة فمن هذه المنافع السمك والحوت الذي تصطادونه وتأكلون منه لحمًا طريا ومنها استخراجكم منه حلية تتحلون وتتجملون بها فتزيدكم جمالًا وحسنًا إلى حسنكم وجمالكم الذي صوركم الله عليه ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين :٤] .

ومن منافع هذا البحر ما سخره الله لكم من المراكب والسفن التي هيأها لكم ، وهداكم إلى صنعها ، تجوب بكم هذه البحار العظيم الرهيبة ، فتمخر البحر مخرًا بمقدمها ، فتصلكم من قارة إلى قارة أخرى بسهولة وسرعة ، حاملة معكم الشيء الكثير من الأثاث والأمتعة والبضائع وأصناف التجارات التي تطلبون بها الأرزاق والزيادة من فضل الله ، وحصول نفع بعضكم لبعض .

ثم ختم سبحانه هذه النعم بقوله ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ أي لعلكم تشكرون الله ربكم وخالقكم الذي سخر لكم هذه الأشياء وهيأها لكم ، فتتحدثون بها وتثنون عليه سبحانه ، وتقومون بما تستطيعونه من شكرها ، فله الحمد سبحانه والشكر والثناء ، وهو أهل الحمد فسبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين .

ثم لما عدد سبحانه نعمه بإنزال المطر وتسخير الشمس والقمر والنجوم وما يترتب على ذلك من المنافع العظيمة والمصالح الجسيمة وذكر البحر وفوائده المتنوعة وما سخره فيه لعباده ذكرهم بخلق الجبال والأنهار والطرق التي سهلها في الأرض وبين تلك الجبال الشوامخ التي تصلهم من بلد إلى بلد ومن إقليم إلى آخر وجعل فيها علامات بينات يهتدون بها ، كما سخر لهم النجوم أيضًا ليهتدوا بها في ظلمات البر والبحر ، فقال سبحانه : ﴿ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ [النحل:١٥] ، والرواسي هي الجبال

العظام ، لئلا تميد بكم الأرض ، فتضطرب بكم ، فلا تتمكنون من إكمال مصالحكم ولا يقر لكم قرار ، بل ثبتها وأرسى بها هذه الجبال ، لتتمكنوا من البناء عليها ، والسير فيها ، وغرس الأشجار وحرث الزروع ، وسخر لكم فيها الأنهار الجارية بالماء العذب الزلال ، يسوقها من أرض بعيدة إلى أقاليم عديدة تمر بها وكل ينتفع بها تسقيهم وتسقي مواشيهم وأشجارهم وزروعهم ويتمتعون بأصناف النعم من الفواكه والأطعمة واللحوم والألبان بسبب هذه الأنهار الجارية .

ولما ذكر سبحانه هذه النعم قال بعد ذلك: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[النحل:١٧] فذكرهم سبحانه وتعالى بأن من خلق هذه الأشياء وهذه المنافع التي لا يستطيع أحد أن يأتي بشيء منها مهما كان ، ولا بأصغر جزء من أجزائها أنه الله وحده فهل يساوي من يخلق هذه الأشياء وغيرها بمن لا يخلق شيئًا مهما قل ومهما كان في صغره وحقارته ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ [الحج:٧٣] .

ثم حثهم سبحانه على التفكر والتذكر وأن يستعملوا عقولهم وذكاءهم الذي أعطاهم الله إياها فقال: ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ فتعرفون أن المتفرد بالخلق هو الله وأنه أحق بالعبادة وحده سبحانه

من كل أحد سواه فكما أنه سبحانه واحد في خلقه وتدبيره وتسخيره هذه الأشياء العظيمة وهذه المنافع الجسيمة فإنه سبحانه واحد في ألوهيته وتوحيده وعبادته ، وكما أنه أنشأكم وأنشأ غيركم بدون مشارك له فلا تجعلوا له أندادًا في عبادته ، فإن تلك الأنداد التي جعلتموها معه هي من مخلوقاته ، فهل يستوي الخالق والمخلوق، بل اخلصوا له العبادة، كما قال سبحانه لنبيه الكريم ﷺ: ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الزمر:١١-١٢] ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴾ [الزمر:١٤] ، ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [النحل:١٨] ، أي لا تستطيعوا أن تعدوها عدا ، فكيف تستطيعون القيام بشكرها ، ولكنه سبحانه غفور رحيم ، يرضى من عباده بالشيء اليسير ، ويتجاوز عن الشيء الكثير ، فيغفر لهم ذنوبهم ، ويستر عيوبهم ، ويرحمهم برحمته الواسعة التي وسعت كل شيء ، فإذا سلم العبد من الشرك بالله ، فقد تعرض لرحمة ربه ومغفرته ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨] .

وخلاصة ما تقدم أن الله نبه بقوله: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : ٨] إلى وجود هذه الأشياء الحديثة من المراكب الجوية والبرية والبحرية .

وفي قوله: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ﴾ [النحل:٩] ، بهذه الآية إشارة إلى أن الهداية بيد الله ، فلا تغتروا بأهل هذه

الصنائع ، وتقدمهم ، وتعجبون بهم ، وتقولون لِمَ لم يعرفوا حقيقة الإسلام ، فتحصل لهم سعادة الدنيا والدين .

ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [النحل:٩]، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

وفي هذه الآيات التي ساقها سبحانه ، وبين فيها إنزال المطر من السماء شرابا لكم ولأنعامكم، ومرعى لمواشيكم، وينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات، وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم، كلها مسخرة منه سبحانه وتعالى لكم ، وجميع ما ذرأ في الأرض على اختلاف ألوانه ، وتسخيره البحر لكم ، تأكلون من لحوم سمكه ، وتلبسون من حليه ، وتركبون في هذه المراكب لتجاراتكم ، وطلب أرزاقكم ، وهذه الأرض التي بسطها لكم ، وأرساها بالجبال ؛ لئلا تميد بكم ، وهذه الأنهار الجارية ، وهذه السبل والطرق بين أوديتها وجبالها ، فإنكم إذا تأملتم هذه المخلوقات العظيمة ، علمتم أن هذه الصنائع التي أحدثها الله لكم في هذه الأزمنة ، على أيدي بعض خلقه ، بما أعطاهم من الأفكار ، فهو الذي خلقهم وما يعملون ، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات:٩٦] ، ولكن هذه الصنائع كلها تتلاشى ، وتتضاءل إذا نسبتها إلى مخلوقات الله العظيمة ، التي بينها ، وساقها بعد قوله : ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[النحل:٨] فلا تغتروا بأهل هذه العلوم ، وتعجبوا بهم ، وتتبعوا لهم في الكفر بالله ، وعدم القيام بشكره ، فإن الله هداكم بهذا القرآن العظيم ، وهذا النبي الكريم ﷺ ، فاعرفوا نعم الله عليكم ، وقوموا بأداء عبادته وطاعته ، وتذكروا قوله : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل:١٨] ، والله أعلم .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

معنى قوله تعالى :

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾

١٣٦ – سائل يقول :

يقول الله عز وجل : ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴾[الإسراء:١٠٠] .

ما معنى قوله ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾ ؟ وهل يجوز أن يقال : قتر الله على فلان في ماله أو عقله أو نحو ذلك ، فيصف الله سبحانه بالإقتار ؟

الجواب :

معنى قوله سبحانه : ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾ أي بخيلًا شحيحًا لا ينفق مما آتاه الله من النعم والخير ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ

يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ [الإسراء:٢٩] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴾ [المعارج:١٩-٢٢]. والإقتار لا يجوز أن يوصف به الرب جل وعلا ، فإن صفات الرب سبحانه كلها صفات ثناء وتمجيد وتعظيم له سبحانه ، وقد لعن الله اليهود بما قالوا من وصف ينزه سبحانه عنه، فقال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾[المائدة:٦٤] ، بل إن الرب جل وعلا سبحانه الكريم الجواد ونحوها من صفات الثناء عليه سبحانه.وبالله التوفيق .

معنى قوله تعالى:

﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾

١٣٧ - سائل يقول :

يقول الله عز وجل : ﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ [مريم:٢٤] فمن الذي ناداها ؟

الجواب :

جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره : أن الذي ناداها من تحتها جبريل عليه السلام ، ولم يتكلم عيسى حتى أتت به قومها . ولعل هذا هو الراجح ، والله أعلم.

وقال مجاهد وغيره : ناداها عيسى بن مريم ، واختاره ابن

جرير في تفسيره .

ومعنى ذلك : أن الله عز وجل لما رأى حزن مريم ، وما بها من الهم في كونها تأتي قومها بولد ، وما عسى أن يقولوا في عِرضها، وما بها من جوع وظمأ ، وما بها من آلام المخاض أراد أن يسكن قلبها ، فأرسل لها جبريل بهذه البشارة بأن لا تحزن وأنه قد جعل لها ما تقر به عينها من المولود المبارك ، والرزق الوافر بأطيب عيش، والله أعلم .

تفسير قوله تعالى

﴿ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ ﴾

١٣٨ - سائل يقول :

ما تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾ ؟

الجواب :

يقول الله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾

[الحج:٥] .

فقوله : ﴿ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ ﴾ أي : في حال الشباب ، ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ ﴾، وهو الشيخوخة والهَرَم ، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾ [الروم: ٥٤] .

روي عن علي رضي الله عنه في ﴿أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ قال : خمس وسبعون سنة[1] .

والرد إلى أرذل العمر يحصل للمسلم ولغير المسلم ، وهو ليس بعقاب ولا عذاب ، فالمسلم يحصل على الثواب العظيم والأجر الجزيل بطول عمره وحسن عمله طالما ظل على الإسلام ، بينما الكافر يحصل على الإثم الكبير بطول عمره وسوء عمله طالما ظل على كفره والعياذ بالله . والله ولي التوفيق .

تفسير قول الله تعالى:

﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ ﴾

١٣٩ - سائل يقول :

ما تفسير قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٢٥١) .

وَٱلْأَخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج: ١٥] ؟

الجواب :

معنى الآية كما قال الطبري في تفسيره : « من كان يحسب أن لن يرزق الله محمدا ﷺ وأمته في الدنيا، فيوسع عليهم من فضله فيها، ويرزقهم في الآخرة من سَني عطاياه وكرامته، استبطاء منه فعل الله ذلك به وبهم، فليمدد بحبل إلى سماء فوقه: إما سقف بيت، أو غيره مما يعلق به السبب من فوقه، ثم يختنق إذا اغتاظ من بعض ما قضى الله، فاستعجل انكشاف ذلك عنه، فلينظر هل يذهبنّ كيده اختناقه كذلك ما يغيظ، فإن لم يذهب ذلك غيظه؛ حتى يأتي الله بالفرج من عنده فيذهبه، فكذلك استعجاله نصر الله محمدا ودينه لن يُؤَخِّر ما قضى الله له من ذلك عن ميقاته ، ولا يعجَّل قبل حينه .

وقد ذكر أن هذه الآية نزلت في أسد وغطفان، تباطئوا عن الإسلام، وقالوا: نخاف أن لا ينصر محمد ﷺ ، فينقطع الذي بيننا وبين حلفائنا من اليهود فلا يميروننا ولا يُرَوُّوننا، فقال الله تبارك وتعالى لهم: من استعجل من الله نصر محمد، فليمدد بسبب إلى السماء فليختنق فلينظر استعجاله بذلك في نفسه، هل هو مُذْهِبٌ غيظه؟ فكذلك استعجاله من الله نصر محمد غير مقدّم نصره قبل حينه» اهـ .

وهذه الآية الكريمة فيها من الوعد والبشارة بنصر الله لدينه ولرسوله ﷺ وعباده المؤمنين ما لا يخفى، ومن تأييس الكافرين، الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره، ولو كره الكافرون . والله أعلم .

معنى قوله تعالى :
﴿لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾

١٤٠ – سائل يقول :

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ [النور:٢١] . ما هي خطوات الشيطان ؟ وكيف يمكن تجنبها ؟

الجواب :

خطوات الشيطان: طرقه ووساوسه. وخطوات الشيطان يدخل فيها سائر المعاصي المتعلقة بالقلب، واللسان والبدن. ومن حكمته تعالى، أن بين الحُكم، وهو: النهي عن اتباع خطوات الشيطان. والحِكمة وهي : بيان ما في المنهي عنه، من الشر المقتضي، والداعي لتركه ، فقال : ﴿ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ ﴾ أي : الشيطان ﴿ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ أي: ما تستفحشه العقول والشرائع، من الذنوب العظيمة، مع ميل بعض النفوس إليه. ﴿ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ وهو ما تنكره العقول ولا تعرفه. فالمعاصي التي هي خطوات الشيطان، لا

تخرج عن ذلك، فنهي الله عنها للعباد، نعمة منه عليهم أن يشكروه ويذكروه، لأن ذلك صيانة لهم عن التدنس بالرذائل والقبائح، فمن إحسانه عليهم، أن نهاهم عنها .

أما كيفية اجتنابها فذلك يكون بسلوك الطريق المستقيم ، واجتناب طريق الشيطان الرجيم ، وأوضح ذلك رسول الله ﷺ قولًا وعملًا ففي الحديث عن عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه قال : « خَطَّ رسول الله ﷺ خطًا بيده، ثم قال: هذا سَبِيل الله مستقيما. وخط على يمينه وشماله، ثم قال: هذه السُّبُل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه. ثم قرأ : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسۡتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٥٣]»رواه أحمد والحاكم وصححه [١] .

وقد ألف بعض العلماء كتبًا في تحذير الناس من خطوات الشيطان منها إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن قيم الجوزية فهو كتاب مفيد في بابه .

وقد علمنا الله سبحانه وتعالى الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم ، فينبغي علينا التزامها فإنها حصن حصين ، وكذلك علينا بالدعاء أن يقينا شر الشيطان فإن ربنا جل وعلا قريب مجيب .

---

(١) مسند أحمد ، رقم (٤٤٣٧) ، المستدرك ، رقم (٢٩٣٨).

تفسير قوله تعالى :

﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾

١٤١ - سائل يقول :

ما تفسير قول الله تعالى : ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ ﴾ حيث سمعت البعض يقول بأنه نور المؤمن . فهل هذا صواب ؟

الجواب :

يقول الله تعالى في سورة النور : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور:٣٥] .

يقول سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ أي : هادي من في السماوات والأرض، فهم بنوره إلى الحق يهتدون، وبهداه من حيرة الضلالة يعتصمون.

ثم يقول سبحانه : ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ ﴾ أي مثل ما أنار من الحقّ بهذا التنزيل في بيانه كمشكاة ، وفي هذا الضمير قولان :

أحدهما : أنه عائد إلى الله عز وجل، أي: مثل هداه في قلب المؤمن، كمشكاة . قاله ابن عباس .

والثاني : أن الضمير عائد إلى المؤمن الذي دل عليه سياق الكلام: تقديره: مثل نور المؤمن الذي في قلبه، كمشكاة. فشبه قلب المؤمن وما هو مفطور عليه من الهدى، وما يتلقاه من القرآن المطابق لما هو مفطور عليه. وهذا القول اختاره ابن جرير الطبري في تفسيره .

(والمشكاة) قال ابن عباس: كوَّة في البيت ، قال: وهو مثل ضَرَبه الله عز وجل لطاعته . والله أعلم .

معنى الآية

﴿ ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعًا ...﴾

١٤٢ – سائل يقول :

ما المقصود بالآية في سورة النور : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ﴾ [النور:٦١] هل المقصود الإخوة وزوجاتهم؟

الجواب :

المقصود أهل البيت الواحد أي الأسرة الواحدة فلا حرج عليهم أن يأكلوا مجتمعين أو أفرادًا ، وليس المقصود بذلك الإخوة وزوجاتهم ، لأن الأخ ليس محرمًا لزوجتك ولا أنت محرم لزوجة أخيك فلا يجوز لأحدكما الخلوة بزوجة أخيه والأكل معها إلا إذا أكل معها في وجود محرم لها ولا تكشف وجهها ، والله أعلم .

تفسير قوله تعالى : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ... ﴾ إلى قوله : ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾

١٤٣ - الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد :

قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ [الفرقان:٦٣] .

ذكر الله عباده المؤمنين المتصفين بصفات الكمال ، وهي الصفات المذكورة في هذه الآية ، وما بعدها من الآيات ، ومن كرامتهم على ربهم ، والرفع من شأنهم ، أنه سبحانه أضافهم إلى اسمه (الرحمن) ، فهو سبحانه الذي لطف بهم، ورحمهم، وهداهم، إلى سلوك هذا الطريق المستقيم ، والمنهج السليم ، ووصفهم بالعبودية له ، والمراد بها هنا (العبودية الخاصة) –عبودية أنبيائه وأوليائه- عبودية الألوهية المتضمنة لكمال العبادة والذل والخضوع له سبحانه وتعالى ، دون من سواه ، وأما العبودية العامة – عبودية الربوبية – فهي شاملة لكل مخلوق مؤمن وكافر ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾ [مريم:٩٣] فوصف الله سبحانه عباده المؤمنين عباد الرحمن بأنهم يمشون على الأرض هونا ، فهم يمشون على الأرض مع الناس ، لا يترفعون عنهم ، ولا يتكبرون ، ولا يتجبرون ، بل يمشون هونًا، أي ساكنين متواضعين ، لا يظهر عليهم المرح ، ولا الفرح ، ولا الزهو بأنفسهم ، بل عرفوا قدر نفوسهم ، وأنهم عبيد لله ، لا

يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا ، ولا حول ولا قوة إلا بربهم ، فعلام يتكبرون ؟ وبأي شيء يترفعون على الخلق ؟ ولكنهم يمشون بالسكينة والوقار والتواضع لله ولعباد الله ، ومع صنيعهم هذا وتواضعهم للناس لا يسلمون من أذى الجاهلين ، ومعاكسة الحمقى والمغفلين ، يواجهونهم بالكلام السيئ ، من خطل القول وزوره ، ولكن هذا لا يثيرهم ، ولا يشوش خواطرهم ، ولا يخرجهم عن طورهم ، ولا عن حدود الأدب ؛ لأنهم على خلق كريم ، وأدب رفيع ، لا تزعزعهم العواطف ، ولا تستخفهم الرواجف ، فكأن الشاعر يصف حالهم عندما وصف نفسه بقوله :

وذي خطل في القول يحسب أنه

مصيـــب فما يلمم به فهو قائله

عبأت له حلما وأكرمت غـيره

وأعرضت عنه وهو باد مقاتله

فلا يردون على الجاهل مثل قوله ، ولكنهم يقولون : سلاما — أي قولا سلاما — سالما من المعائب ، سالما من أقوال الجهل والخطل، سالما من السب والشتم ، خطابا يسلمون فيه من الإثم ، يسلمون من غوائل الشرور من شرور المخاطبين وغيرهم ، يسلمون فيه من مقابلة السيئ بمثله ، يسلمون به من وصفهم بالجهل إذا زيد عليهم بالسفه زادهم في الحلم والصفح كما قيل :

يزيد سفاهة فأزيد حلما　　　كعود زاده الإحراق طيبا

فهذا وصفهم في مجتمعهم ومخالطتهم للناس وصبرهم على أذاهم ، والمؤمن الذي يخالط الناس ، ويصبر على أذاهم ، خير من المؤمن الذي لا يخالطهم ، ولا يصبر على أذاهم ، ولما وصف سبحانه وتعالى حالتهم مع الخلق وصف حالتهم مع الحق سبحانه وتعالى، مع ربهم وخالقهم ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴾ [الفرقان:٦٤] فهم مع ما قاموا به من التواضع وعدم التكبر على الناس ، والصبر على أذاهم ، فإنهم على خوف وعلى وجل من الله ، فهم قائمون بوظائفهم الدينية ، التي بينهم وبين ربهم ﴿يَبِيتُونَ ﴾ : أي يكونون في حال البيات وقت الليل ، سجدًا وقيامًا لربهم ، يكثرون الصلاة ، صلاة الليل ، مخلصين لربهم ، متذللين ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة:١٦-١٧] .

وليس معنى الآية الكريمة أنهم يصلون جميع الليل ، ولا يرقدون شيئًا منه ، وقد أوضحت هذا المعنى سنة المصطفى ﷺ القولية والفعلية ، فإنه قال عليه الصلاة والسلام : « أفضل الصلاة صلاة داود : كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه» رواه

البخاري ومسلم[١] وأما فعله ﷺ فقد ثبت في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : « ما كان يزيد رسول الله ﷺ على إحدى عشرة ركعة لا في رمضان ولا غيره ، يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلي ثلاثا ...»[٢] وقد أنكر ﷺ على الذي قال : أصوم النهار ولا أفطر ، وأقوم الليل ولا أنام ... فقال رسول الله ﷺ : «صم وأفطر ، ونم وقم» ، وقال ﷺ : « إن لنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا ، ولزورك -أي ضيفك- عليك حقا ، فأعط كل ذي حق حقه »[٣] .

ولاشك أن خير الهدي هدي محمد ﷺ، ففي صحيح البخاري رحمه الله عن عائشة رضي الله عنها : «أنها سئلت عن صلاة رسول الله ﷺ بالليل ، فقالت : كان ينام أوله ويقوم آخره فيصلي ، ثم يرجع إلى فراشه ، فإذا أذن المؤذن وثب -أي قام- فتوضأ وخرج»[٤] .

وقد حث ورغب ﷺ على قيام الليل ، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ينزل ربنا تبارك

---

(١) البخاري في صحيحه ، رقم (١١٣١) ، ومسلم في صحيحه ، رقم (١١٥٩) .

(٢) صحيح البخاري ، رقم (٢٠١٣) .

(٣) صحيح البخاري ، رقم (٥١٩٩) .

(٤) صحيح البخاري ، رقم (١١٤٦) .

وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا ، حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول : من يدعوني فأستجيب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟ من يستغفرني فأغفر له ؟ ...»[١] . وروى مسلم عن جابر ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرًا من أمر الدنيا والآخرة إلاّ أعطاه إياه ، وذلك كل ليلة »[٢] .

فهذه الآيات الكريمات ، وهذه الأحاديث الصحيحة تدل على فضل قيام الليل ، وأنه من صفات عباد الله المؤمنين ، ولقد أثنى الله سبحانه وتعالى على أهل قيام الليل في عدة آيات من كتابه سوى ما تقدم ، فقد قال سبحانه وتعالى : ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات:١٧-١٨] ، وجاء في الأثر «عليكم بقيام الليل ، فإنه دأب الصالحين قبلكم ، وهو قربة إلى ربكم ، ومكفرة للسيئات ، ومنهاة للإثم »[٣] .

وقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾[الفرقان:٦٥-٦٦] ، لما ذكر جل وعلا صفاتهم مع مجتمعهم ، وأنهم يمشون على الأرض هونا ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ، وإنهم يبيتون

(١) صحيح البخاري ، رقم (١١٤٥) ، وصحيح مسلم ، رقم (٧٥٨) .

(٢) صحيح مسلم ، رقم (٧٥٧) .

(٣) سنن الترمذي ، رقم (٣٥٤٩) ، وصحيح ابن خزيمة ، رقم (١١٣٥) .

لربهم سجدا وقياما ، ففي هاتين الصفتين بيان معاملتهم للخلق وصبرهم وتحملهم ، وبيان معاملتهم للحق سبحانه ، وأنهم قاموا بحقوق الله وحقوق عباد الله، وهذا أهم ما يجب على العبد أن يقوم بحق الله وحق عباد الله ، ولكنهم مع ذلك هم في خوف ، وفي قلق، خوفًا من عذاب الله ، وهربًا من نكاله الأليم ، وفزعًا من عذاب الجحيم ، فهم كما وصف الله عباده المؤمنين في سورة المؤمنون بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦٠] . يقومون بما وجب عليهم، ولكن لا يدرون هل قبلت أعمالهم أو لم تقبل ، يخافون من عدم تحقق التقوى ؛ لأن العمل الصالح مشروط قبوله بالتقوى ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة:٢٧] .

فالمؤمن الصادق في إيمانه لا يزكى نفسه ، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾[النجم:٣٢]؛ ولذلك لما كان حذيفة بن اليمان ﷺ صاحب رسول الله ﷺ وصاحب سره الذي أسر إليه ، بمعرفة أسماء بعض المنافقين الذين كانوا على عهده عليه الصلاة والسلام ، يأتيه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ الذي شهد له رسول الله ﷺ بالجنة وهو من المهاجرين الأولين ، ومن أهل بدر ، ومن أهل بيعة الشجرة ، وهو أفضل هذه الأمة بعد نبيها وأبي بكر ﷺ ، يأتي إلى حذيفة ﷺ ويقول له : أسألك بالله هل سماني رسول الله من المنافقين ؟ فيقول : لا يا أمير المؤمنين ، ولا

أزكي بعدك أحدًا ، فانظر إلى هذا الخوف من أمير المؤمنين مع ما قام به من جلائل الأعمال، يخاف على نفسه النفاق ، ويخشى من عدم القبول .

وهذا كما أخبر سبحانه وتعالى عن أوليائه بقوله : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء :٩٠] ، فهذه صفة عباد الرحمن أنهم يقومون الليل يحييونه بالركوع والسجود والقيام لربهم، فهم خائفون وجلون من عذاب النار ، وكأنهم يتصورونها أمامهم من شدة إيمانهم وتصديقهم ؛ فلذلك قالوا : ﴿رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ فيسألونه أن يصرف عنهم عذاب جهنم ؛ لأن عذابها هو غاية العذاب ، هو العذاب المهين ، هو العذاب الدائم السرمدي ، وبالسلامة منه يحصل الفوز العظيم ، يحصل النعيم المقيم في جنة الخلد مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . يقول سبحانه وتعالى : ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [آل عمران:١٨٥] .

ثم إنهم لقوة إيمانهم وتصديقهم بما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ وصفوا جهنم بقولهم : ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ أي ملازمًا ملازمة الغريم لغريمه ، لا ينفك عنه ، ﴿ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ لا أسوأ من الإقامة فيها ، ولا أقطع من الاستقرار فيها،

وهذا منهم على وجه التضرع لربهم ، وبيان شدة حاجتهم إليه ، وأنهم ليس في طاقتهم احتمال هذا العذاب ، وليتذكروا عظيم منة الله عليهم بصرفها عنهم ، فإن صرف الشدة بحسب شدتها وفظاعتها يعظم وقعها ، ويشتد الفرح بها .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾[الفرقان:٦٧] ، لما وصفهم سبحانه وتعالى في الأوصاف السابقة بأنهم ﴿ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ٦٤ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ٦٥ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴾ [الفرقان:٦٣-٦٦] .

فلما اتصفوا بهذه الأوصاف الحميدة -صفات المؤمنين حقيقة- وذكر من جملة ذلك ملازمتهم للصلاة، وتضرعهم لربهم، والله سبحانه وتعالى ذكر أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فهؤلاء ربَّتُهم صلاتهم على التعلق بالله ، والطمع فيما عنده ، واحتقارهم واستصغارهم حطام الدنيا ، فسقطت من عيونهم ، ولم تتعلق قلوبهم بها ، بل قلوبهم متعلقة بربهم ، فغاية مقصودهم إرضاء معبودهم ، والتقرب إليه .

ولما كان المال محبوبا للنفوس ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ﴾[الفجر:٢٠] ؛ لأن المال هو أعظم أسباب نيل المشتهيات في هذه الحياة ، ومن أنفس زينة الدنيا ، ولكنه لم

يتمكن من قلوبهم ولم يستول حبه على مشاعرهم ، ولم يبذلوا في تحصيله شيئًا من دينهم ، أو على حساب مروءتهم وتدنيس أعراضهم ، بل يحرصون على تحصيله بالطرق الشرعية التي لا التواء فيها ، ولا غش ولا خداع ولا مكر ولا احتيال ، وإذا وقع في أيديهم شيء من المال ، فإنهم يتصرفون فيه التصرف الشرعي، تصرفًا على أكمل حال ، وهي حالة العدل التي أمرهم بها دينهم ، لا يمسكون عن حق واجب ، ولا يبذلونه في وجه باطل ، ﴿ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ ﴾ ، والإسراف : مجاوزة الحد المشروع ، ﴿ وَلَمْ يَقْتُرُواْ ﴾ والتقتير : التضييق والبخل بما وجب بل حالتهم مع الإنفاق حال وسط ، قواما بين الشيئين ، فلا إلى الإسراف يجنحون ولا إلى التقتير يعدلون، بل اتصفوا بأكمل الحالات ، سلموا من التبذير المذموم فاعله ، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٦-٢٧].

والإسراف والتبذير هو الإنفاق على وجه السرف ، ولو كان في شيء مباح في الأصل ، ولكن إذا تجاوز حد المأذون به شرعًا دخل في الإسراف .

فعباد الرحمن إذا أنفقوا أموالهم لم يتجاوزوا الحد المشروع ، ولم يضيقوا فيقصروا في القدر المطلوب ، وكان إنفاقهم بين التجاوز والتضييق عدلا مستويا لا إفراط ولا تفريط .

هذا بالنسبة للمباح وإن كان في شيء محرم فهو إسراف ، وإن كان شيئًا يسيرًا ، فمن يبذل ماله في الشهوات المحرمة ، ويرخي لنفسه العنان في كل ما أرادت ، فقد أدخل عليها الضرر ، وعرضها للفقر في الدنيا ، وللعقاب في الآخرة .

ولقد حذر الله سبحانه وتعالى من إتباع الشهوات ، وتضييع الواجبات ، وتوعد على ذلك أشد الوعيد ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴾ [مريم:٥٩].

فعباد الرحمن سلموا من هذا ، وسلموا من التقتير المخل بالواجبات ، الموجب للمقت والعداوات ، الملوم صاحبه حتى عند الأهل والبنين ، المشتمل على إساءة الظن بالله ، الموصوف صاحبه بالشح والبخل ، قد فاته بسبب شحه الخير الكثير والفلاح : ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [الحشر:٩]. وبالله التوفيق.

تفسير آيات

من سورة لقمان

١٣٤ – سائل يقول :

أرجو شرح هذه الآيات من سورة لقمان ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ

بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [لقمان:١٦-١٧]؟

الجواب :

هذه وصايا عظيمة نافعة قد حكاها الله تعالى عن لقمان الحكيم ؛ ليمتثلها الناس ويقتدوا بها ، فقال : ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ﴾ أي: إن المظلمة أو الخطيئة لو كانت مثقال حبة من خردل . ﴿ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ﴾ أي: يحضرها الله يوم القيامة حين يضع الموازين القسط، ويجازى عليها إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر. كما قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧] ، وقال تعالى: ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾[الزلزلة:٧، ٨] ، ولو كانت تلك الذرة محصنة محجبة في داخل صخرة صَمَّاء، أو غائبة ذاهبة في أرجاء السموات أو الأرض فإن الله يأتي بها؛ لأنه لا تخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض؛ ولهذا قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ . وكما قال بعضهم في مناجاته لربّه :

يا من يرى مدّ البعوض جناحها

في ظلمة الليل البهيـــم الأَلْيَلِ

ويرى مناط عروقها في نحـرها

والمخّ في تلك العظـــام النحل

ويرى مجاري الدّم في أعضائها

متنقِّلًا من مفصـــل في مفصل

امنن علي بتوبـــة مقبـــولة

تمحـــو بها ما في الزمان الأول

وختم الآية بقوله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ تأكيدًا على أنّ الله سبحانه وتعالى خبير بكل شيء وعليم بكل شيء لا يخفى عليه شيء في السماوات ولا في الأرض مهما دق وخفي .

وفي هذا تحذير للعبد وإخبار له بأن الله سبحانه مطلع عليه في كل شيء ويرى جميع حركاته وسكناته .

وقوله تعالى : ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ .

ففيها أوصى لقمان ابنه بإقامة الصّلاة ، ثم أوصاه بالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وهو واجب على المؤمن على حسب استطاعته . وقد علم أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، لا بد أن يناله من الناس أذى ، فأمره بالصبر ، والصبر على أذى الناس من عزم الأمور. والله أعلم .

تفسير قوله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ ...﴾ الآية

١٣٥ - سائل يقول :

ما تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب:٣٦] ؟

الجواب :

هذه الآية تدل على وجوب السمع والطاعة لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ ، فيقول المؤمن : سمعنا وأطعنا ، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال : ٢٤] ، ومن خالف أمر الله ، وأمر رسوله ﷺ ، فقد عصى الله ورسوله، ومن يعص الله ورسوله ، فقد ضل ضلالًا مبينًا .

وقد كان لهذه الآية سبب في نزولها على رسول الله ﷺ ، إذ عرض رسول الله ﷺ على زينب وهي قرشية أن تتزوج من زيد مولى رسول الله ﷺ فأبت، فلما أمرها رسول الله ﷺ فنزلت عن رأيها، وهي كارهة ، ووافقت ، وتزوجت منه طاعة لله ولرسوله ﷺ، فقد روى الطبري في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما في سبب نزول هذه الآية ، قال : « إن رسول الله ﷺ انطلق ليخطب

على فتاه زيد بن حارثة، فدخل على زينب بنت جحش الأسدية فخطبها ، فقالت : لست بناكحته، فقال رسول الله ﷺ : فانكحيه . قالت : يا رسول الله ، أؤامر في نفسي . فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسوله ﷺ : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا ﴾ الآية، قالت: قد رضيته لي منكحًا يا رسول الله؟ قال: نعم. قالت : إذًا لا أعصي رسول الله ﷺ ، قد أنكحته نفسي»[1] اهـ.

وبقيت زينب رضي الله عنها معه مدة وهي كارهة ، فلما أحس زيد منها ذلك طلقها ، فأنزل الله سبحانه وتعالى آيات بينات تكريمًا لها ؛ لامتثالها أمر الله وأمر رسوله ﷺ ، وعوضها خيرًا منه ، وهو رسوله ﷺ ؛ حيث زوجها الله سبحانه وتعالى من فوق سبع سماوات رسول الله ﷺ ، ولذا قال سبحانه : ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾[الأحزاب:٣٧]،وقد كانت تتفاخر أمام زوجاته ﷺ الأخريات تقول : لقد زوجكن آباؤكن ، وزوجني الله سبحانه من فوق سبع سماوات . وهذه هي ثمرة طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ .

قال ابن كثير رحمه الله:

« فهذه الآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله

---

(١) تفسير الطبري ، ٢٠/ ٢٧١ .

ورسوله بشيء ، فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد هاهنا، ولا رأي ولا قول، كما قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥] وروي في الحديث: « والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به»[1] . ولهذا شدد في خلاف ذلك، فقال: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ ، كقوله تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور:٦٣] » انتهى . وبالله التوفيق .

معنى الأمانة

في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ ...﴾

١٣٦ - سائل يقول :

ما هي الأمانة المقصودة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب:٧٢] ؟ ومن هو الإنسان ؟

الجواب :

الإنسان معروف ، يقصد به ابن آدم ، وأما الأمانة التي حملها

(١) رواه ابن أبي عاصم في السنة ، رقم (١٥) ، وابن بطة في الإبانة الكبرى ، رقم (٢٧٩) .

الله سبحانه وتعالى عباده ، فهي الأمانة التي خلقوا من أجلها ، وهي عبادته سبحانه وتعالى التي يقول فيها: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات :٥٦] ، وما يتعلق بها ، فالأمانات كل شيء أمر الله به الإنسان أن يؤديه على وجهه . والله أعلم .

معنى قوله تعالى :

﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾

١٣٧ - سائل يقول :

ما معنى قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف : ٣١] ؟

الجواب :

يقول الله عز وجل عن قول المشركين: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ أي على رجل من عظماء مكة أو من عظماء الطائف ، وقصدوا بالرجلين رجل كالوليد بن مغيرة أو غيره بمكة ، وكأبي مسعود نعيم بن مسعود الثقفي أو غيره بالطائف .

فقال الله ردا على قولهم: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ أي: أهم الخُزّان لرحمة الله وبيدهم تدبيرها، فيعطون النبوة والرسالة من يشاؤون، ويمنعونها ممن يشاؤون؟

﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف:٣٢] أي: في الحياة الدنيا، والحال أن رَحْمَةَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ من الدنيا.

فمعايش العباد وأرزاقهم الدنيوية بيد الله تعالى، وكذا رحمته الدينية التي أعلاها النبوة والرسالة بيد الله تعالى، فالله أعلم حيث يجعل رسالته.

معنى السائل والمحروم

١٣٨ - سائل يقول :

ما معنى السائل والمحروم في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ [المعارج:٢٤-٢٥]؟ وجزاكم الله خيرًا .

الجواب :

السائل هو الذي يأتي الناس ويسألهم ، وهذا يُعطى من صدقات التطوع ، وكذلك يدفع له من أموال الزكاة ، مادام أنه يسأل ؛ لأن ظاهره الحاجة .

أما المحروم فهو الفقير المتعفف الذي لا يسأل الناس إلحافًا ، فله حق أكبر من السائل ؛ لأن السائل يذهب إلى الناس ، أما المحروم فلا يسأل الناس إلحافًا ، فينبغي أن يحرص على هذا ،

ويتفقد أمثاله ، فيعطون من أموال الزكاة وصدقات التطوع . والله أعلم .

تفسير آية

﴿ يَـٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ ﴾

١٣٩ - سائل يقول :

ما معنى قول الله تعالى : ﴿ يَـٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٌ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَـٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَـٰذَا ﴾ [الأنعام: ١٣٠] وهل للجن رسل ؟

الجواب :

الرسل من الإنس فقط، وليس من الجن رسل ، وما جاء في هذه الآية هو استفهامُ تقرير: ﴿ يَـٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٌ مِّنكُمۡ ﴾ أي: من جملتكم. كما نص على ذلك مجاهد، وابن جُرَيْج، وغير واحد من الأئمة، من السلف والخلف. ذكر ذلك ابن كثير ، وقال : قال ابن عباس: الرسل من بني آدم، ومن الجن نُذُر.

والدليل على أن الرسل إنما هم من الإنس قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾

رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[النساء : ١٦٣ -١٦٥] ، وقال تعالى عن إبراهيم: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت : ٢٧] ، فحصر النبوة والكتاب بعد إبراهيم في ذريته، ولم يقل أحد من الناس: إن النبوة كانت في الجن قبل إبراهيم الخليل عليه السلام ، ثم انقطعت عنهم ببعثته. وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ [الفرقان : ٢٠] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾ [يوسف: ١٠٩] ، ومعلوم أن الجن تبع للإنس في هذا الباب؛ ولهذا قال تعالى إخبارًا عنهم: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأحقاف : ٢٩ -٣٢] . والله أعلم .

تفسير آية

﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾

١٤٠ - سائل يقول :

ما معنى قوله تعالى : ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ

﴿وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد:١٣] ؟

الجواب :

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : « هو سورٌ يُضْرَب يوم القيامة ؛ ليحجز بين المؤمنين والمنافقين ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ﴾ أي: الجنة وما فيها ﴿وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ أي : النار ، فإذا انتهى إليه المؤمنون دخلوه من بابه ، فإذا استكمل دُخولهم أغلق الباب ، وبقي المنافقون من ورائه في الحيرة والظلمة والعذاب، كما كانوا في الدار الدنيا في كفر وجهل وشك وحيرة » انتهى . والله أعلم .

تفسير آية

﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾

١٤١ – سائل يقول :

ما معنى قوله تعالى حكاية عن قوم نوح : ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح:٢٣] ؟

الجواب :

كان آدم عليه السلام نبيًا ، واستمرت ذريته على دين الحق فتـرة من الزمن ، ثم إنهم تغيـروا وبدأوا يعبدون الأصنام ، فأرسل الله إليهم نوحًا عليه السلام وهو أول الرسل ؛ ليـردهم إلى التوحيد

وينهاهم عن الشرك ، فنفروا منه وصار بعضهم يوصي من بعده من أولاده وغيرهم ألا يتركوا عبادة الأوثان ، وهذا ما قص الله علينا ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ فهذه أسماء أصنامهم التي كانوا يعبدونها .

وقد روى القرطبي بسنده عن محمد بن قيس قال: « كانوا قومًا صالحين من بنى آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صوّرناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوّروهم، فلما ماتوا، وجاء آخرون دبّ إليهم إبليس، فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يُسقون المطر فعبدوهم.

وروى عن قتادة ، قال: كان ودّ لهذا الحيّ من كَلْب بدومة الجَندل، وكانت سُواع لهذيل برياط، وكان يغوث لبني عُطَيف من مُراد بالجُرْف من سبأ، وكان يعوق لهمدان ببلخع، وكان نسر لذي كلاع من حِمْير؛ قال: وكانت هذه الآلهة يعبدها قوم نوح، ثم اتخذها العرب بعد ذلك » اهـ . والله أعلم .

معنى ﴿ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴾

١٤٢ - سائل يقول :

ما معنى قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ [القيامة:٢٧] ؟

الجواب :

اختلف في تأويل هذه الآية ، فقيل معناها : هل من راق يرقي لعلّ الله يشفيني بالقراءة .

وقيل : هل من مداوٍ ينفع بدوائه .

وهذا يحدث عند خروج الرُّوح ومعاينة الموت ، نسأل الله حُسن الختام ، والتوفيق لما يحبه ويرضاه .

تفسير سورة التكوير

١٤٣ - سائل يقول :

أرجو من فضيلتكم تفسير سورة التكوير ؟

الجواب :

سورة التكوير تضمنت وصفًا ليوم القيامة وهو اليوم الذي تزول فيه الحياة الدنيا وتذهب ، قال تعالى : ﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ﴾ [التكوير:١-٦] ، فهذه أحداث عظام تحدث في هذا اليوم هي تكوير الشمس بلفها ، وذهاب ضوئها ، وانكدار النجوم بانقضائها وتسيير الجبال بذهابها عن وجه الأرض ، وتعطيل العشار وهي النوق الحوامل فلا تحلب

ولا تركب ولا ترعى من الهول الذي أصاب أصحابها ، وحشر الوحوش موتها ، وتسجير البحار باشتعالها نارًا .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴾ [التكوير : ٧-١٤] ، فهذه الآيات تكلمت عن البعث بعد الموت في الآخرة ، وذكرت ستة أحداث هي :

تزويج النفوس وهو قرنها بأجسادها ثم بقرنائها وأمثالها في الخير والشر ، وسؤال الموؤدة عن أي ذنب قتلت ، ونشر صحف الأعمال ، وكشط السماء : أي نزعها من أماكنها نزع الجلد عن الشاة عند سلخها ، وتسعير النار أي تأجيجها وتقويتها وإزلاف الجنة وتقريبها لأهلها أهل الإيمان والتقوى .

وبعد أن يصف ربنا عز وجل ما يحدث يوم القيامة ، ويوم البعث يقول جوابًا على قوله (إذا) الذي تكرر في الآيات السابقة – علمت نفس ما أحضرت من حسنات تصير بها إلى الجنة أو سيئات تصير بها إلى النار .

وفي قوله تعالى : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ۝١٦ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝٢٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ۝٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۝٢٥ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۝٢٦

إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير :١٥-٢٩] ، تضمنت إقسام الله تعالى ببعض مخلوقاته على صدق الوحي المنزل من السماء على نبينا محمد ﷺ ، وهو الأمر الذي ينكره كفار قريش .

فقد أقسم الله تعالى بكل ما يخنس ويجري ويكنس من مخلوقاته ، والليل إذا أقبل وأدبر ، والصبح إذا امتد ضوءه ، أن القرآن الذي أخبركم بالبعث ، هو قول رسول كريم ، وهو جبريل ذي القوة الهائلة ، والذي له مكانة عند الله تعالى ، مطاع في السموات أمين على الوحي ، ثم نفى التهمة الباطلة التي ألصقها المشركون بنبيه محمد ﷺ ، وأن محمدًا ﷺ ليس متهمًا فيما يخبر به من أخبار الغيب ، وما يردده من القرآن ليس قول شيطان رجيم ، بل هو ذكر للعالمين إنسًا وجنًا يذكرون به خالقهم لمن أراد أن يستقيم على منهاج الحق ، ثم أخبر أن مشيئته ، وإرادته سابقة لمشيئة خلقه فقال : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

وهذا تفسير موجز لهذه السورة العظيمة ، وإلا فإن الكلام عليها يطول . والله أعلم .

علوم القرآن

فضل قراءة القرآن

١٤٤ - سائل يقول :

ما فضل قراءة القرآن من المصحف ؟

الجواب :

من قرأ القرآن سواء كان من المصحف أو من حفظه فإنه يثاب عليه ، وله الفضل العظيم الوارد في تلاوة القرآن ، ومنها حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات ، لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف » رواه الترمذي ، وقال: حسن صحيح[1] . وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ: « اقرؤوا هذا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه » رواه مسلم[2] . والله أعلم .

(١) سنن الترمذي ، رقم (٢٩١٠) .

(٢) صحيح مسلم ، رقم (٨٠٤) .

الأسباب المعينة على حفظ القرآن

١٤٥ - سائل يقول:

ما الأسباب المعينة على حفظ القرآن الكريم؟

الجواب:

الأسباب المعينة على حفظ كتاب الله هو سؤال المولى جل وعلا ودعاؤه أن ييسر له حفظ القرآن ويعينه عليه ، وأن يكثر من تلاوته آناء الليل والنهار ، ثم البدء في حفظ ما تيسر له مع معرفة معاني كلماته ، ويكثر من ترداد ما حفظ ، والصلاة به ، وبخاصة في صلاة قيام الليل ، ثم التخلق بأخلاق القرآن والعمل بما حفظه ، ولا يقتصر على حفظه فقط ، فقد سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي ﷺ قالت: « كان خلقه القرآن» رواه أحمد وغيره[١] .

ومن الأسباب المعينة أيضًا أن يتذكر المسلم أن لحافظ القرآن فضل عظيم وثواب كبير ، وقد قال رسول الله ﷺ : «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة» رواه مسلم[٢] .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله

(١) مسند أحمد ، رقم (٢٤٦٠١) ، الأدب المفرد للبخاري ، رقم (٣٠٨) ، المعجم الأوسط للطبراني، رقم (٧٢) . .

(٢) صحيح مسلم ، رقم (٧٩٨) .

ﷺ : «من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول ﴿الم﴾ حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف، وميم حرف» رواه الترمذي وحسنه[1] . والله أعلم .

قراءة القرآن

جماعة عند ختمه

١٤٦ - سائل يقول :

ما حكم قراءة القرآن قراءة جماعية ، حيث يقوم جماعة من الناس عند ختمهم للقرآن بقراءة سورة الإخلاص والفلق والناس مع بعضهم ، وكذلك عند قراءة سورة يس ؟

الجواب :

القراءة الجماعية للقرآن جائزة إذا كان للتعلم ، أما بهذه الكيفية ، وبهذه المناسبة ، لأمر مخصوص مثلما ذكر السائل ، أنها تكون عند ختم القرآن ، فهذا أمر محدث في الدين ، لم يفعله النبي ﷺ ولا صحابته الكرام عند ختم القرآن . لذا فإن الواجب تركه . والله أعلم .

---

(١) سنن الترمذي ، رقم (٢٩١٠) .

حكم تلاوة القرآن للغير

١٤٧ - سائلة تقول :

ما حكم تلاوة القرآن للغير ؟

الجواب :

يجوز أن يقرأ المسلم القرآن ليسمع غيره ؛ لما جاء عن ابن مسعود ﵁ قال : «قال لي النبي ﷺ : اقرأ عليَّ القرآن فقلت : يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال : إني أحب أن أسمعه من غيري ، فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت إلى هذه الآية الكريمة ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾[النساء:٤١] قال : حسبك الآن ، فالتفت إليه ، فإذا عيناه تذرفان». متفق عليه[١] .

وربما كان الاستماع من الغير أبلغ أحيانًا في الفهم والتدبر من قراءته بنفسه . والله أعلم .

التغني بالقرآن

١٤٨ - سائلة تقول :

في الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ : « ليس منا من لم يتغن

(١) صحيح البخاري ، رقم (٤٥٨٣) ؛ وصحيح مسلم ، رقم (٨٠٠) .

بالقرآن » هل يشمل هذا الحديث المرأة أيضًا ؟

الجواب :

هذا الحديث رواه أحمد وأبو داود عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه[١] ، والمقصود بالتغني هو تحسين الصوت ، وهو سنة حثنا عليها رسول الله ﷺ ، والحديث يشمل الرجال والنساء إذا قرؤوا القرآن ، لكن المرأة إذا فعلت ذلك فلا ينبغي أن يسمعها الأجانب، إنما تفعله عند محارمها من الرجال وبين النساء . وتحسين القراءة بالقرآن مطلب شرعي ، يثاب القارئ عليه . والله أعلم .

قراءة القرآن
بصوت مرتفع

١٤٩ - سائل يقول :

أرفع صوتي بقراءة القرآن في المسجد بغية إسماع بعض المسنين الذين لم يتعلموا القراءة ، فتبادر لذهني أن هذا رياء ، فما توجيهكم؟

الجواب :

لا شك أن عملك هذا طيب إذا كنت وحدك الذي تقرأ ، فلا

---

(١) مسند أحمد ، رقم (١٤٧٦) ، وأبو داود ، رقم (١٤٦٩) .

بأس أن ترفع صوتك بمقدار ما يسمعونك ، وأما إذا وجد من يقرأ القرآن في المسجد غيرك ، فلا ترفع صوتك حتى لا تشوش عليه ، لما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن المصلي يناجي ربه عز وجل ، فلينظر أحدكم بما يناجي ربه ولا يجهر بعضكم على بعض بالقراءة » رواه أحمد وغيره[١] .

وأما ما يعرض لك مما تحدثك به نفسك أن في عملك رياء ، فإذا كانت نيتك أن يسمعوا وينتفعوا بقراءتك فأنت على خير ، ولا تلتفت لما يعرض لك فإنه من وساوس الشيطان . والله أعلم .

استماع القرآن في الأسواق

١٥٠ - سائل يقول :

هل يجوز لنا الاستماع للأشرطة القرآنية ونحن في داخل السوق علمًا بأن هناك من يستمع إلى الأخبار وغيرها بجانبنا ؟

الجواب :

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ

(١) مسند أحمد ، رقم (٥٣٤٩) ؛ والطبراني في المعجم الكبير ، رقم (١٣٥٧٢) وقال الهيثمي : ورجاله رجال الصحيح .

تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف:٢٠٤] ، والاستماع لا يكون ولا يحصل إلاّ بقصد ونية .

وإذا كان تشغيل الأشرطة القرآنية لا يحصل منه الاستماع والإنصات لها ، فينبغي حينئذ أن تنزه عن تشغيلها في مثل تلك الأماكن ، فإن القرآن أنزل لتلاوته والاستماع إليه والعمل به ، لا ليكون صوتًا وتسلية للباعة ونحوهم فإن القرآن يُجَل عن هذا كله ، وقد نص بعض العلماء كابن عقيل وغيره أن القرآن لا يقرأ في الأسواق ، ولا في مواطن اللغو ومجمع السفهاء تعظيمًا له وإجلالًا . والله أعلم .

تلاوة القرآن بجوار الحمام

١٥١ - سائل يقول :

أسكن في غرفة مترين في مترين والحمام جزء منها ولها باب داخل هذه الغرفة، هل يجوز لي أن أرتل داخل هذه الغرفة وهل يصح لي أن أضع المصحف الذي أرتل فيه داخل هذه الغرفة ؟

الجواب :

ما دام أن الحمام له باب خاص به ، فإنه يعتبر منفصلًا عن الغرفة ، وعليه فلا بأس بقراءة القرآن في هذه الغرفة والتسبيح والتهليل وذكر الله ، وكذا وضع المصحف فيها ، كل ذلك جائز .

والله أعلم .

الطهارة عند قراءة القرآن في الكمبيوتر

١٥٢ - سائل يقول :

نعلم أن قراءة المصحف يشترط لها الطهارة ، فهل قراءة المصحف في الكمبيوتر يشترط لها الطهارة أيضًا ؟

الجواب :

الطهارة تشترط لمس المصحف ، أما القراءة فقط فتصح ممن كان محدثًا حدثًا أصغر ، لكن مس هذه الأجهزة ليس كمس القرآن فلا يشترط لمسها الطهارة ؛ لأنها ليست مصحفًا . والله أعلم .

السلام على قارئ القرآن

١٥٣ - سائل يقول :

هل يجوز إلقاء السلام على قارئ القرآن ؟

الجواب :

يجوز إلقاء السلام على قارئ القرآن ، وعليه أن يرد السلام لما جاء في الأحاديث الصحيحة من مشروعية السلام عند اللقاء ؛

ولكن ذهب بعض العلماء إلى كراهة السلام ، إذا كان السلام فيه تشويش عليه ، ومثله المدرس والمصلي ونحوهم . والله أعلم .

قول صدق الله العظيم

١٥٤ - سائلة تقول:

هل يجوز لقارئ القرآن أن يقول عند نهاية السورة : « صدق الله العظيم» ؟

الجواب :

عبارة (صدق الله العظيم) هذه كلمة حق ولا شك في ذلك ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ **قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ** ﴾[آل عمران:٩٥] ، ويقول سبحانه : ﴿ **وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا** ﴾[النساء:١٢٢] ، لكن كون الإنسان كلما قرأ القرآن وأكمل القراءة ، قال : صدق الله العظيم ، فهذا لم يرد عن النبي ﷺ ولا عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم ، فلا ينبغي قولها ، لكن لو فعلها الإنسان أحيانًا من غير أن يعتقد أنها سنة فلا بأس بذلك . والله أعلم .

تثبيت حفظ القرآن

١٥٥ - سائل يقول :

أحفظ كتاب الله ، وأختم القرآن كل أربعين يومًا ، هل يكفي لتثبيت حفظي لكتاب الله؟

الجواب :

جاء عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال له: «اقرأ القرآن في أربعين» رواه الترمذي وحسنه[١] .

فكل إنسان أدرى بوقته ونشاطه ، فربما استطاع ختمه في ثلاث ، ولا يجوز ختمه في أقل من ذلك ، وربما يستطيع ختمه في خمس أو سبع أو عشر أو أكثر ، كل حسب استطاعته ، كما ورد في حديث عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ قال : قلت : « يا رسول الله في كم أقرأ القرآن؟ قال : اختمه في شهر ، قلت إني أطيق أفضل من ذلك ، قال : اختمه في عشرين، قلت : إني أطيق أفضل من ذلك ، قال : اختمه في خمسة عشر ، قلت : إني أطيق أفضل من ذلك ، قال: اختمه في عشر، قلت : إني أطيق أفضل من ذلك ، قال: اختمه في خمس ، قلت : إني أطيق أفضل من ذلك ، قال : فما رخص لي» رواه الترمذي وحسنه[٢] .

---

(١) سنن الترمذي ، رقم (٢٩٤٧) .

(٢) سنن الترمذي ، رقم (٢٩٤٦) .

وفي رواية : « لم يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث» رواه أحمد وأبو داود والترمذي وقال : حسن صحيح[١] .

وعلى كل حال فعلى المسلم أن يتعاهد القرآن بالقراءة على حسب نشاطه حتى لا ينسى ، وذلك لما جاء عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «تعاهدوا هذا القرآن ، فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الإبل في عقلها » رواه البخاري ومسلم[٢] . والله أعلم.

حفظ القرآن

١٥٦ - سائلة تقول :

إنني أحب حفظ كتاب الله وأداوم على ذلك والحمد لله غير أنني عندما أشرع في الحفظ أشعر بصداع شديد في رأسي ولا أستطيع الإكمال .

الجواب :

ينبغي على السائلة الابتهال إلى المولى عز وجل ، أن يلبسها ثوب الصحة والعافية ، وأن يعينها على حفظ كتاب الله ، وعليها أن تتحصن وتداوم على الأذكار الواردة في الصباح والمساء وعقب

---

(١) مسند أحمد ، رقم (٦٥٣٥) ؛ وسنن أبي داود ، رقم (١٣٩٤) ؛ وسنن الترمذي ، رقم (٢٩٤٩).

(٢) صحيح البخاري ، رقم (٥٠٣٣) ؛ صحيح مسلم ، رقم (٧٩١) .

الصلوات وغيرها من الأذكار، وأن تتعوذ بالله من الشيطان الرجيم فإن هذا ربما كان من وساوس الشيطان الذي يصد المؤمن عن ذكر الله ، فلا تلتفت إلى ذلك ، وتصبر ، وتحتسب ، وتجاهد نفسها في ذلك ، وتعزم على الحفظ ، فإن ذلك يزول بإذن الله . والله الموفق .

حفظ بعض الآيات من السورة

١٥٧ - سائل يقول :

أقوم بقراءة القرآن كثيرًا ، وتعجبني بعض المقاطع من القرآن يسهل علي حفظها ، فأحفظها ، فهل هذا الحفظ جائز ، أم ينبغي أن أحفظ كل السورة ؟

الجواب :

لا بأس بحفظ ما يسهل عليك من آيات بعض السور من كتاب الله تعالى وعدم حفظ الباقي ، والله الموفق .

الجمع بين آيتين

١٥٨ - سائل يقول :

كيف نجمع بين الآيتين الكريمتين : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ

يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ ؟

الجواب :

يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣] .

فهذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة، وإخبار بأن الله يغفر الذنوب جميعا لمن تاب منها ورجع عنها، وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر.

جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما « أن ناسًا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا ، فأتوا محمدًا ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة. فنزل: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان:٦٨]، ونزل قوله : ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾» رواه البخاري ومسلم(١) .

فجميع الذنوب بما فيها الشرك إذا تاب منها العبد في الدنيا فإن الله يغفرها جميعًا ، كما قال ﷺ : « أما علمت أن الإسلام يجب ما قبله من الذنوب » رواه أحمد(٢) .

وأما في الآخرة فإن الله سبحانه يغفر جميع الذنوب لمن شاء

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (٤٨١٠) ؛ وصحيح مسلم ، رقم (١٢٢) .

(٢) مسند أحمد ، رقم (١٧٨٢٧) .

من عباده إلا ذنب الشرك فإن الله لا يغفره وهو ما دل عليه قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨] ، والله تعالى أعلم .

نسيان القرآن الكريم

١٥٩ - سائل يقول :

هل يأثم من حفظ شيئًا من القرآن الكريم ، ثم اشتغل بأمور الدنيا فنسي ما حفظه ؟

الجواب :

ينبغي على من حفظ شيئًا من القرآن أن يتعاهد حفظه حتى لا ينساه ، وقد نبه الرسول ﷺ إلى هذا الأمر في الحديث الذي رواه أبو موسى رضي الله عنه عن النّبي ﷺ قال :« تعاهدوا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الإبل في عقلها » رواه البخاري ومسلم[1] . لكن من نسي منه شيئًا فلا إثم عليه إن شاء الله ، لكنه فرط بأمر عظيم ، والله أعلم .

أخذ الأجرة على القرآن

(١) صحيح البخاري ، رقم (٥٠٣٣) ؛ صحيح مسلم ، رقم (٧٩١) .

١٦٠ - سائل يقول:

هل يجوز إعطاء شخص بعينه مالًا مقابل أن يقرأ بهذا المال القرآن؟

الجواب:

إذا كان على سبيل الرقية وأعطي القارئ ما تيسر من المال فلا بأس، لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : « أن رهطا من أصحاب رسول الله ﷺ انطلقوا في سفرة سافروها حتى نزلوا بحي من أحياء العرب، فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم، فلدغ سيد ذلك الحي، فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء، فقال بعضهم لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين قد نزلوا بكم لعله أن يكون عند بعضهم شيء، فأتوهم فقالوا : يا أيها الرهط إن سيدنا لدغ، فسعينا له بكل شيء لا ينفعه شيء، فهل عند أحد منكم شيء؟ فقال بعضهم: نعم والله إني لراق، ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا، فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلا، فصالحوهم على قطيع من الغنم، فانطلق فجعل يتفل ويقرأ الحمد لله رب العالمين حتى لكأنما نشط من عقال، فانطلق يمشي ما به قلبة، قال فأوفوهم جُعْلهم الذي صالحوهم عليه، فقال بعضهم اقسموا، فقال الذي رقى لا تفعلوا حتى نأتي رسول الله ﷺفنذكر له الذي كان فننظر ما يأمرنا، فقدموا على رسول الله ﷺ فذكروا له فقال وما يدريك أنها رقية؟

أصبتم، اقسموا واضربوا لي معكم بسهم » أخرجه البخاري[١] .

أما إذا كانت القراءة على سبيل التعليم أو نحو ذلك فقد اختلف العلماء في جواز أخذ المال مقابل ذلك ، والأولى عدم أخذه إذا لم يكن محتاجًا. والله أعلم.

تراجم القرآن ليس لها حكم القرآن

١٦١ - **سائل يقول :**

هل تراجم القرآن لها حكم القرآن ؟

الجواب :

القرآن الكريم هو كلام الله عز وجل ، ولذا فإنه لا يجوز أن يترجم القرآن للغة أخرى ، لكن الجائز هو أن تترجم معانيه ، لكنها إذا ترجمت لا تكون كالقرآن؛ لأن القرآن كلام الله ، وهذه المعاني هي اجتهاد من البشر ، والقرآن معجز بلفظه ؛ لأنه من الله ، أما هذه التراجم فليست كذلك ؛ لأن الذي يقوم بهذه الترجمة بشر يخطئ ويصيب ، وليس في لفظه إعجاز ، وكذلك القرآن يتعبد المسلم بتلاوته ، وله بكل حرف حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، أما الترجمة فليست كذلك .

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (٥٧٤٩) .

وهكذا في مسائل كثيرة ، فليست تراجم القرآن تأخذ حكم القرآن ، لكن التراجم الصحيحة للقرآن يجب على من لا يحسن العربية أن يقرأها ؛ ليعرف أحكام دينه ، ويلزمه العمل بما فيها ، لا لذاتها ، ولكن عملًا بأصلها وهو القرآن الكريم . والله أعلم .

الصبر قرين الصلاة

١٦٢ - سائل يقول :

لماذا قرن الله سبحانه وتعالى الصبر بالصلاة في قوله تعالى : ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥] ؟

الجواب :

لما كانت الصلاة أهم ما افترضه الله تعالى على عباده، وأجل ما كُلف به المسلم من الطاعات، قُرن بها ما يعين على أدائها والمداومة عليها، فالصبر من أعظم الأمور التي يستعين بها المسلم على ما افترض الله عليه، فلا صوم بلا صبر، ولا بر بالوالدين ولا اجتناب للفواحش دونه، وقد نبه الله سبحانه وتعالى على الصبر في الطاعات وبخاصة الصلاة، لعظم أمرها ، وتكررها في كل يوم وليلة ، فما تفريط المفرطين في صلاتهم إلا لعدم صبرهم على ما كلفهم ربهم به منها في اليوم والليلة، ولا يداوم عليها إلا من منَّ الله عليه بالصبر، فهو مطية كل الطاعات ولا سبيل لأدائها دونها، والله أعلم.

الجمع بين آيات ظاهرها التعارض

١٦٣ - سائل يقول :

قال الله تعالى : ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ [الصافات: ٢٤] ، وقال تعالى : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾ [الرحمن: ٣٩] ، وقال عز وجل : ﴿ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [القصص: ٧٨] . كيف نجمع بين هذه الآيات ؟ وما هو الصواب في تفسيرها ؟

الجواب :

كلام الله جل وعلا ليس فيه شيء من التعارض بحمد الله ، بل آياته يصدق بعضها بعضًا ، ويفسر بعضها بعضًا ، وفي قوله تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ أي: قفوهم يسألوا عن أعمالهم وأقوالهم التي صدرت عنهم في الدنيا ، أما قوله تعالى : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾ قال قتادة : قد كانت مسألة ثم ختم على أفواه القوم ، وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ، وقال ابن عباس : لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا ؛ لأنه أعلم بذلك منهم ولكن يقول : لم عملتم كذا وكذا ؟

وقال مجاهد في هذه الآية : لا تسأل الملائكة عن المجرمين بل يعرفونهم بسيماهم ، وقال ابن كثير بعد سرده لهذه الأقوال الثلاثة : وكان هذا بعدما يؤمر بهم إلى النار فذلك الوقت لا يسألون عن

ذنوبهم بل يقادون إليها ويلقون فيها .

أما قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ فهذا السؤال للاستعلام والاستفسار ، فإنه تعالى مطلع عليها معاقبهم عليها لا محالة ولا يتنافى هذا مع سؤالهم في وقت آخر كما هو الحال في قوله تعالى : ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ سؤال توبيخ وإهانة، وكما في قوله تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر:٩٢-٩٣] ، فالآيات ليست متعارضة ، وإنما لكل آية تفسير يناسب السياق الذي وردت فيه . والله أعلم .

كتب التفسير الموثوقة

١٦٤ - سائل يقول :

ما أحسن كتب التفسير الموثوقة ؟

الجواب :

قد صنف أئمة الإسلام كتبًا في التفسير ولا تزال كتب التفسير تظهر في كل عصر ، وهذا لعظمة القرآن وبلاغته ، وإن من أحسن كتب التفسير تفسير جامع البيان للإمام ابن جرير الطبري رحمه الله فإنه من أحسنها لأنه قائم على تفسير القرآن بالقرآن والسنة ، وكذا تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير رحمه الله . ومن كتب التفسير المعاصرة تفسير الشيخ صديق حسن خان وتفسير الشيخ ابن سعدي رحمه الله وهو تفسير مختصر بعبارة واضحة وهو من أنفع التفاسير لعامة الناس.

أحكام المصحف

حكم تقبيل المصحف

١٦٥ - سائلة تقول :

هل يجوز تقبيل المصحف ، وهل فاعله آثم وهو يعلم أنه لا يضر ولا ينفع ولكن تعظيمًا لكلام الله عز وجل ؟

الجواب :

إذا كان تقبيلها المصحف بقصد تعظيم كلام الله جل وعلا وفعلته أحيانًا ، فلا بأس بذلك إن شاء الله ، لكن لا ينبغي ملازمة ذلك .

وعليها أن تعلم أن تعظيم القرآن يكون باتباع ما فيه من أمر ونهي والتدبر لآياته ، والعمل بما فيه ، مع حفظه وصيانته والتطهر قبل مسه ، وغير ذلك . والله ولي التوفيق .

حكم وضع المصحف على الأرض

١٦٦ - سائل يقول :

ما حكم وضع المصحف الشريف على الأرض ؟

الجواب :

الأولى عدم وضعه على الأرض إجلالًا وإكرامًا له .

قراءة القرآن من المصحف

١٦٧ - سائل يقول :

هل يجب على المسلم عند قراءة القرآن أن يكون على وضوء؟ وهل يجوز له في حال القراءة إذا خرج منه الريح أن يكمل القراءة أم أن هذا الأمر يوجب على المسلم الغسل؟

الجواب :

إذا كان القارئ يقرأ من حفظه ولم يكن جنبًا فإنه لا يجب عليه الوضوء .

وأما إذا أراد أن يقرأ من المصحف فلا يجوز له مس المصحف بغير وضوء، وإذا كان القارئ جنبا أو امرأة حائضا أو نفساء لا يجوز لهم قراءة القرآن ولو من حفظهم ، إلا أن تقرأ الحائض والنفساء من حفظهما إذا خشيتا النسيان .

وأما من خرج منه ريح عند القراءة فإنه يتوقف عن القراءة إذا كان يقرأ من المصحف حتى يتوضأ ؛ فعن عبد الله بن أبي بكر ابن حزم قال: إن في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمرو بن

حزم « أن لا يمس القرآن إلا طاهر» رواه مالك وغيره[1] . أما إذا لم يكن يقرأ من المصحف فلا يلزمه الوضوء. والله أعلم .

كتابة التاء في المصحف

١٦٨ - سائل يقول :

لماذا كتبت التاء مفتوحة في بعض الآيات كقوله تعالى : ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [هود: ٧٣] ؟وما الحكمة في ذلك ؟

الجواب :

المصاحف التي بين أيدينا مكتوبة حسب الرسم العثماني ، وهو الرسم الذي أمر عثمان رضي الله عنه أن يكتب به القرآن. وعلى مقتضى هذا الرسم أبدلت هاء الأسماء المؤنثة في بعض المواضع تاء مفتوحة فمثلًا : (رحمة) كتبت في مواضع أخرى بالتاء المفتوحة (رحمت) وكذلك (لعنة) أبدلت في مواضع أخرى تاء فكتبت (لعنت).

وقد علل بعض العلماء ذلك بأن المراد هو أن يستوعب الرسم العثماني جميع لغات العرب ، فعرب طيء على خلاف غيرهم ،

---

(١) الموطأ ، رقم (٦٨٠) ؛ سنن الدارقطني ، رقم (٤٣٩) ؛ وسنن البيهقي الصغير ، رقم (٩٩٦) .

كانوا ينطقون التاء عند الوقف عليها ، فكلمة (رحمة) ينطقونها عند الوقف عليها (رحمت) . والله تعالى أعلم .

النداء في القرآن للجنسين

١٦٩ - سائلة تقول :

يظُنُّ بعض النِّساء أنَّ النِّداءات في القرآن خاصة بالرِّجال فقط . فهل من توضيح حول هذا الأمر ؟

الجواب :

الصحيح من كلام العلماء أن النِّداءات في القرآن ليست خاصّة بالرِّجال ، بل بالمؤمنين كلهم رِجالًا ونساءً ، غير أن هناك نداءات تخص الرِّجال وحدهم ، أو نداءات تخص النِّساء وحدهن، وهذا ظاهر في الأسلوب القرآني في مخاطبة الجنسين ، يقول تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٣٥] ، فهنا فرق سبحانه بين الجنسين كل على حدة،ومثل قوله تعالى للمؤمنين: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ

﴿ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴾ [النور: ٣٠] ، وقوله تعالى للمؤمنات : ﴿ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ [النور:٣١] . وما عدا ذلك فالأصل فيه دخول النساء مع الرجال ، فإن القرآن أنزل للجميع ذكرهم وأنثاهم ، والله أعلم .

المخاطبة بضمير المؤنث والمذكر

١٧٠ - سائل يقول :

لماذا خاطب الله تعالى النحل في سورة النحل بضمير المؤنث إذ قال تعالى:﴿ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا ﴾ [النحل:٦٨] ، وخاطب النمل في سورة النمل بضمير المذكر ﴿قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ﴾ [النمل:١٨] ؟

الجواب :

النحل جنس ، واحده نحلة ، ويؤنث في لغة الحجاز ، ولذلك قال سبحانه : ﴿أَنِ ٱتَّخِذِي﴾ .

وأما ما جاء من مخاطبة النمل بصيغة المذكر في قوله سبحانه : ﴿ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ﴾ فهذا يكون فيها لا تعرف ذكورته من أنوثته كالنملة والقملة وغيرهما ، ولا يدل كونه يخبر عنه إخبار المؤنث في قوله سبحانه : ﴿قَالَتۡ﴾ على أنه ذكر أو أنثى ، لأن التاء هنا دخلت فيه للفرق ، لا دالة على التأنيث الحقيقي، بل دالة على الواحد من هذا الجنس. والله أعلم .

مواضع سجود التلاوة

١٧١ - سائل يقول :

ما هو سجود التلاوة ؟ وما حكمه ؟ وما هي المواضع التي سجد فيها النبي ﷺ سجود التلاوة وهو في الصلاة ؟

الجواب :

سجود التلاوة هو السجود الذي كان سببه تلاوة آية من آيات السجدة ، وقد كان رسول الله ﷺ إذا مر بآية فيها سجدة سجد سواءً كان في الصلاة أم في غيرها ، وهو سنة ؛ لقول عمر رضي الله عنه : « يا أيها الناس إنما نمر بالسجود فمن سجد فقد أصاب ومن لم يسجد فلا إثم عليه » رواه البخاري[1] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : « كان رسول الله ﷺ يقرأ علينا السورة في غير الصلاة ، فيسجد ، ونسجد معه ، حتى لا يجد أحدنا مكانًا لموضع جبهته » رواه البخاري[2] .

والسجود سنة للقارئ والمستمع دون السامع ؛ لقول عثمان رضي الله عنه: « إنما السجدة على من جلس لها » أي من جلس

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (١٠٧٧) .

(٢) صحيح البخاري ، رقم (١٠٧٩) .

لسماع تلاوة القرآن . رواه البيهقي وابن أبي شيبة[١] .

ومواضع سجود التلاوة في القرآن أربع عشرة سجدة وهي في الأعراف ، والرعد ، والنحل ، والإسراء ، ومريم ، وفي الحج اثنتان، والفرقان ، والنمل ، والسجدة ، وفصلت ، والنجم ، والانشقاق ، واقرأ باسم ربك .

وقد سجد رسول الله ﷺ في مواضع منها : ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما : « أن النبي ﷺ سجد بالنجم » أخرجه البخاري[٢] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « سجدنا مع رسول الله ﷺ في ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ و﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾» أخرجه مسلم[٣] .

وروى ابن المنذر وغيره عن علي بن أبي طالب بإسناد حسن «أن العزائم : ﴿ حم ﴾ ، و﴿ النجم ﴾ ، و﴿ اقرأ ﴾ ، و﴿ ألم تنزيل ﴾، وكذا ثبت عن ابن عباس في الثلاثة الأخر ، وقيل : ﴿ الأعراف ﴾ ، و﴿سبحان﴾،و﴿حم﴾،و﴿ ألم﴾».أخرجه ابن أبي شيبة[٤] .والله أعلم.

---

(١) سنن البيهقي ، رقم (٣٧٦٨) ، ومصنف ابن أبي شيبة ، رقم (٤٢١٦) ، وصححه ابن حجر في الفتح ٢/ ٥٥٨ .

(٢) صحيح البخاري ، رقم (١٠٧١) .

(٣) صحيح مسلم ، رقم (٥٧٨) .

(٤) المصنف ، رقم (٤٣٤٩) .

الطهارة لقراءة القرآن

١٧٢ - سائلة تقول :

ما هي الطهارة المطلوبة عند قراءة القرآن ؟

الجواب :

يشترط لتلاوة القرآن الطهارة من الحدث الأكبر ، فلا تجوز تلاوته للجنب ولا الحائض ولا النفساء ، لما جاء عن علي رضي الله عنه : « أن النبي ﷺ لم يحجبه ، أو قال يحجزه عن قراءة القرآن شيء ليس الجنابة» رواه أبو داود والنسائي والترمذي ، وقال : حسن صحيح[1] .

قال في المغني : « وإذا ثبت هذا في الجنب ففي الحائض أولى ؛ لأن حدثها آكد ، ولذلك حرم الوطء ، ومنع الصيام ، وأسقط الصلاة ، وساواها في سائر أحكامها » انتهى .

ويجوز للمرأة الحائض والنفساء إذا خشيت نسيان القرآن أن تقرأ من حفظها . والله أعلم .

---

(١) سنن أبي داود ، رقم (٢٢٩) ؛ والترمذي ، رقم (١٤٦) ، والنسائي ، برقم (٢٦٥) ، وحسنه ابن حجر في فتح الباري .

مس المصحف لغير المتوضئ

١٧٣ - سائل يقول :

هل يجوز لمن أحدث حدثًا أصغر ولم يتوضأ أن يمسّ المصحف ؟

الجواب :

لا يجوز للمحدث أن يمسّ المصحف إلا بعد الوضوء ؛ لقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴾ [الواقعة:٧٦-٧٩] ؛ ولحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «لا يمسّ القرآن إلا طاهر» رواه الطبراني وغيره[١] . والله أعلم .

قراءة القرآن لغير المتوضئ

١٧٤ - سائل يقول :

هل من الممكن أن أقرأ القرآن في أي وقت وفي أي زمان وأنا لست على وضوء ؟

---

(١) رواه البيهقي في سننه ، رقم (٤١٧) ؛ والدارقطني ، رقم (٤٤٧) ؛ والطبراني في الكبير ، رقم (١٣٢١٧).

الجواب :

نعم يجوز قراءة القرآن والذكر والتسبيح ولو لم يكن على طهارة ؛ لأنه جاء في الحديث عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : «كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه» رواه مسلم[١] ، إلا أن يكون جنبًا أو تكون المرأة حائضًا فإنه حينئذ لا تجوز تلاوة القرآن خاصة ، لقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه : «كان رسول الله ﷺ يقرئنا القرآن على كل حال ما لم يكن جنبا » رواه أحمد والترمذي وحسنه[٢] ، والحائض في معناه.

فالجنابة والحيض يمنعان من قراءة القرآن ، أما غير هذا من الأذكار ونحوه فلا بأس .

أما إذا احتاج القارئ لمس المصحف ، فلا بد أن يكون على طهارة؛ لقول الله عز وجل : ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴾[الواقعة:٧٩]. والله أعلم.

مس شريط القرآن ونحوه

١٧٥ - سائل يقول :

هل يجوز للجنب أو الحائض والنفساء مس الشريط القرآني

(١) صحيح مسلم ، رقم (٣٧٣) .

(٢) مسند أحمد ، رقم (٦٢٧) ؛ والترمذي ، رقم (١٤٦) .

المسجل أو حمله ، وكذلك أجهزة الراديو المحمولة وقت إذاعتها للقرآن الكريم ؟

الجواب :

لا حرج في حمل أو لمس الشريط المسجل عليه القرآن الكريم لمن كان عليه جنابة ونحوها ؛ لأنه ليس بمس للقرآن . والله أعلم .

أحكام بعض السور

البسملة من الفاتحة

١٧٦ - سائل يقول :

هل البسملة آية من فاتحة الكتاب أم لا ؟

الجواب:

اختلف العلماء في البسملة ولهم في ذلك أقوال وأدلة كثيرة ، والخلاف فيها مشهور ، وقد صنف بعض العلماء فيها رسائل مستقلة ، ولعل الراجح في هذه المسألة والعلم عند الله تعالى أنها بعض آية من سورة النمل ، وهي آية مستقلة ، وليست من الفاتحة ، ويدل على هذا حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله تعالى : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، فنصفها لي ونصفها لعبدي ، ولعبدي ما سأل ، قال رسول الله ﷺ : اقرءوا ، يقول العبد : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ، يقول الله عز وجل : حمدني عبدي ، يقول: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ، يقول الله عز وجل : أثنى علي عبدي ، يقول العبد : ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ ، يقول الله عز وجل : مجدني عبدي ، يقول العبد : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ يقول الله : هذه بيني وبين عبدي ، ولعبدي ما سأل ،

يقول العبد : ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ يقول الله : فهؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل » رواه مسلم[1] . لكن ينبغي للمسلم أن لا يدع البسملة في صلاته قبل الفاتحة ؛ لأن قراءة الفاتحة ركن من أركان الصلاة ، فينبغي له قراءتها خروجًا من الخلاف . والله أعلم .

الاستعاذة والبسملة
عند القراءة من وسط السورة

١٧٧ - سائل يقول :

عند تلاوة القرآن من وسط السورة هل أبسمل وأتعوذ؟ أم أتعوذ فقط؟

الجواب :

الاستعاذة تكون في أول قراءة السورة قبل البسملة أو عند القراءة من أثناء السورة لقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل:٩٨] ، وأما البسملة فتكون عند قراءة أول السورة ، والله أعلم .

(١) صحيح مسلم ، رقم (٣٩٥) .

سورة الممتحنة

بكسر الحاء وفتحها

١٧٨ - سائل يقول :

هل سورة الممتحنة بكسر الحاء أو فتحها وما سبب التسمية بهذا الاسم ؟

الجواب :

السورة هي الممتحِنة بالكسر . ولكن فيها وجه آخر أنه يقال لها : الممتحَنة ، بفتح الحاء . والأشهر بالكسر ، لأن السورة هذه ورد فيها الامتحان ، فسميت بذلك ؛ لأنهم يمتحنون ، فالسورة لا تُمتحن لكن يمتحن ما جاء فيها ، فهي ممتحنة .

ويرى بعض العلماء أنها الممتحَنة ، وذلك أن المرأة التي تفر من الكفار، وتأتي للمسلمين مسلمة ، مهاجرة بدينها ، تمتحَن إذا جاءت ، فسميت ممتحَنة لذلك ، ولذا قال سبحانه وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾ [الممتحنة: ١٠] ، فهذا هو سبب التسمية . والله أعلم .

ما يقال بعد قراءة
سورتي التين والقيامة

١٧٩ - سائل يقول :

هل كان النبي ﷺ يقول بعد قراءة سورة التين : (بلى وأنا على ذلك من الشاهدين) وبعد سورة القيامة : (سبحانك وبلى) ؟

الجواب :

ينبغي لمن قرأ خاتمة هاتين السورتين أو سمعهما أن يقول بعدها : سبحانك وبلى، أو يقول : بلى وأنا على ذلك من الشاهدين؛ لما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ منكم ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ ، فانتهى إلى آخرها ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ ، فليقل : بلى وأنا على ذلك من الشاهدين . ومن قرأ ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فانتهى إلى ﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ ، فليقل: بلى» أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي[١] . والله أعلم .

التكبير عقب بعض السور

١٨٠ - سائل يقول :

هل التكبير عقب القراءة من سورة الضحى إلى سورة الناس

(١) مسند أحمد ، رقم (٧٣٩١) ، وأبو داود ، رقم (٨٨٧) ، والترمذي ، رقم (٣٣٤٧) .

من السنن المهجورة ؟

الجواب :

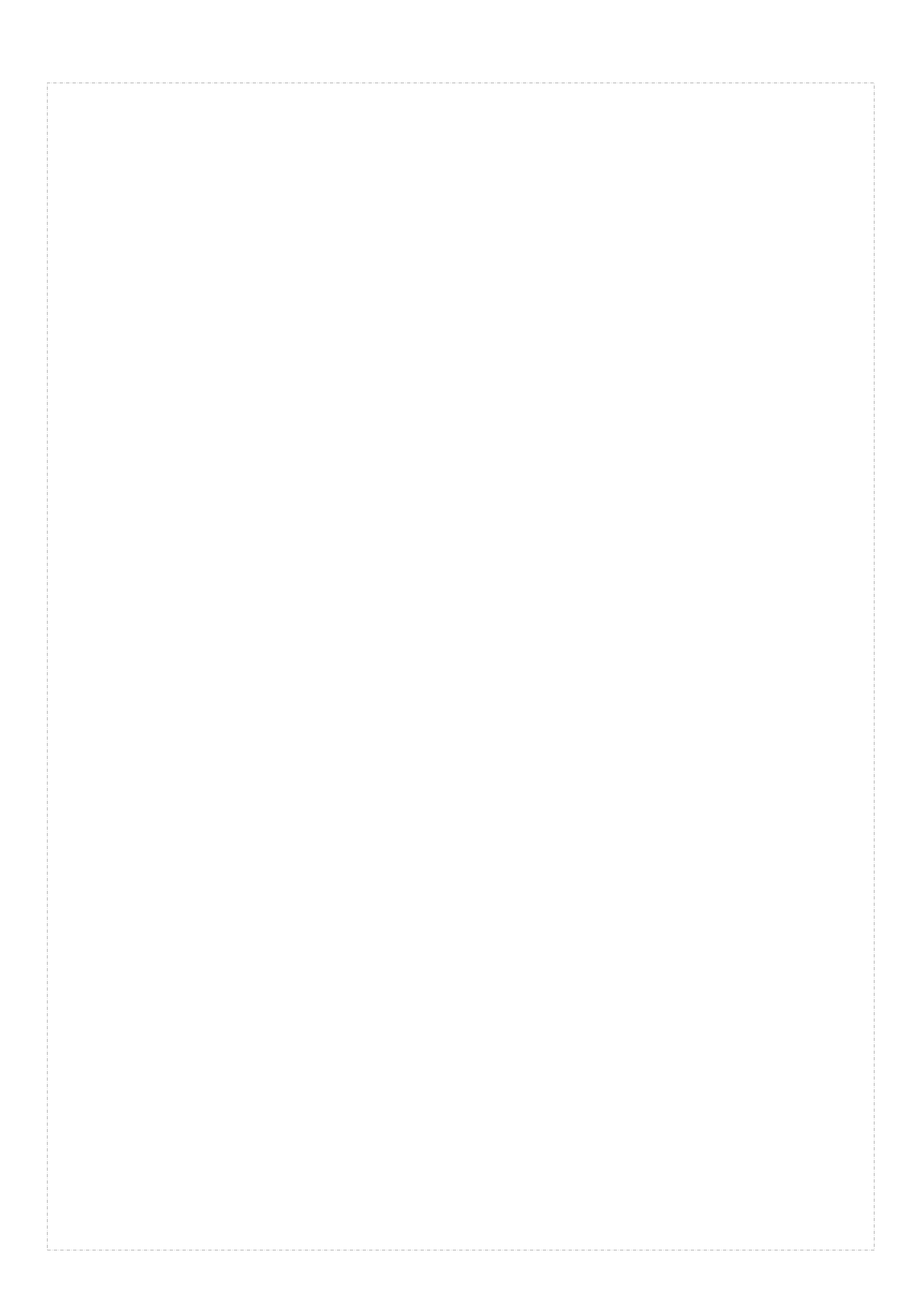
استحب بعض الفقهاء التكبير عند آخر كل سورة من الضحى إلى آخر القرآن ؛ لأنه روي عن أبي بن كعب رضي الله عنه: « أنه قرأ على النبي ﷺ فأمره بذلك» رواه الحاكم والبيهقي[١] .

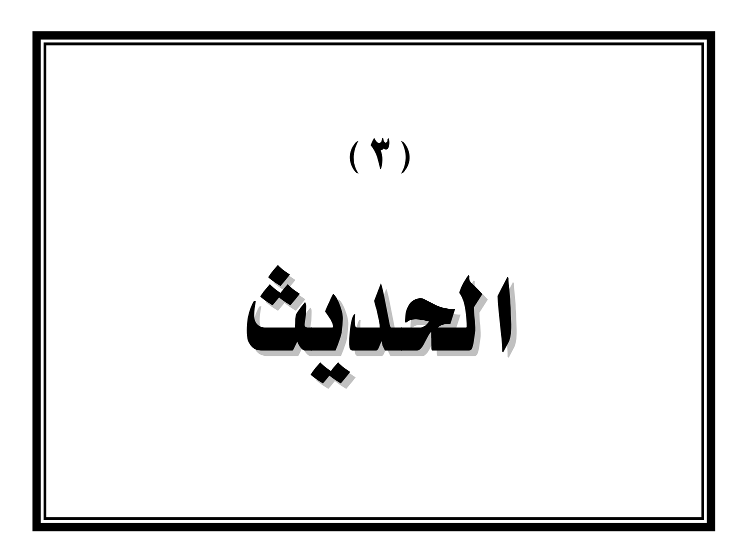
وورد ذلك أيضًا عن بعض القراء كالبزي حتى انتشر في بعض الأمصار فصار عليه عمل بعض الناس .

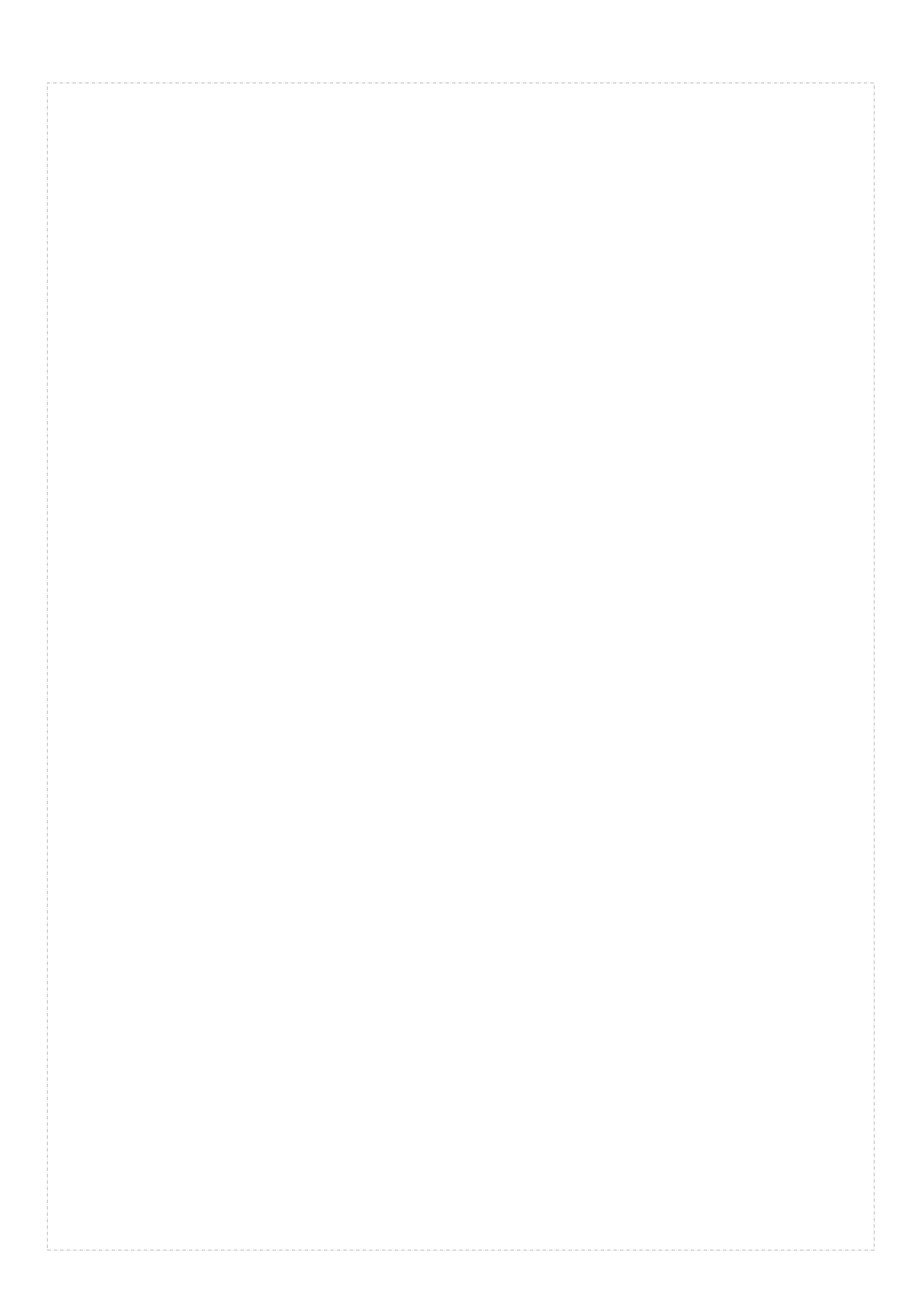
والراجح والعلم عند الله أن التكبير عقب قراءة سورة الضحى وما بعدها إلى سورة الناس ليس بسنة ، فإن ذلك لم يثبت عن رسول الله ﷺ ولا عن أحد من الصحابة ، فالواجب ترك ذلك والله أعلم .

---

(١) المستدرك ، رقم (٥٣٢٥) ، والبيهقي ، رقم (٢٠٧٨) ، وقال أبو حاتم : حديث منكر .




(٣)
الحديث



أحاديث الطهارة

إسباغ الوضوء

١٨١ - سائل يقول :

ما معنى حديث : « إسباغ الوضوء على المكاره » ؟

الجواب :

الحديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ، ويرفع به الدرجات ، قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط» رواه مسلم[١] .

ومعنى إسباغ الوضوء : أي إتمامه وإكماله باستيعاب المحل بالغسل مع البرد الشديد أو العلل التي يتأذى معها بمس الماء ، ومع إعوازه، والحاجة إلى طلبه ، والسعي في تحصيله ، ونحوها مما يشق . والله أعلم .

(١) صحيح مسلم ، رقم (٢٥١) .

معنى حديث

«ويل للأعقاب من النار»

١٨٢ - سائل يقول :

ما معنى الحديث الذي فيه « ويل للأعقاب من النار » ؟

الجواب :

هذا الحديث رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : «تخلف النبي ﷺ عنا في سفرة سافرناها ، فأدركنا ، وقد أرهقنا العصر ، فجعلنا نتوضأ ، ونمسح على أرجلنا ، فنادى بأعلى صوته: ويل للأعقاب من النار مرتين أو ثلاثًا» رواه البخاري ومسلم[١] .

ومناسبة الحديث أن الصحابة رضي الله عنهم كأنهم أخروا الصلاة في أول الوقت طمعًا أن يلحقهم النبي ﷺ فيصلوا معه ، ويحتمل أيضا أن يكونوا أخروا الصلاة لكونهم على طهر ، أو لرجاء الوصول إلى الماء ، فلما ضاق الوقت بادروا إلى الوضوء ، فحذرهم النبي ﷺ من التساهل في غسل الأعقاب.

والمقصود بالعقب : مؤخر القدم ، والمعنى : ويل لأصحاب الأعقاب المقصرين في غسلها . والله أعلم .

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (٦٠) ، صحيح مسلم ، رقم (٢٤٢) .

حديث « من أتى حائضًا
فقد كفر بما أنزل على محمد »

١٨٣ - سائل يقول :

« من أتى حائضًا فقد كفر بما أنزل على محمد » هل هو حديث صحيح أم غير صحيح ؟

الجواب :

هذا الحديث رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه[1]، واختلف العلماء في صحته ، وممن ضعفه ابن حجر في التلخيص الحبير .

حديث « من رأى
منكم عورة فسترها »

١٨٤ - سائل يقول :

حديث « من رأى منكم عورة فسترها كان كمن أحيا موؤدة» هل هذا الحديث صحيح ؟ وإذا كان كذلك فمن الذي رواه ؟ ومن الذي أخرجه ؟ وما معنى موؤدة ؟

---

(١) أحمد ، رقم (١٧٣٣١) ، وأبو داود ، رقم (٤٨٩١) ؛ والترمذي ، رقم (١٣٥) ؛ وابن ماجه ، رقم (٦٣٩) .

الجواب :

الموؤدة : هي ما كان يفعله بعض الناس في الجاهلية قبل الإسلام إذا ولد للرجل منهم بنت فإنه يقتلها، وربما حفر لها حفرة، ودفنها وهي حية ، إما خوفًا من العار : يخشى أن يحصل منها شيء إذا كبرت ، ويصير عارًا عليه ، وهذا الذي أشار إليه القرآن في قوله سبحانه : ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾ [التكوير :٨-٩] ، وإما من أجل النفقة : فبعضهم تثقل عليه النفقة ، فيقتل ابنته لتخلص من نفقتها ، وقد نهى الله جل وعلا عن ذلك بقوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ [الإسراء : ٣١] أي خشية الفقر ، فكانوا يقتلون أولادهم – الذكور والإناث – خوفًا من الفقر من أجل ما ينفقون عليهم، كما قال النبي ﷺ لما سئل:أي الذنب أعظم؟ قال : « أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك» فالقتل إما في الذكور وإما في الإناث ، وأكثر ما يقع في الإناث ، وهذا هو فعلهم .

أما الحديث ، فقد رواه البخاري رحمه الله في الأدب المفرد ، وأبو داود والنسائي والحاكم من حديث عقبة بن عامر ، وصححه، ووافقه الذهبي[1] ، غير أن بعض أهل العلم ضعفوه، وعلة الحديث أبو الهيثم مولى عقبة بن عامر واسمه كثير. لكن ثبتت أحاديث

---

(١) الأدب المفرد ، رقم (٧٥٨) ، وأبو داود ، رقم (٤٨٩١) ، والنسائي في الكبرى ، رقم (٧٢٤١)، والمستدرك للحاكم ، رقم (٨١٦٢) .

صحيحة في الحث على الستر ، كما في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة ، فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة »[1] . وبالله التوفيق .

(١) صحيح البخاري ، رقم (٢٤٤٢) ؛ صحيح مسلم ، رقم (٢٥٨٠) .

أحاديث الصلاة

حديث « من صلى بعد المغرب عشرين ركعة »

١٨٥ - سائل يقول :

حديث : « من صلى بعد المغرب عشرين ركعة بني له بيت في الجنة » هل هو حديث صحيح ؟

الجواب :

هذا الحديث ضعيف[١] ، ولكن وردت أحاديث صحيحة في فضل الصلاة بين المغرب والعشاء . وذكر ابن كثير في تفسيره عن أنس بن مالك وأبي العالية رضي الله عنهما في قول الله تعالى : ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ [الذاريات:١٧] ، قالا : «هو الصلاة بين المغرب والعشاء»[٢] . والله أعلم .

---

(١) ذكره الترمذي عقب الحديث رقم (٤٣٥) ، وضعفه .

(٢) تفسير ابن كثير ٧/ ٣٨٩ .

حديث « من صلى بعد العشاء أربع ركعات »

١٨٦ - سائل يقول :

حديث : « من صلى بعد العشاء أربع ركعات كتب له مثل قنوت ليلة القدر» . هل هو حديث صحيح ؟

الجواب :

الحديث ضعيف رواه الطبراني في الكبير ولفظه عن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال : « من صلى العشاء في جماعة ، وصلى أربع ركعات قبل أن يخرج من المسجد كان كعدل ليلة لقدر»[1] . والله أعلم .

صحة حديث « من صلى بعد العشاء ركعتين »

١٨٧ - سائل يقول :

حديث : « من صلى بعد العشاء ركعتين قرأ في الأولى سورة السجدة وفي الثانية بسورة الملك كتب له مثل قنوت ليلة القدر» . هل هذا حديث صحيح ؟

(١) المعجم الكبير ، رقم (١٣٨٠٠) ، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٣١) .

الجواب :

الحديث ضعيف ، وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ أنه قال : « من صلى أربع ركعات خلف العشاء الأخيرة قرأ في الركعتين الأوليين ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ و ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ وفي الركعتين الأخريين تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك ، كتبن له كأربع ركعات من ليلة القدر» . رواه الطبراني في الكبير[1] وفيه يزيد بن سنان أبو فروة الرهاوي ضعفه أحمد وابن المديني وابن معين . والله أعلم .

صحة حديث « ما من عبد مسلم يصلي في كل يوم ثنتي عشرة ... »

١٨٨ - سائل يقول :

حديث « ما من عبد مسلم يصلي في كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعًا بنى الله له بيتًا في الجنة » هل هو حديث صحيح ؟

الجواب :

هذا الحديث صحيح رواه مسلم وغيره[2] ، والمراد بهذه الاثنتي

(١) المعجم الكبير ، رقم (١٢٢٤٠) .

(٢) صحيح مسلم ، رقم (٧٢٨) .

عشرة ركعة السنن الراتبة ، التي هي أربع قبل الظهر ، وركعتان بعدها ، وركعتان بعد المغرب ، وركعتان بعد العشاء ، وركعتان قبل الفجر . والله أعلم .

معنى حديث « من أدرك مع الإمام التكبيرة الأولى أربعين يومًا »

١٨٩ - سائل يقول :

ورد في الحديث « من أدرك مع الإمام التكبيرة الأولى أربعين يومًا كتبت له براءتان براءة من النفاق وبراءة من النار » هل لابد أن تكون الأربعين يومًا متتابعة أم أن هذه الأربعين من العمر كله ؟

الجواب :

ظاهر الحديث أن تكون الأربعين يومًا متتابعة ؛ لأن هذا دليل على التزامه بصلاة الجماعة. غير أن الحديث رواه أحمد والترمذي في سننه وضعفه ، وكذلك ضعفه ابن حجر في التلخيص[1] . والله أعلم.

---

(١) مسند أحمد ، رقم (١٢٥٨٣) ؛ وسنن الترمذي ، رقم (٢٤١) ؛ وضعفه ابن حجر في التلخيص الحبير ٢/ ٦٨ .

معنى حديث

« أعني على نفسك بكثرة السجود »

١٩٠ - سائل يقول :

قوله ﷺ : « أعني على نفسك بكثرة السجود » ، فما السجود المقصود في الحديث ؟ هل هو سجود التلاوة أم أنه سجود قصده الرسول ﷺ.

الجواب :

الحديث رواه ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه قال : «كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته ، فقال لي : سل ، فقلت : أسألك مرافقتك في الجنة . قال : أو غير ذلك ؟ قلت : هو ذاك ، قال : فأعني على نفسك بكثرة السجود» رواه مسلم[1] ، ومعنى كثرة السجود أي كثرة الصلاة ، لأن السجود في الصلاة ، وأما سجود التلاوة فليس هو المقصود في الحديث . والله أعلم .

حديث

« من صلى علي في كتاب »

١٩١ - سائل يقول :

ما صحة حديث : « من صلى عليَّ في كتاب لا تزال الملائكة

(١) صحيح مسلم ، رقم (٤٨٨) .

تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب » ؟

الجواب :

الحديث ضعيف ، فقد رواه الطبراني في الأوسط ، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد [(١)] .

حديث إمامة النساء

١٩٢ - سائل يقول :

ما صحة الحديث الذي جاء عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها أمت نساء المسلمين فأذنت وأقامت فيهن الصلاة ؟

الجواب :

هذا الأثر ذكره البيهقي عن ليث عن عطاء عن عائشة رضي الله عنها : « أنها كانت تؤذن وتقيم، وتؤم النساء وتقوم وسطهن» وقد رواه عبد الرزاق وابن أبي شيبة مختصرًا . وليث هو ابن أبي سليم ، وهو ضعيف [(٢)] . غير أنه يؤيده ما رواه ابن أبي شيبة في مصنفه بسند جيد ، قال : « سئل ابن عمر عن المرأة تؤذن وتقيم ؟

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط ، رقم (١٨٣٥) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : فيه بشر بن عبيد الدارسي كذبه الأزدي وغيره .

(٢) السنن الكبرى للبيهقي ، رقم (١٧٨١) ، ومصنف عبد الرزاق ، رقم (٥٠٨٧) ، ومصنف ابن أبي شيبة ، رقم (٢٣٢٧) .

قال : أنا أنهى عن ذكر الله عز وجل! أنا أنهى عن ذكر الله عز وجل!»[١] .

وقد ذكر أبو داود في مسائله : سمعت أحمد بن حنبل سئل عن المرأة تؤذن وتقيم ، فذكر حديث ابن عمر السابق .

وعليه فلا بأس من أذان المرأة وإقامتها إذا كانت مع النساء فقط ، وأمنت الفتنة . والله أعلم .

جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا

١٩٣ - سائل يقول :

هل هذا حديث « جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا » ؟ وما معناه ؟

الجواب :

نعم هذا جزء من حديث طويل صحيح رواه البخاري ومسلم، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا ، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل »[٢] .

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ، رقم (٢٣٢٤) .

(٢) صحيح البخاري ، رقم (٣٣٥) ؛ وصحيح مسلم ، رقم (٥٢١) .

ومعنى قوله ﷺ « جعلت لي الأرض مسجدًا» أي : موضع سجود ، لا يختص السجود منها بموضع دون غيره ، فكل جزء من الأرض يصلح أن يكون مكانا للسجود والصلاة ، إلا ما استثني من الأرض كالمقبرة والحمام ، فقد ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام » رواه أحمد والترمذي وابن ماجه[1] .

أما «طهورًا » فالمقصود بها أن الأرض طاهرة فإذا لم تجد الماء تستطيع أن تضرب بكفك الأرض فتتيمم . والله أعلم .

التنفل قبل العصر

١٩٤ - سائل يقول :

هل ورد فضل في التنفل قبل صلاة العصر ؟

الجواب :

جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال : «رحم الله امرأ صلى قبل العصر أربعًا » رواه أبو داود والترمذي

---

(١) مسند أحمد ، رقم (١١٧٨٤) ؛ والترمذي ، رقم (٣١٧) ؛ وابن ماجه ، رقم (٧٤٥) ، قال ابن حجر في الحديث : اختلف في وصله وإرساله وله شواهد . انظر التلخيص الحبير (١/ ٦٥٩).

وحسنه[١] .

وحديث علي رضي الله عنه عند أهل السنن بلفظ : « كان النبي ﷺ يصلي قبل العصر أربع ركعات ، يفصل بينهن بالتسليم». وزاد الترمذي والنسائي وابن ماجه : « على الملائكة المقربين ومن تبعهم من المسلمين والمؤمنين »[٢] .

فهذه الأحاديث تدل على استحباب أربع ركعات قبل العصر والله أعلم .

الدعاء في السجود

١٩٥ - سائل يقول :

ما معنى أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ؟

الجواب :

ثبت في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثروا الدعاء» رواه

---

(١) سنن أبي داود ، رقم (١٢٧١) ؛ والترمذي ، رقم (٤٣٠) .

(٢) الترمذي ، رقم (٤٢٩) والنسائي في الكبرى ، رقم (٣٤٣) ، وابن ماجه ، رقم (١١٦١) وحسنه الألباني .

مسلم[1] .

ومعناه أن المصلي في حالة السجود أقرب ما يكون من رحمة ربه وفضله ، وهذا يدل على أن السجود من أفضل حالات العبد أثناء الصلاة ، فهو أفضل من القيام وسائر أركان الصلاة ؛ لأن السجود فيه الذل، والخضوع لله ، فالإنسان يجعل أنفه وجبهته على الأرض ذلا لله ، وتواضعا ، وعبادة له سبحانه وتعالى ، فينبغي له الدعاء في تلك الحال رجاء الإجابة من المولى جل شأنه. والله أعلم.

الذكر عقب الصلاة

١٩٦ - سائل يقول :

سمعت حديثًا في الأذكار الواردة بعد الصلاة : «مَنْ يسبح عشرًا ، ويحمد الله عشرًا ، ويكبر عشرًا ، هذه ثلاثين» ، فهل هذا صحيح ؟

الجواب :

نعم ورد في هذا حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وفيه : «قالوا يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات والنعيم المقيم ، قال : كيف ذاك؟ قالوا : صلوا كما صلينا ، وجاهدوا كما جاهدنا ،

---

(١) صحيح مسلم ، رقم (٤٨٢) .

وأنفقوا من فضول أموالهم ، وليست لنا أموال ؟ قال : أفلا أخبركم بأمر تدركون من كان قبلكم ، وتسبقون من جاء بعدكم ، ولا يأتي أحد بمثل ما جئتم به ، إلا من جاء بمثله ، تسبحون في دبر كل صلاة عشرًا، وتحمدون عشرًا، وتكبرون عشرًا»رواه البخاري. وفي رواية عند مسلم «تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة» أي : تسبح الله ثلاثا وثلاثين ، وتحمد الله ثلاثا وثلاثين ، وتكبر الله ثلاثا وثلاثين ، فلا يناقض رواية الأكثرين «ثلاثا وثلاثين» ، بل معهم زيادة يجب قبولها ، وفي رواية : «تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير »[1] ، وفي رواية : أن التكبيرات أربع وثلاثون، وكلها زيادات من الثقات يجب قبولها فكل ذلك جائز .

وكذلك جاء عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « خصلتان أو خلتان لا يحافظ عليهما عبد مسلم إلا دخل الجنة ، هما يسير ، ومن يعمل بهما قليل ، يسبح في دبر كل صلاة عشرا ، ويحمد عشرا ، ويكبر عشرا ، فذلك خمسون ومائة باللسان وألف وخمس مائة في الميزان » رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه[2] . والله أعلم .

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (٨٤٣) ، وصحيح مسلم ، رقم (٥٩٥) .

(٢) مسند أحمد ، رقم (٦٩١٠) ، وأبو داود ، رقم (٥٠٦٥) ، والترمذي ، رقم (٣٤١٠) وحسنه ، والنسائي ، رقم (١٣٤٨) ، وابن ماجه ، رقم (٩٢٦) .

معنى حديث

« بشر المشائين »

١٩٧ - سائل يقول :

هل عبارة « بشر المشائين في الظلم بالنور التام يوم القيامة » حديث ؟ وما معناها ؟

الجواب :

نعم هو حديث صحيح رواه بريدة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : « بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة » رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه[1] .

والمشاؤون هم الذين يكثرون المشي إلى المساجد في ظلمة الليل ، فيحضرون صلاتي العشاء والفجر ، فضلاً عن الصلوات الأخرى ؛ لأن صلاة العشاء والفجر يعاني الذاهب إلى المسجد لأدائها غالبًا ظلمة الليل ، وتكون النفس أرغب ما تكون في النوم وقت العشاء ووقت الفجر ، والذي يغالب النوم ويتوجه إلى المسجد غير آبه بذلك ، ينال البشرى وهي النور في ظلمات يوم القيامة . وقد وصف الله نور المؤمنين بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [الحديد:١٢] . والله أعلم .

---

(١) سنن أبي داود ، رقم (٥٦١) ، سنن الترمذي ، رقم (٢٢٣) ، وابن ماجه ، رقم (٧٨١) .

أحاديث الصيام

حديث « الصيام معلق بين السماء والأرض »

١٩٨ - سائل يقول :

هل هناك حديث صحيح يدل على أن الصيام معلق بين السماء والأرض لا يرتفع إلا بأداء الزكاة ؟

الجواب :

ورد حديث بلفظ: «إن شهر رمضان معلق بين السماء والأرض ، لا يرفع إلا بزكاة الفطر » لكنه ضعيف.

أخرجه الديلمي ، وأورده ابن الجوزي في العلل المتناهية ، وقال: لا يصح ، فيه محمد بن عبيد مجهول . وقال المنذري في الترغيب والترهيب: رواه أبو حفص بن شاهين في فضائل رمضان وقال : حديث غريب جيد الإسناد . وقال المناوى في شرح الجامع : فيه ضعف [١] . والله أعلم .

---

(١) مسند الفردوس ، رقم (٩٠١) ، والعلل المتناهية ، رقم (٨٢٤) ، والترغيب والترهيب للمنذري (٢/ ٩٧) ، وشرح الجامع الصغير (٢/ ٤٥٥) .

معنى حديث

« الصوم يوم تصومون »

١٩٩ - سائل يقول :

ما معنى حديث : « الصوم يوم تصومون ، والفطر يوم تفطرون » .

الجواب :

هذا الحديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « الصوم يوم تصومون ، والفطر يوم تفطرون ، والأضحى يوم تضحون » رواه الترمذي وحسنه[١] . ورواه أبو داود وابن ماجه أيضًا إلا أنهما لم يذكرا «الصوم يوم تصومون»[٢] .

وروته عائشة رضي الله عنها بلفظ آخر قالت : قال رسول الله ﷺ : « الفطر يوم يفطر الناس ، والأضحى يوم يضحي الناس» أخرجه الترمذي وصححه[٣] .

ومعناه عند بعض العلماء أن الصوم والفطر يكون مع الجماعة.

---

(١) الترمذي ، رقم (٦٩٧) .

(٢) سنن أبي داود ، رقم (٢٣٢٤) ، وابن ماجه ، رقم (١٦٦٠) .

(٣) الترمذي ، رقم (٨٠٢) .

وقالوا إن الخطأ مرفوع عن الناس فيما كان سبيله الاجتهاد ، فلو أن قوما اجتهدوا فلم يروا الهلال إلا بعد ثلاثين ، فلم يفطروا حتى استوفوا العدد ، ثم ثبت عندهم أن الشهر كان تسعا وعشرين، فإن صومهم وفطرهم ماض لا وزر عليهم ولا إثم ، وكذلك في الحج إذا أخطئوا يوم عرفة فإنه ليس عليهم إعادته ، وحجهم صحيح إن شاء الله . والله أعلم .

مدى صحة حديث
« رجب شهر الله »

٢٠٠ - سائل يقول :

ما صحة حديث : « رجب شهر الله ، وشعبان شهري، ورمضان شهر أمتي » ؟

الجواب :

هذا الحديث موضوع ، والشهور كلها لله ، وقد ذكر هذا الحديث ابن الجوزي في الموضوعات[1] . والله أعلم .

---

(١) الموضوعات ٢/ ١٢٤ .

معنى حديث

« طوبى لمن آمن بك »

٢٠١ - سائل يقول :

أرجوا أن تشرحوا هذا الحديث الذي معناه أن النبـي ﷺ قـال له أحد الصحابة : طوبى لمن آمن بـك ورآك ، ثـم قـال النبـي ﷺ : طوبى لمن آمن بي ورآني و طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني .

الجواب:

هذا الحديث صحيح رواه عن النبي ﷺ أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : أن رجلاً قال له : يا رسول الله طوبى لمن رآك وآمن بك ، قال رسول الله ﷺ : « طوبى لمن رآني وآمن بي ، ثم طوبى ، ثم طوبى ، ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني ، قال له رجل : وما طوبى؟ قال: شجرة في الجنة مسيرة مائة عام ، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها» رواه أحمد وابن حبان[1] .

فهذا الحديث يحمل بشرى سارة لكل من آمن برسول الله ﷺ ولم يره ، وفيه دليل على عظم مكانة صاحبها ، ويوضحه الحديث الآخر الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، وددت أنا قد رأينا إخواننا ، قالوا : أو لسنا إخوانك

(١) مسند أحمد ، رقم (١١٦٧٢) ، وصحيح ابن حبان ، رقم (٧٢٣٠) .

يا رسول الله؟ قال : أنتم أصحابي ، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد ، فقالوا : كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟ فقال: أرأيتم لو أن رجلا له خيل غر محجلة بين ظهري خيل دهم بُهم ، ألا يعرف خيله؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : فإنهم يأتون غرًّا محجلين من الوضوء ، وأنا فرطهم على الحوض ، ألا ليذادن رجال عن حوضي ، كما يذاد البعير الضال ، أناديهم : ألا هلم ، فيقال : إنهم قد بدلوا بعدك ، فأقول : سحقًا سحقًا » رواه مسلم[1] .

فيكفيهم فضلا أن رسول الله ﷺ أحب أن يراهم ، وسمَّاهم إخوانه ، فالذي آمن بالنبي ﷺ ولم يره ، له فضل عظيم ، لأنه صدّق بقول الله تعالى ، وببعثة النبي ﷺ ، وصدق بالقرآن، وصدق بالأحاديث وعمل بها، والله أعلم.

معنى حديث
«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»

٢٠٢ - سائل يقول :

ما معنى ما جاء في الحديث : «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» ؟ وهل الذي لا يسلم الناس من لسانه ويده يكون غير مسلم؟

(١) صحيح مسلم ، رقم (٢٤٩) .

الجواب :

الحديث رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ : «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»رواه البخاري ومسلم[1] وفي رواية لمسلم : « أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ : أي المسلمين خير؟ قال : من سلم المسلمون من لسانه ويده »[2] .

والحديث يوجه ويرشد إلى الكف عن أذية الناس باللسان واليد فلا يؤذي المسلم أحدًا من الناس بقول ولا بفعل ، وخص اليد بالذكر ؛ لأن معظم الأفعال بها . وكف أذى اللسان يكون بالامتناع عن الكلام في أعراضهم فلا يغتاب أحدًا ولا يسعى بين الناس بالنميمة ولا يرمي أحدًا ببهتان أو يتهمه بفرية ، ويكون بتنزيه لسانه عن السب والشتم والقول الفاحش والتحقير والاستهزاء والسخرية وغير ذلك من أنواع الأذى .

وكذا يتعين على المسلم أن لا يؤذي الناس بأفعاله كضرب الناس وإيذائهم في أبدانهم وسلب أموالهم ، فكل ذلك حرام .

والمقصود بالمسلم هنا المسلم الذي تم إسلامه وكمل وهو الذي امتثل أمر الله سبحانه وتعالى واتبع نبيه ﷺ ، وليس المقصود أن من لم يسلم الناس من لسانه ويده فليس مسلمًا ، وإنما من يفعل

(١) صحيح البخاري ، رقم (١٠) ، وصحيح مسلم ، رقم (٤٠) .

(٢) صحيح مسلم ، رقم (٤٠) .

ذلك فهو مسلم عاص . والله أعلم .

معنى حديث
« أفئدتهم مثل أفئدة الطير »

٢٠٣ - سائل يقول :

ما معنى حديث « أفئدتهم مثل أفئدة الطير » ؟

الجواب :

الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير» رواه مسلم[1] .

والحديث يحتمل ثلاثة معان كلها مرادة :

المعنى الأول : أن قلوبهم في شعورها الشديد بالخشية والفزع من الله والخوف والرهبة منه سبحانه مثل الطير في شدة خوفها وفزعها من أي طارق ، يقول تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾ [المؤمنون:٦٠] ، ويقول سبحانه : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال:٢] .

والمعنى الثاني : أن قلوبهم متوكلة على الله معتمدة عليه في

---

(١) صحيح مسلم ، رقم (٢٨٤٠) .

جميع شئونها مع اتخاذها الأسباب اللازمة ويدل عليه حديث عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لو أنكم كنتم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا » رواه أحمد والترمذي وابن ماجه ، وقال الترمذي: حسن صحيح[1] .

والمعنى الثالث : أن قلوبهم رقيقة لينة مفعمة بالإيمان لا تحمل من أشغال الدنيا وهمومها شيء وأكبر همها الآخرة لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « أتاكم أهل اليمن ، هم أرق أفئدة ، وألين قلوبًا ، الإيمان يمان ، والحكمة يمانية ، والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل ، والسكينة والوقار في أهل الغنم» متفق عليه[2] . والله أعلم .

معنى حديث
« سبعون ألفًا من أمتي يدخلون الجنة »

٢٠٤ – سائل يقول :

ما معنى حديث: «سبعون ألفًا من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب» ؟

---

(١) مسند أحمد ، رقم (٣٧٣) ؛ والترمذي ، رقم (٢٣٤٤) ؛ وابن ماجه ، رقم (٤١٦) .

(٢) صحيح البخاري ، رقم (٤١٢٧) ، وصحيح مسلم ، رقم (٥٢) .

الجواب :

هذا الحديث رواه عمران بن حصين رضي الله عنه ، فقد كان رسول الله ﷺ في مسجده ، فأخبر ﷺ الناس أن «سبعين ألفًا من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ، ثم نهض ، فدخل منزله ، فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ، فقال بعضهم : فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ ، وقال بعضهم : فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله ، وذكروا أشياء ، فخرج عليهم رسول الله ﷺ، فقال : ما الذي تخوضون فيه؟ فأخبروه ، فقال: هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ، فقام عكاشة بن محصن ، فقال : ادع الله أن يجعلني منهم . فقال : أنت منهم ، ثم قام رجل آخر ، فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : سبقك بها عكاشة » رواه مسلم[1] .

ومعنى الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ، يعني : تركوا هذه الأمور لا يرقي ولا يسترقي ، ولا يستعمل علاجًا ، ولا من الذين يتطيرون ، ويتشاءمون معتمدًا على الله في كل شيء ، فقلبه متعلق بربه سبحانه وتعالى وراض بما يجري عليه من مقادير الله ، فإذا تحلى الإنسان بهذا الإيمان ، وهذا التوكل يكون من هؤلاء .

(١) صحيح مسلم ، رقم (٢١٨) .

ومن فوائد الحديث ولطائفه : عظم خلق النبي ﷺ ولطفه مع أصحابه ، فإنه ﷺ قال للصحابي الثاني : سبقك بها عكاشة ، وهكذا ينبغي للمؤمن أن لا يجرح شعور أحد ، اقتداء بالنبي ﷺ . وبالله التوفيق .

صحة حديث «اتقوا فراسة المؤمن»

٢٠٥ – سائل يقول :

ما صحة حديث «اتقوا فراسة المؤمن» ، وما هي الفراسة ؟

الجواب :

الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «اتقوا فراسة المؤمن ، فإنه ينظر بنور الله ، ثم قرأ : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [الحجر:٧٥] » رواه الترمذي والبخاري في التاريخ وابن جرير وابن أبي حاتم وابن السني وأبو نعيم وابن مردويه والخطيب[1] .

---

(١) سنن الترمذي ، رقم (٣١٢٧) ، وقال هذا حديث غريب ، والتاريخ الكبير للبخاري ، رقم (١٥٢٩) ، والأربعون على مذهب المحققين من الصوفية لأبي نعيم ، رقم (٥٤) ، وتاريخ بغداد (٤/٣١٣) .

والفراسة : هي ما يوقعه الله في قلوب أوليائه ، فيعلمون بذلك بعض أحوال الناس بنوع من الكرامات ، وإصابة الحدس . والله أعلم .

حديث
« الفتنة نائمة »

٢٠٦ – سائل يقول :

« الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها » هل هو حديث صحيح أم ضعيف ؟

الجواب :

الحديث ضعيف ، رواه الرافعي في تاريخ قزوين عن أنس بن مالك [١] .

حديث « أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين »

٢٠٧ – سائل يقول :

حديث « أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من

---

(١) أخرجه الرافعي عن أنس رضي الله عنه في تاريخ قزوين ١/ ٢٩١ . قال الألباني : هذا إسناد ضعيف مظلم بمرة ، من دون أنس لم أعرفهم جميعًا .

يجاوز ذلك » هل هو حديث صحيح ؟ وما معناه ؟

الجواب :

الحديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه ، وقد أخرجه الترمذي وحسنه ، وابن ماجه ، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم في مستدركه وقال: صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي[1] .

ومعناه أن غالب أعمار الناس من أمة محمد ﷺ لا تتجاوز الستين أو السبعين عامًا ، وقد توفي النبي ﷺ وعمره ثلاثة وستون عامًا . وبالله التوفيق .

معنى حديث « إن الله تجاوز عن أمتي ما تحدثت به ... »

٢٠٨ - سائل يقول :

ما معنى هذا الحديث وهل هو وارد « إن الله تجاوز عن أمتي ما تحدثت به ما لم تعمل أو تتكلم » ؟

الجواب :

هذا الحديث رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

(١) سنن الترمذي ، رقم (٣٦٣٠) ، وسنن ابن ماجه ، رقم (٤٢٧٠) ، وصحيح ابن حبان ، رقم (٣٠٤٢) ، والمستدرك ، رقم (٣٥٥٧) .

قال رسول الله ﷺ : «إن الله تجاوز لأمتي ما وسوست أو حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم»[1] . فالشيء الذي يحدث الإنسان به نفسه لا يؤاخذ به ؛ لأنه يكون بغير اختياره ، ولا يستطيع دفعه ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة: ٢٨٦] .

معنى حديث « اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة »

٢٠٩ - سائل يقول :

ما معنى « اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة »؟

الجواب :

جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: «تعوذوا بالله من جار السوء في دار المقام فإن جار البادية يتحول عنك» رواه النسائي[2] . و(جار السوء) : هو الذي لا يأمنه جاره ، كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (٦٦٦٤) .

(٢) سنن النسائي ، رقم (٥٥٠٢) ؛ ومستدرك الحاكم ، رقم (١٩٥١) ، وقال : صحيح على شرط مسلم.

« لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه » رواه مسلم[١] ، أي : غوائله وشروره ، فهذا والعياذ بالله أمره عظيم .

أما معنى (في دار المقام) أي : في مكثه الذي يمكث فيه حياته في هذه الدنيا ، لأنه يؤذيه طول عمره . والله أعلم .

صحة حديث

« مدمن الخمر كعابد وثن »

٢١٠ - سائل يقول :

هل حديث «مدمن الخمر كعابد وثن» حديث صحيح ؟

الجواب :

نعم الحديث صحيح رواه ابن ماجه والبخاري في التاريخ الكبير والبيهقي في شعب الإيمان[٢]، لكن عابد الوثن مشرك مخلد في النار ، أما مدمن الخمر فهو مرتكب لكبيرة من الكبائر ، ولا يكفر بها فهو تحت رحمة الله عز وجل إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه ، إنما التشبيه في الفعل فقط وليس التشبيه في الاعتقاد ، فشارب

---

(١) صحيح مسلم ، رقم (٤٦) .

(٢) سنن ابن ماجه ، رقم (٣٣٧٥) ؛ والتاريخ الكبير ، رقم (٣٨٦) ؛ وشعب الإيمان ، رقم (٥٥٩٧) .

الخمر يداوم على هذه المعصية ، ويصبح إدمانًا لا يستطيع مفارقتها، والله أعلم .

معنى حديث
« يموت المؤمن بعرق الجبين »

٢١١ – سائل يقول :

ما معني الحديث « يموت المؤمن بعرق الجبين » ؟

الجواب :

هذا الحديث رواه بريدة بن الحصيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « المؤمن يموت بعرق الجبين » رواه أحمد والترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه[١] .

وقد اختلف العلماء في المراد بهذا فقال بعضهم : إن هذا دليل على أن المؤمن يخفف عليه موته ، وأنه لا يأتيه من الكرب إلا بمقدار ما يعرق جبينه ، ويكون في هذا بشارة للميت أنه إن شاء الله يكون من أهل الخير . ومنهم من قال : إن هذا من شدة ما يلاقيه الميت من سكرات الموت ، وقد كان النبي ﷺ عند موته يوضع على

(١) مسند أحمد ، رقم (٢٢٩٦٤) ، والترمذي ، رقم (٩٨٢) ، والنسائي ، رقم ((١٨٢٨) ، وابن ماجه ، رقم (١٤٥٢) .

وجهه خميصة كلما اغتم كشفها وقال : « لا إله إلا الله إن للموت سكرات » رواه البخاري[1]، وهذه الشدة التي يلاقيها الميت من هذه السكرات يضاعف له بها الأجور، ثم إن الميت يأتيه ملائكة الرحمة عند خروج روحه ، فيبشرونه بالخير ، وبما أعده الله له ، فيفرح بذلك ، ويزول عنه الكرب ، ويعرق لهذا السبب ، أي لفرحه بهذه البشارة . والله أعلم.

حديث
«من لم يزرني فقد جفاني»

٢١٢ - سائل يقول :

ما صحة حديث«من لم يزرني فقد جفاني»؟وما حكم الزيارة؟

الجواب :

هذا الحديث ضعفه بعض أهل العلم ، منهم السخاوي في المقاصد الحسنة ، وقال الصغاني : موضوع ، وكذا ابن الجوزي في الموضوعات ، وابن عدى في الكامل ، وابن حبان في المجروحين،

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (٤٤٤٩) .

والدارقطني في العلل كما في الدر المنثور [١] .

أما عن الزيارة : فإن كان المقصود بالزيارة زيارة مسجد الرسول ﷺ للصلاة فيه ، فهي مشروعة لأفضلية الصلاة فيه ؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام» متفق عليه [٢] . فلا تشد الرحال إلا إلى هذه المساجد؛ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدي هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى » رواه مسلم [٣] . أما شد الرحال لغيرها من المساجد فهي غير مشروعة ، فإنْ شَدَّ المسلم الرحال إلى مسجد رسول الله ﷺ ، وصلى فيه ، فإنه يسن له أن يذهب إلى قبر النبي ﷺ، ويسلم عليه صلوات الله وسلامه عليه ، وأما إن كان المقصود بالزيارة شد الرحال لزيارة القبور، سواء كان قبر النبي ﷺ أو غيره من القبور كقبور الأولياء والصالحين فهي غير مشروعة ، إذ لم يدل على مشروعيتها دليل ، والله أعلم .

---

(١) المقاصد الحسنة للسخاوي ، رقم (١١١٠) ؛ وابن حبان في المجروحين (٣/ ٧٣) ، وموضوعات ابن الجوزي (٢/ ٢١٧) ؛ وموضوعات الصغاني ، رقم (٥٢) ، والكامل لابن عدي (٧ / ٢٤٨٠) ، والدر المنثور (١/ ٢٣٧) .

(٢) صحيح البخاري ، رقم (١١٩٠) ؛ وصحيح مسلم ، رقم (١٣٩٤) .

(٣) صحيح مسلم ، رقم (١٣٩٧) .

حديث
«خير الأسماء ما عبد وحمد»

٢١٣ - سائل يقول:

ما صحة حديث «خير الأسماء ما عبد وحمد»؟

الجواب:

هذا الحديث لا أصل له، كما ذكر السيوطي وغيره[١]، ولكن الصحيح في هذا المعنى ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: « إن أحب أسمائكم إلى الله عبد الله وعبد الرحمن » رواه مسلم[٢].

حديث
«الساعي على الأرملة والمسكين»

٢١٤ - سائل يقول:

ما صحة هذا الحديث: «الساعي على الأرملة والمسكين كالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر»؟

---

(١) السيوطي في الدر المنثور (١/ ١٠)، والسخاوي في المقاصد الحسنة، رقم (٦٥).

(٢) صحيح مسلم، رقم (٢١٣٢).

الجواب:

هذا الحديث متفق عليه ، رواه أبو هريـرة رضي الله عنـه عـن النبي ﷺ قال : «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سـبيل الله ، وأحسبه قال : كالقائم لا يفتر ، وكالصائم لا يفطر»[1] .

حديث «ارحموا من في الأرض»

٢١٥ - سائل يقول :

ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء ، هل هذا حديث؟

الجواب :

نعم هو حديث فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض، يرحمكم من في السماء » رواه أحمد وأبو داوود والترمذي وقال : حسن صحيح[2] . والله الموفق .

(١) صحيح البخاري ، رقم (٥٣٥٣) ؛ صحيح مسلم ، رقم (٢٩٨٢) .

(٢) مسند أحمد ، رقم (٦٤٩٤) ؛ أبو داود ، رقم (٤٩٤١) ؛ الترمذي ، رقم (١٤٢٩) .

معنى حديث
« إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها »

٢١٦ - سائلة تقول :

ما معنى حديث ورد بأن أقوامًا يصلون ويصومون ويأخذون من الليل ولكنهم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها ؟

الجواب :

الحديث بتمامه رواه ثوبان عن النبي ﷺ قال : «لأعلمن أقواما من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضًا ، فيجعلها الله هباءً منثورًا . قال ثوبان : يا رسول الله صفهم لنا ، جلهم لنا أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم ، قال : أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ، ويأخذون من الليل كما تأخذون ، ولكنهم أقوام إذا خلو بمحارم الله انتهكوها » أخرجه ابن ماجه ، والمنذري في الترغيب والترهيب . في الزوائد : إسناده صحيح ، رجاله ثقات ، وقال المنذري : رواته ثقات [١] .

ومعناه بأن هناك صنفًا من المسلمين يأتون يوم القيامة بحسنات كثيرة أمثال جبال تهامة في كبرها وثقلها ، ولكن هذه الحسنات أحبطت أو تلاشت بسبب انتهاكهم لما حرم الله ، كالشرك الذي يحبط الأعمال كما جاء في قول الله تعالى : ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ

(١) سنن ابن ماجه ، رقم (٤٢٤٥) ؛ والترغيب والترهيب للمنذري ، رقم (٣٥٣٤) .

﴿ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام:٨٨] ، وكما قال تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان:٢٣] . والله أعلم.

حديث «استفت قلبك»

٢١٧ – سائل يقول :

كيف التوفيق بين حديث وابصة رضي الله عنه الذي فيه : «استفت قلبك وإن أفتاك الناس وأفتوك » وبين قول الله تعالى : ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٤٣] ؟

الجواب :

حديث وابصة بن معبد رضي الله عنه قال : « رأيت رسول الله ﷺ وأنا أريد أن لا أدع شيئًا من البر والإثم إلا سألت عنه ، فقال لي : ادن يا وابصة ، فدنوت منه ، حتى مست ركبتي ركبته ، فقال لي : يا وابصة أخبرك عما جئت تسأل عنه ؟ قلت : يا رسول الله أخبرني ، قال : جئت تسأل عن البر والإثم ، قلت : نعم، فجمع أصابعه الثلاث فجعل ينكت بها في صدري ، ويقول : يا وابصة استفت قلبك ، والبر ما اطمأنت إليه النفس ، واطمأن إليه القلب ، والإثم ما حاك في القلب ، وتردد في الصدر ، وإن أفتاك الناس وأفتوك» رواه أحمد ، والدارمي ، وأبو يعلى ، والبيهقي في شعب

الإيمان[1] .

فمعنى الحديث أن يستفتي الإنسان قلبه لمن كان مثل وابصة ، عالمًا بأحكام الشرع ، وعنده من العلم ما يطمئن إليه ، أما الجاهل أو العامي ، فلا يستفتي قلبه وإنما يسأل أهل العلم ، كما قال الله تعالى : ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ وعليه فليس ثمة تعارض بين حديث وابصة والآية . والله أعلم .

حديث السوق

٢١٨ - سائل يقول :

ما صحة حديث السوق ؟

الجواب :

حديث السوق الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «من دخل السوق فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ، وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، كتب الله له ألف ألف حسنة ، ومحا عنه ألف ألف سيئة ، ورفع له ألف ألف درجة»

---

(١) مسند أحمد ، رقم (١٨٠٠١) ، سنن الدارمي ، رقم (٢٥٧٥) ، ومسند أبي يعلى ، رقم (١٥٨٦)، وشعب الإيمان ، رقم (٦٨٨٨).

أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه[١] ، وقال الشوكاني في تحفة الذاكرين : أقل أحواله أن يكون حسنًا[٢] . ورواه الحاكم أيضًا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وقال: صحيح الإسناد[٣] . والله أعلم .

تمرات العجوة

٢١٩ - سائل يقول :

ما صحة حديث « من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر » ؟ وما هي تمرات العجوة ؟

الجواب :

هذا الحديث متفق عليه[٤]، وقد ورد بألفاظ بعضها فيه تحديد لعجوة المدينة ، وبعضها أطلق ، وعجوة المدينة نخلة معروفة تسمى العجوة وهي معروفة عند أهل المدينة ، وفي المدينة نوع آخر من النخل يسمونه أيضًا عجوة . لكن بعض العلماء قالوا إن كلمة

---

(١) مسند أحمد ، رقم (٣٢٧) ، والترمذي ، رقم (٣٤٢٨) ، وابن ماجه ، رقم (٢٢٣٥) ، والمستدرك ، رقم (١٩٧٤) .

(٢) تحفة الذاكرين (١/ ٢٦٩) .

(٣) المستدرك ، رقم (١٩٧٦) .

(٤) صحيح البخاري ، رقم (٥٤٤٥) ؛ صحيح مسلم ، رقم (٢٠٤٧) .

العجوة تطلق على كل التمر، وليس خاصا بتمر المدينة. والله أعلم .

كتابة الوصية

٢٢٠ - سائل يقول :

جاء في الحديث « ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده» ما صحة هذا الحديث ؟ وما حكم كتابة الوصية ؟

الجواب :

هذا الحديث متفق عليه، رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده »(١) .

وهذا الحديث يختص بمن عليه حق شرعي يخشى أن يضيع على صاحبه إن لم يوص به كوديعة ودين لله أو لآدمي ، ويدل على ذلك تقييده بقوله كما في رواية مسلم : « له شيء يريد أن يوصي فيه» .

وتحرم الوصية فيما إذا كان فيها إضرار كما ثبت عن ابن عباس « الإضرار في الوصية من الكبائر » قال ابن حجر : رواه سعيد بن

(١) صحيح البخاري ، رقم (٢٧٣٨) ؛ صحيح مسلم ، رقم (١٦٢٧) .

منصور موقوفًا بإسناد صحيح ، ورواه النسائي ورجاله ثقات[١] .
والله أعلم .

معنى مَائلات مُميلات

٢٢١ - سائل يقول :

ما المقصود بـ (مَائلات مُميلات) الوارد في الحديث ؟

الجواب :

هذه اللفظة وردت في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كَاسِيات عَارِيات ، مَائلات مُمِيلات ، على رؤوسهن أمثال أسنمة البخت ، لا يدخلن الجنة ، ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » رواه مسلم[٢]، وللعلماء في معنى (مائلات مميلات) أقوال منها :

مَائلات : زائغات عن طاعة الله ، وما يلزمهن من حفظ الفروج . مُمِيلات : يُعلِّمن غيرهن مثل فعلهن .

---

(١) سنن سعيد بن منصور ، رقم (٣٤٣) ، والنسائي في الكبرى ، رقم (١١٠٢٦) .

(٢) صحيح مسلم ، رقم (٢١٢٨) .

وقيل : مَائلات : متبخترات في مشيتهن ، مُمِيلات أكتافهن .

وقيل : مَائلات : يتمشطن المشطة الميلاء وهي مشطة البغايا ، ومُمِيلات : يمشطن غيرهن تلك المشطة .

وقيل : مَائلات إلى الرّجال ، مُمِيلات لهن بما يبدين من زينتهن.

ولعلّ هذه المعاني متقاربة في المقصود . وعلى المسلمة أن تتقي الله عز وجل وأن لا تتصف بشيء من هذه الأوصاف . والله أعلم .

معنى «رُبَّ كاسية»

٢٢٢ - سائلة تقول :

ما معنى حديث : «... فرُبَّ كاسية في الدنيا عارية في الآخرة»؟

الجواب :

هذا الحديث رواه البخاري عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: «استيقظ النبي ﷺ ذات ليلة ، فقال : سبحان الله ماذا أنزل الليلة من الفتن، وماذا فتح من الخزائن، أيقظوا صواحبات الحجر، فرب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة »[١] .

(١) صحيح البخاري ، رقم (١١٥) .

وقد اختلف العلماء في المراد بقوله (كاسية وعارية) ولهم في ذلك أقوال ذكرها ابن حجر في الفتح وغيره : أحدها : كاسية في الدنيا بالثياب لوجود الغنى ، عارية في الآخرة من الثواب لعدم العمل في الدنيا ، ثانيها : كاسية بالثياب لكنها شفافة لا تستر عورتها ، فتعاقب في الآخرة بالعري جزاء على ذلك ، ثالثها : كاسية من نعم الله ، عارية من الشكر الذي تظهر ثمرته في الآخرة بالثواب ، رابعها : كاسية جسدها ، لكنها تشد خمارها من ورائها ، فيبدو صدرها ، فتصير عارية ، فتعاقب في الآخرة ، خامسها : كاسية من خلعة التزوج بالرجل الصالح ، عارية في الآخرة من العمل ، فلا ينفعها صلاح زوجها ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [المؤمنون:١٠١] . والله أعلم .

معنى حديث
«ما من امرأة تضع ثيابها»

٢٢٣ - سائلة تقول :

ما معنى حديث أم الدرداء ، قالت : « خرجت من الحمام، فلقيني رسول الله ﷺ ، فقال : من أين يا أم الدرداء؟ فقلت: من الحمام ، فقال : والذي نفسي بيده ما من امرأة تضع ثيابها في غير بيت إحدى أمهاتها إلا كانت هاتكة كل ستر بينها ، وبين الرحمن

تبارك وتعالى » .

الجواب :

هذا الحديث رواه أحمد والطبراني في الكبير بأسانيد رجالها رجال الصحيح[1] ، ويؤيده حديث أبي المليح الهذلي رضي الله عنه أن نساء من أهل حمص أو من أهل الشام دخلن على عائشة رضي الله عنها ، فقالت : أنتن اللاتي يدخلن نساؤكن الحمامات ! سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من امرأة تضع ثيابها في غير بيت زوجها إلا هتكت الستر بينها وبين ربها » رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه والحاكم وقال : صحيح على شرطهما[2] .

والمراد بالحمام مكان الاغتسال وهي أماكن عامة مخصصة لهذا الغرض تكون خارج البيوت ، وقد كانت موجودة قديمًا في المدينة وفي غيرها ، وهذه الحمامات لا يجوز دخول الرجال فيها إلا بإزار يستر العورة ، أما النساء فقد نهين عن دخولها ؛ لأنها مظنة كشف العورات ، ولأنهن يكن في غير مأمن من نظر الرجال ، وكذلك حفاظًا على ستر المرأة وصيانتها من النظر إليها ، لأن هذه الأماكن يستلزم منها خلع ثيابها ، فنهيت عن ذلك ، حتى لا تهتك الستر الذي أمرها الله به . والله أعلم .

---

(١) مسند أحمد ، رقم (٢٧٠٣٨) ، والمعجم الكبير ، رقم (٦٤٦) .

(٢) مسند أحمد ، رقم (٢٦٠٤) ، وأبو داود ، رقم (٤٠١٠) ، والترمذي ، رقم (٢٨٠٣) ، وابن ماجه ، رقم (٣٧٥٠) ، والمستدرك ، رقم (٧٧٨٠) .

أبغض الحلال الطلاق

٢٢٤ - سائل يقول :

هل عبارة (أبغض الحلال إلى الله الطلاق) حديث ؟

الجواب :

روي عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: « أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق » أخرجه أبو داود وابن ماجه والبيهقي وعبد الرزاق في مصنفه ، والحديث ضعفه بعض العلماء[1] .

معنى « شر الأمور محدثاتها »

٢٢٥ - سائل يقول :

ما معنى حديث الرسول ﷺ « وشر الأمور محدثاتها »، ما هي المحدثات؟ وماذا يدخل فيها ؟

الجواب :

هذه العبارة من كلام النبي ﷺ وردت في حديث عبد الرحمن ابن عمرو السلمي وحجر بن حجر قالا: « أتينا العرباض بن سارية ، وهو ممن نزل فيه ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ

---

(١) سنن أبي داود ، رقم (٢١٧٨) ، وابن ماجه ، رقم (٢٠١٨) ، وسنن البيهقي ، رقم (١٤٨٩٤) ، ومصنف عبد الرزاق ، رقم (١١٣٣١) .

﴿قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾[التوبة:٩٢] ، فسلمنا وقلنا أتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين، فقال العرباض: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، ثم أقبل علينا ، فوعظنا موعظة بليغة ، ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، فقال قائل : يا رسول الله ، كأن هذه موعظة مودع ، فماذا تعهد إلينا ، فقال : أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ، وإن عبدًا حبشيًا ، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي ، وسنة الخلفاء المهديين الراشدين ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » رواه أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه[1] .

والمراد بالمحدثات العبادات التي ليس في الشريعة أصل يشهد لها بالصحة ، وهي المسماة بالبدع ، والبدعة هي ما أحدث في الدين مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه .

فالله عز وجل بعث محمدًا ﷺ رحمة للعالمين ، والنبي ﷺ أدى الأمانة وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده ﷺ، ولم يترك شيئًا يحتاج إليه الناس إلا وبينه لهم ، يقول الله سبحانه وتعالى لنبيه : ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة:٣] ، فأخبر الله أنه أتم النعمة على هذه الأمة ببعثة هذا النبي الكريم ، وكمل لهم دينهم ، ولم يبق فيه شيء يحتاج

(١) سنن أبي داود ، رقم (٤٦٠٧) ، والترمذي ، رقم (٢٧٢٤) ، وابن ماجه ، رقم (٤٢) .

إلى تكميل ، فالبدعة عمل لم يعمله الرسول عليه الصلاة والسلام، ولا الصحابة من بعده . وبعض الناس يحدثون أمورًا ، ويقولون هذا خير، وهذا طاعة، وهذا عبادة، بينما النبي ﷺ لم يأمر به، ولم يعمله ، فهو بذلك يكون من محدثات الأمور التي نهى عنها النبي ﷺ وحذرنا منها غاية التحذير، فاستحسان المبتدع لمثل هذا لا عبرة به ، بل هو من تزيين الشيطان له. والله أعلم.

قراءة القرآن في البيت أو في المسجد

٢٢٦ – سائل يقول :

هل هذا الحديث صحيح : « أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل » ؟ وهل الأفضل أن نقرأ القرآن في البيت أم في المسجد ؟ وهل من قرأ في المسجد يحصل له هذا الأجر ؟ مأجورين .

الجواب :

هذا الحديث صحيح رواه مسلم عن عقبة بن عامر رضي الله عنه[١] ، وظاهره أنه إذا ذهب المسلم إلى المسجد ليتعلم القرآن فإنه يحصل له هذا الأجر العظيم ، أما التلاوة فإنها تكون في البيت أو في

(١) صحيح مسلم ، رقم (٨٠٣) .

المسجد أو في أي مكان ، فلا فرق ، والأعمال كلما أخفاها العبد كان أفضل له عند ربه ، لكن لا بأس إذا كانت في المسجد من أجل التعليم ، أو تشجيع الآخرين . والله أعلم .

حديث « من قرأ آخر عشر آيات من سورة آل عمران »

٢٢٧ - سائل يقول :

هل صحيح أن من قرأ آخر عشر آيات من سورة آل عمران كتب له قيام ليلة؟

الجواب :

ورد في هذا حديث ضعيف ، ولكن صح عن النبي ﷺ أنه كان إذا استيقظ من نومه يتلو هذه الآيات : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ .. ﴾ الخ التي هي أواخر سورة آل عمران ، فقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنه أنه بات عند ميمونة -وهي خالته- فقال : « فاضطجعت في عرض وسادة، واضطجع رسول الله ﷺ وأهله في طولها ، فنام حتى انتصف الليل أو قريبا منه ، فاستيقظ يمسح النوم عن وجهه ، ثم قرأ عشر آيات من آل عمران ثم قام...» الحديث

رواه البخاري[١] .

قراءة ثلاث آيات من آخر سورة الحشر في الصباح

٢٢٨ - سائل يقول :

من قرأ آخر ثلاث آيات من آخر سورة الحشر في الصباح وتوفي في ذلك اليوم هل له أجر شهيد ؟

الجواب :

روي في ذلك حديث عن معقل بن يسار ، عن النبي ﷺ قال : « من قال حين يصبح ثلاث مرات : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر، وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي، وإن مات في ذلك اليوم مات شهيدا ، ومن قالها : حين يمسي كان بتلك المنزلة » رواه أحمد والترمذي . لكنه حديث ضعيف[٢] . والله أعلم .

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (٩٩٢) .

(٢) مسند أحمد ، رقم (٢٠٣٠٦) ، والترمذي ، رقم (٢٩٢٢) ؛ وانظر : علل الحديث لابن أبي حاتم، رقم (١٦٥٢) .

فضل سورة يس وآل عمران

٢٢٩ - سائل يقول :

ما صحة حديث : « إن لكل شيء قلبًا ، وقلب القرآن يس ، فمن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات» ؟ وما صحة ما ورد أن من قرأ سورة آل عمران تصلي عليه الملائكة حتى تغيب الشمس ؟

الجواب :

حديث سورة يس روا ه الدارمي والترمذي وقال : حديث غريب . وقال أبو حاتم: حديث باطل لا أصل له[١] .

وحديث سورة آل عمران قال عنه الإمام أحمد وأبو داود : موضوع . لكن وردت أحاديث صحيحة في فضل سورة آل عمران مثل ما ورد عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اقرؤوا القرآن ؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه؛ اقرؤوا الزّهراوينِ: البقرة وسورة آل عمران؛ فإنّهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتانِ، أو كأنهما فِرقان من طيرٍ صواف، تحاجان عن أصحابِهما؛ اقرؤوا سورة البقرة؛ فإن أخذها بركة، وتركها حسرة ، ولا يستطيعها البطلة » رواه مسلم[٢] . والله أعلم .

---

(١) سنن الدارمي ، رقم (٣٤٥٩) ، والترمذي ، رقم (٢٨٨٧) .

(٢) صحيح مسلم ، رقم (٨٠٤) .

الجمع بين حديثي « من سن في الإسلام ...» و« من أحدث في أمرنا ...»

٢٣٠ - سائل يقول :

حديث « من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة » . وقول الرسول ﷺ : «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» . فكيف يمكن التوفيق بين الحديثين ؟ وكذلك قول الرسول ﷺ : « وشر الأمور محدثاتها » .

الجواب :

حديث « من سن في الإسلام سنة حسنة ...» رواه مسلم[١] عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه ، وجاء معناه في حديث آخر لعمرو بن عوف رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من أحيا سنة من سنتي فعمل بها الناس كان له مثل أجر من عمل بها لا ينقص من أجورهم شيئًا » رواه الترمذي وحسنه وابن ماجه[٢] ، أي أحيا عملاً مشروعًا قد تركه الناس، ثم يحدثهم به ، ويأمرهم به فيفعلونها ، فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، لأنه أحيا سنة مؤكدة ، أو سنة مشروعة ، تركها الناس .

---

(١) صحيح مسلم ، رقم (١٠١٧) .

(٢) سنن الترمذي ، رقم (٢٦٧٧) ، وابن ماجه ، رقم (٢٠٩) .

مثل ما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما جمع الناس في صلاة التراويح على إمام واحد ، فهذه الصلاة أصلاً مشروعة قد صلاها النبي ﷺ، وصلى خلفه الصحابة رضوان الله عليهم ، ولكنه تركها مخافة أن تفرض عليهم ، وجمعهم عمر بعد هذا ، وأحيا هذه السنة لما توفي النبي ﷺ وانقطع الوحي .

أما أن يأتي الإنسان بشيء من العبادات جديد بعد هذا ، فهذا لا يجوز ، مثل بعض البدع التي يحييها الآن بعض الناس ، ويتمسكون بها ، كبدعة المولد ، التي أحدثها الفاطميون من الرافضة بعد القرون الثلاثة ، التي يقول عنها رسول الله ﷺ : «خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » رواه البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنه[1] .

أو كالذي يحدثه الناس من صلوات في رجب أو شعبان أو ليلة المعراج ، كل هذه الأمور بدعة محدثة في الدين ، لم تكن على عهد النبي ﷺ ولا عهد الصحابة ولا عهد القرون المفضلة الأولى ، فهذه التي قيل عنها : من أحدثها فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة .

وأما حديث عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » متفق عليه[2] ، أي يحدث

---

(١) صحيح البخاري ، رقم (٣٦٥٠) .

(٢) صحيح البخاري ، رقم (٢٦٩٧) ؛ وصحيح مسلم ، رقم (١٧١٨) .

شيئًا جديدًا في الدين لم يفعله النبي ﷺ ، وهذه هي البدع المنهي عنها المردود إثمها على فاعلها ، والله أعلم .

الحمامة والعنكبوت على الغار

٢٣١ - سائل يقول :

هل ثبتت قصة الحمامة والعنكبوت على الغار الذي اختبأ فيه رسول الله ﷺ مع أبي بكر ؟

الجواب :

قصة اختبائه ﷺ في الغار صحيحة دل عليها القرآن والسنة ، فالله عز وجل يقول : ﴿ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة:٤٠] ، وجاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه : «أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: نظرت إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن في الغار، فقلت: يا رسول الله ، لو أن أحدهم نظر إلى قدمه أبصرنا ، فقال ﷺ : « يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما » متفق عليه[١] .

وأما قصة الحمامة والعنكبوت فلعل السائل يشير إلى ما رواه ابن سعد وغيره[٢] عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « ليلة الغار أمر الله عز وجل شجرة فخرجت في وجه النبي ﷺ تستره ، وإن الله

(١) صحيح البخاري ، رقم (٦٨٤) ؛ وصحيح مسلم ، رقم (٤٢١) .

(٢) طبقات ابن سعد ، ١/ ١٨٧ ، والعقيلي في الضعفاء ، رقم (١٦١٥) .

عز وجل بعث العنكبوت فنسجت ما بينهما ، فسترت وجه النبي ﷺ ، وأمر الله حمامتين وحشيتين فأقبلتا تدفان (وفي رواية : ترفان) حتى وقعا بين العنكبوت وبين الشجرة ، فأقبل فتيان قريش من كل بطن رجل معهم عصيهم وقسيهم وهراواتهم ، حتى إذا كانوا من النبي ﷺ على قدر مائتي ذراع ، قال الدليل سراقة بن مالك المدلج : انظروا هذا الحجر ثم لا أدري أين وضع رجله رسول الله ﷺ ، فقال الفتيان : إنك لم تخطر منذ الليلة أثره حتى إذا أصبحنا قال : انظروا في الغار ! فاستقدم القوم حتى إذا كانوا على خمسين ذراعا نظر أولهم ، فإذا الحمامات ، فرجع ، قالوا : ما ردك أن تنظر في الغار؟ قال : رأيت حمامتين وحشيتين بفم الغار ، فعرفت أن ليس فيه أحد ، فسمعها النبي ﷺ فعرف أن الله عز وجل قد درأ عنهما بهما ، فسمت عليهما فأحرزهما الله تعالى بالحرم ، فأفرخا كل ما ترون » .

وهذا الخبر قال عنه الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية : هذا حديث غريب جدًّا . وقال الهيثمي في المجمع : رواه البزار والطبراني، وفيه جماعة لم أعرفهم . وضعفه غيرهم[1] . والله أعلم .

---

(١) رواه البزار في مسنده ، رقم (٤٣٤٤) ، والطبراني في الكبير ، رقم (١٠٨٢) . وانظر : مجمع الزوائد ٦/ ٥٣ ؛ والبداية والنهاية (٣/ ١٨١) .

مصطلحات حديثية

مصطلحات حديثية

٢٣٢ - سائل يقول:

أسمع عن بعض المصطلحات في الحديث كقولهم: حديث غريب، وحديث مشهور، وحديث رواه الستة، فما معنى هذا؟

الجواب:

هذه عبارات لعلماء الحديث رحمهم الله اصطلحوا عليها، وهي كثيرة جمعوها في علم سموه مصطلح الحديث، ولكل عبارة من هذه العبارات معنى خاص بها.

فالغريب: هو الحديث الذي رواه راو واحد فقط، من طريق واحد ولم تتعدد طرقه.

والمشهور: ما رواه ثلاثة فأكثر، ولم يبلغ حد التواتر .

وأما قولهم رواه الستة فالمقصود بهم : البخاري، ومسلم، والنسائي، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، فهؤلاء أصحاب الكتب الستة، والله أعلم.

معنى رواه الخمسة
ورواه الجماعة

٢٣٣ - سائل يقول:

أقرأ في كتب الحديث رواه الخمسة ، رواه الجماعة، ما المقصود بهذا؟

الجواب:

هذه اصطلاحات عند بعض المحدثين ، يقصد منها الاختصار والإيجاز في تخريج الحديث، وهي إشارة إلى أسماء المؤلفين، فبدل أن يقول رواه فلان وفلان، يقول مثلاً : رواه الأربعة ، والمقصود بهم أصحاب السنن (أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه)، وإذا قال الخمسة يزاد عليهم الإمام أحمد، وإذا قال متفق عليه فمعناه ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما ، وإذا قال رواه الجماعة فالمقصود بهم (البخاري ومسلم وأصحاب السنن الأربعة)، وهو اصطلاح لكثير من العلماء رحمهم الله، وجرت العادة أنهم يشيرون إلى معاني اصطلاحاتهم في مقدمات كتبهم، والله أعلم .

تعريف الحديث الحسن و الغريب

٢٣٤ - سائل يقول:

ما المقصود بالحديث الحسن، والحديث الغريب؟

الجواب:

الحديث الحسن قسمان :

الحسن لذاته : وهو ما رواه عدل خفيف الضبط بسند متصل غير معلل ولا شاذ .

والحسن لغيره : وهو الضعيف إذا تعددت طرقه ، ولم يكن سبب ضعفه فسق الراوي أو كذبه .

أي أن الضعيف يرتقي إلى درجة الحسن لغيره بأمرين:

أولهما : أن يروى من طريق آخر فأكثر على أن يكون الطريق الآخر مثله أو أقوى منه .

ثانيهما : أن يكون سبب ضعف الحديث إما لسوء حفظ راويه ، أو انقطاع في سنده ، أو جهالة في رجاله .

والحديث الحسن لغيره أدنى مرتبة من الحسن لذاته ، لكنه يحتج به ، وإن كان دون الصحيح في القوة.

وأما الغريب : فالغرابة: قد تكون في المتن، بأن يتفرد بروايته راو واحد، أو في بعضه، كما إذا زاد فيه واحد زيادة لم يقلها غيره. وقد تكون الغرابة في الإسناد، كما إذا كان أصل الحديث محفوظًا من وجه آخر أو وجوه، ولكنه بهذا الإسناد غريب.

وعلى كل فالحديث الغريب هو الذي يتفرد بروايته راو واحد،

أو في بعضه. وبالله التوفيق .

كيفية التفريق بين
الحديث الضعيف والموضوع والصحيح

٢٣٥ - سائل يقول :

هناك أحاديث ضعيفة وأحاديث موضوعة وأخرى صحيحة، فكيف يفرق الإنسان بينها ؟

الجواب :

إذا كان الإنسان من طلبة العلم فإنه يستطيع التفريق بدراسة الحديث ومعرفة رواته وتخريجه ، وهناك كتب ألفها العلماء رحمهم الله تعالى لبيان الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، مثل كتاب (الموضوعات) لابن الجوزي رحمه الله ، وكتاب (اللآلئ المصنوعة) للسيوطي رحمه الله ، وغيرها كثير، والعلماء يبينون في كتب الحديث المشروحة مكان الحديث ودرجته ، فإذا كان طالب العلم عنده ملكة ، ويستطيع أن يتتبع الحديث عرف هذا ، وإذا لم يعرف يسأل أهل العلم . والله الموفق .

إيراد الأحاديث الضعيفة للترغيب والترهيب

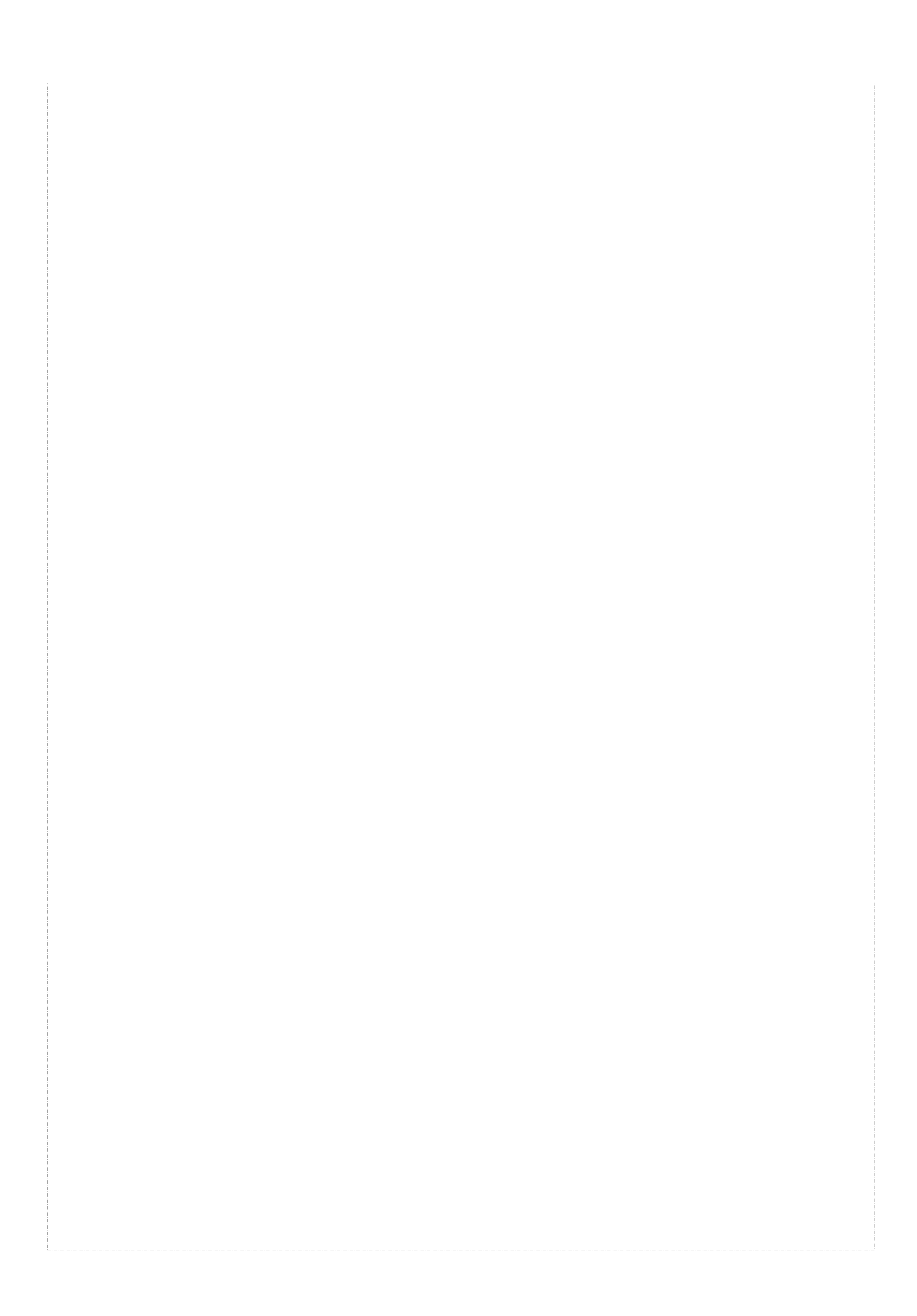
٢٣٦ - سائل يقول :

بعض الناس يقول : إنه يجوز إيراد الأحاديث الضعيفة للترغيب والترهيب فهل هذا جائز ؟

الجواب :

أجاز بعض العلماء الأخذ بالأحاديث الضعيفة في فضائل الأعمال ، إلا أنهم اشترطوا ألا تكون شديدة الضعف ، وأن لا يوجد في بابها غيرها من الأحاديث الصحيحة ، وأن يوضح ضعفها . أما في بيان الحلال والحرام فلا يجوز الأخذ بغير الصحيح من الأحاديث. وينبغي للمسلم أن يشتغل بالصحيح ففيه الغنية، والله أعلم .


الفهرس



أحاديث متفرقة :